

مذكرات القادري

بيان الثورة الروسية العظمى وايضاح غوامضها

وهي خواطر هامة وضعها (الميجر جنرال) صديق باشا القادري احد قواد الجيش الابيض الروسي والذي قضى بضع سنوات في البلاد الروسية يجوبها من اقصاها الى ادناها . وكلها حقائق مفيدة تهم المولعين بقضية روسيه وانقلابها من القيصرية الى البولشفية ذلك الانقلاب الذي ادهش العالم باسره واحدث تطوراً غريباً في الافكار

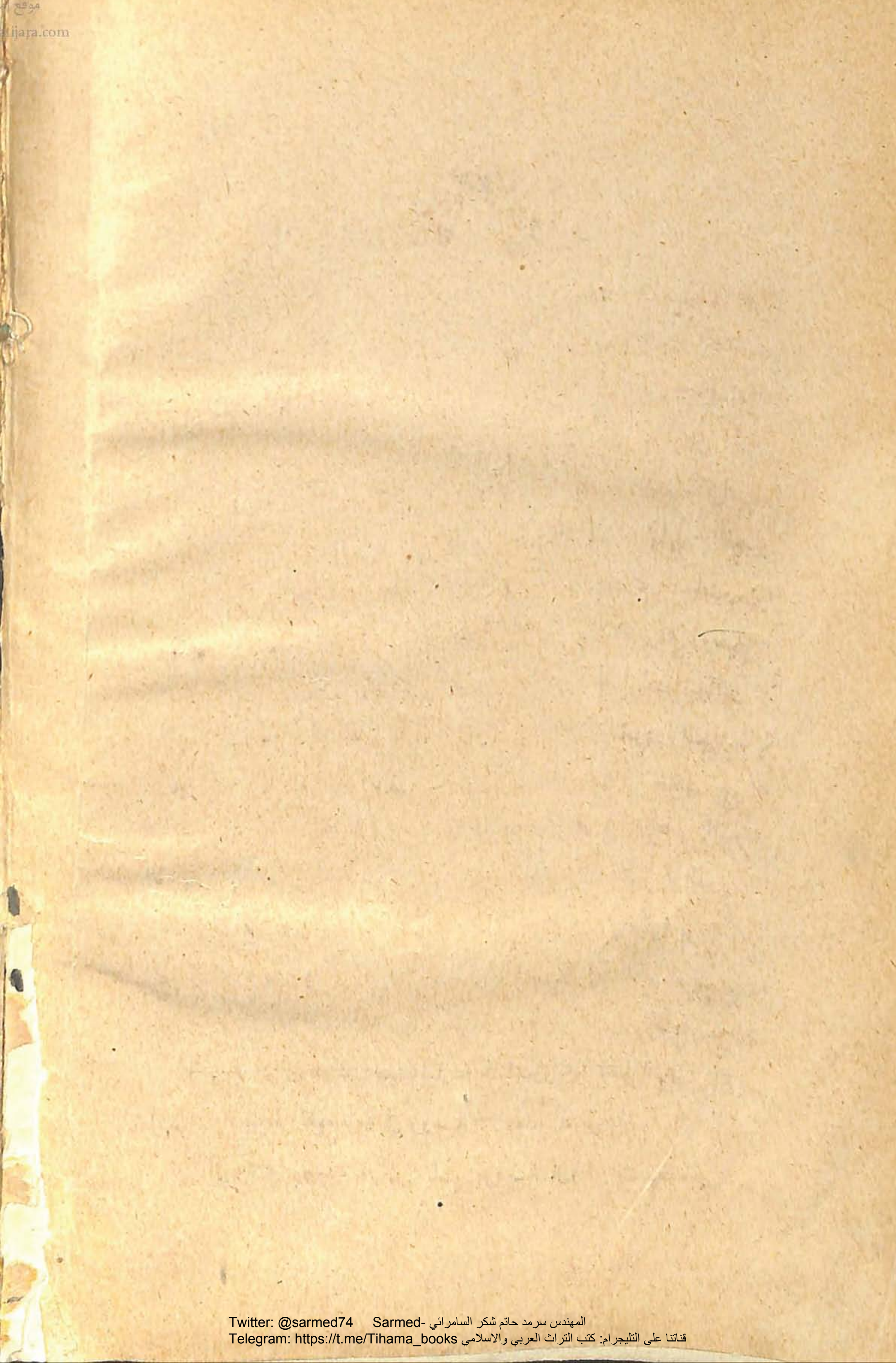
طبع على نفقة :

محمود حلمي

صاحب المكتبة العصرية في بغداد

طبعت في مطبعة الفلاح ببغداد

١٣٤٢ — ١٩٢٤





الغراندوق « نيقولا نيقولايه ويج » القائد العام
للجيوش الروسية القيصرية والوارث الشرعي
لعرش رومانوف

الفصل الأول

تاريخ الثورة في روسية القيصرية — اعمال اليهود — روسية والحرب الجيش الروسي القاهر في ميادين الحرب — قواده وافراده — الحياة في الداخل — روسيه في سني الحرب — الشعب الروسي والحرب — افسادات الالمان في روسية — الضباط الالمانيون في روسية — امراء اركان الحرب الالمانيون في البلاط الروسي — نزع القيادة العليا من الامير (كران دوك) نيقولا نيقولايه ويج — التشويش في مقر القيادة العليا — القيصر و لقيصرة — ولي عهد روسية الامير (علكسى) جارويج — راسبوتين؛ الراهب المحتال — اعماله وافساداته واغتياله — بوادر الثورة في روسية — مجلس النواب (دوما) ومجلس الشورى الاعلا — الوزارات المتوالية — القيصر يحفظ لنفسه زمام القيادة العليا — افعال اليهود والبولشفيك الخفية — غفلة اولياء الامور في روسية عن المهالك التي حاقت بهم — الاحوال الروحية لولاة الامور — البحران في (الدوما) ومجلس الشورى الاعلا — القيصر يعد بالدستور ويندم — اغلاق مجلسى (الدوما) والشورى الاعلا — التهاب الثورة — برج بطرس (بترس بورغ) بيد الثوار — خلع القيصر — تأليف الحكومة الموقتة — ابعاد القيصر وابنه عن التاج — اعتراف الحلفاء بالحكومة الموقتة — حبس القيصر وعائلته — الامير (كران دوك) ميخائيل علكساندرويج (اخو القيصر) يرفض التاج — سقوط القيصرية في روسية — مبدأ الشيوعية

ان الثورة في روسية لم تكن بنت يومها بل زرعت بذورها منذ

سنة ١٨٧٣ وتوسعت في سنتي ١٩٠٤ – ١٩٠٥ وقد اخذت تنتشر بسرعة فاحشة حتى قضت في مدة وجيزة على دولة عظمى كروسية القيصرية ولايمكن ان تقاس هذه الثورة المدهشة باحدى الثورات التي حدثت في العالم حتى يومنا هذا بل ان هذه تفوق كل ماتقدمها بمراحل شتى ان ثورة فرنسة الكبرى التي كان العالم يعدها من ادهش الثورات لاتكاد ان تعد شيئاً اذا قارناها بالثورة الروسية ولذا فلا ارى من الممكن ان نشرح الوقائع الروسية الاخيرة بفروعها ولو كتب عنها مجلدات ضخمة الا ان [مالايدرك كله لايترك جله] فقد اتيت برسالتي هذه الموجزة باحثاً فيها عن الحقائق الجوهرية في هذه الثورة لاطلع العالم – وعلى الاخص ابناء جلدتي العراقيين – على خلاصة ماحدث في بلاد روسية من التطور العجيب ، واؤمل ان يتلقوا الحوادث التي أذكرها حقيقة لامراء فيها وصحيحة لاريب فيها ؛ ذلك لاني كنت عضواً عاملاً في كافة ادوار هذه الثورة وبالخاصة في الحوادث الاخيرة وان ما اكتبه الآن ليس الا خلاصة الوقايع التي حدثت امامي وشاهدتها بعين رأسي ولما كنت اجنبياً عن الامة الروسية على اختلاف انواعها ومشاربها ومذاهبها فني أورد ماأورده من الخواطر المتعلقة بهذا الانقلاب العظيم وتلك الوقائع المهولة ناظراً اليها نظرة رجل محايد لاعلاقة له بها البته

ان الثورة الروسيـــة كانت [الظفر الثـالث] للجمعيـــة الفوضوية [نهليست] وكان ظفرها الاول في سنة ١٨١٥ في ثورة فرنسة الكبرى وظفرها الثاني كان في سنة ١٩٠٨ في الانقلاب العثماني واما ظفرها الثالث وهو ادهشها فقد جنت ثماره في روسية سنة ١٩١٧ وليست جمعيات

[صهيون وفارماسون وآنار شيست] [بولشفيك] الا اسماء مختلفة للجمعية المار ذكرها يبتدعونها في اماكن مختلفة مع ان الهدف والغاية لكل هذه الفرق هي واحدة لا تتغير ولا تتبدل بتغير الاسم او تبدله والمؤسس لهذه الفرق الفتاكة هم اليهود او اموال اليهود فتراهم في كل امة يتظاهرون بالصدق والاخلاص ويسعون تحت ستار الوطنية لنيل غايتهم المنشودة .

اما غايتهم في هذه الاعمال فهي ان يحصل يهود العالم على حقوقهم القومية والدينية والوطنية والتوسل الى نيل ذلك بكل الوسائل الممكنة بلا قيد او شرط واما خطتهم في هذا المشروع فهي اشغال افكار العالم بغايات مموهة مرنة ، ظاهرها حسن وباطنها وهم وضلال وبهذه الصورة يتمكنون من احداث ثورات واضطرابات وفائدتهم من الثورات والاضطرابات اتخاذها ذريعة لابتزاز ثروة الناس باي صورة كانت ؛ ليتسنى لهم تسخير اي فرد او جماعة لارادتهم وليتمكنوا بقوة المال من اي عمل ينوون القيام به ومما يثبت صحة مدعانا هذا هو التناسق الموجود في كافة يهود العالم بدون استثناء ،سواء أكان ذلك في الاحوال الروحية ام في نوع المعيشة ام الغايات ام الطباع ام الاخلاق ام غير ذلك

وقد استولوا على اموال العالم تقريباً في مختلف البقاع واختاروا بلاد فرنسة في سنة ١٨١٥ حصناً حصيناً يهددون العالم منه كل ذلك لتأمين الحصول على غايتهم الاصلية والعلة في اختيارهم البلاد الانفة الذكر ، هي ان فرنسة كانت في ذلك الحين خير منبت للفتن التي يبثها اليهود نظراً لما كانت عليه من التشويش داخلا وخارجاً . على ان الثورة

الافرنسية لم توصلهم الى غايتهم كما يشتهون وذلك لان الافرنسيين قد انتبهوا بسرعة وقبضوا على زمام الامور في بلادهم ولم يدعوا فرصة للفوضويين ليتولوا الاحكام وبهذه الصورة خابت مساعي اليهود

واما حروب ١٨٧٧ ، ١٨٨٦ ، ١٩٠٥ فانها وان كانت أسبابها الجوهرية ناتجة من اعمال هؤلاء الا انهم لم يستفيدوا منها شيئاً يذكر اللهم الا الاخيرة منها اى حرب الروس واليابان فانه كان بمثابة مبدأ للانقلاب الروسى الاخير وقد ادرك الفوضويون - بعد ان جربوا عدة وقائع - انهم عاجزون عن لعب ادوارهم المحزنة فى اوربة وفى راس الاوربيين فاكتفوا هناك بامتصاص الثروة منهم وانقلبوا باعمالهم وافعالهم الى الشرق والشرقيين ، الى قارة آسيا لانهم رأوها موافقة لامزجتهم ولهذا السبب قد لقحوا ابرتهم النسائية فى جسم الشرق الغافل الساكن فى مدينة الاستانة سنة ١٩٠٨ وبنتيجة ذلك ان اليهود اخذوا يصرحون بمبدأ الوطن القومي لهم استنادا على الكلمات التي استحدثت اخيراً وهي : الحرية والعدالة والمساواة والاخوة الا ان هذه الحوادث لم تفدهم ايضاً تمام الفائدة حيث ان الترك قد فاقوا الافرنج بالانتباه السريع وكان نتيجة كل هذه التجاريب المؤلمة ان رأي ابطال هذه المكرة ان المزرعة الوحيدة لبذر آمالهم هي بلاد روسية والامة الروسية ولهذا وجهوا عزائمهم وقواهم الى تلك الدولة المنكودة الحظ . وقد كان مقر القيادة العليا للفوضويين قد تمركز فى روسية منذ عدة سنين .

واندس اليهود حتى تحت فروة الفلاح الروسي فاخذ نفوذهم يزداد هناك مع انهم كانوا في استعباد وبؤس شديدين . وقد وصل بعض اليهود

الى المقامات العليا فى روسيا القيصرية . فانتهزوا فرصة سذاجة الروس وسلامة ضمائرهم فادخلوا في احزابهم الجاهلة قسما مهما من عظماء الرجال والامراء والوزراء والاشراف فكنت ترى اليهود في الظاهر محتقرين مضطهدين الا انهم في الحقيقة يحركون الحكومة الروسية ومجلس النواب [الدوما] ومجلس الاعيان [غوسودار ستوني سوويت] من تحت الستار كما يشاؤون وتشاء اهواؤهم . واطلقوا على فرقتهم هذه اسم « المخلصين » وقد وقع في شراكهم هذه قسم لا يستهان به من المنورين والرؤساء والمأمورين حتى الامراء . وهذا بحث يطول شرحه فلنتركه ونعود الآن الى ذكر دخول روسية فى الحرب العظمى فنقول :

دخلت روسية القيصرية العظمى حامية العنصر الصقلبي بجيوشها الجرارة الى الحرب العالمية فى اواسط سنة ١٩١٤ لتقلب العالم رأساً على عقب حيث قد ساد الاعتقاد ان الدب الشمالي ، او الاسد الاشهب قد انتبه من رقاده فهو يحاول ابتلاع الدنيا باسرها ولا يدع شجراً ولا حجراً الا اقتلعه ولذا داخل الخوف والرعب جميع الامم حتى تساوى في الريبة خصوم روسيا وحلفاؤها وقد استولى الروس فى اول وهلة على روسيا الشرقية واخذوا يتقدمون الى الامام ظافرين فاجتاحوا غاليسيا وبوكوفينا وتسلقوا ذرى جبال « كاربات » الشاهقة الى السماء والتي تكسوها الثلوج . وتسنموا قممها ودخلوا كهوفها ووطئوا غاباتها الكثيفة فادهشوا حكومات اوروبة الوسطى . هذا من جهة اوروبا واما من جهة القوقاس فان جيوشهم نكلت بالترك تنكيلا يذكر واسرت الحملة العثمانية برمتها تقريباً وكانت هذه مؤلفة من الفيالق التركية الـ « ٩ ، ١٠ ، ١١ »

واستولوا على ارضروم وارزنجان حتى وصلوا الى قلب الاناضول كانهم يريدون بهذه الحركات القضاء على آخر نفس الحكومة العثمانية العظيمة بعد ان قاومت العصور والاحقاب مدة ٧٠٠ سنة ولم تكتف روسية بهذا بل اكتسحت جيوشها بلاد فارس وتقربوا الى نهر ديالى ليهددوا بغداد عاصمة الرشيد في قديم الزمن . تهديداً فعلياً .

اما الالمان فانهم ادركوا الخطر الآتي من وجود روسية في الحرب فكلفوهم بصلح منفرد الا ان القيصر ابى ذلك وقد انتج رده هذا سروراً عظيماً لدى دول الحلفاء الذين كانوا يعتقدون ان نجاحهم الكامل معقود بناصية روسية العظمى ومضمون ببقائها في صفوف المحاربين فاخذوا يبجلون هذه المنقبة ويمتدحونها وقد توالت انتصارات الجيش الروسي في ميادين الحرب مما جعل حكومات اوروبا الوسطى في حيص بيص . الا انه لحسن حظهم كان قسم غير قليل من اعداء الروس قد تمكنوا من الوصول الى مقر القيادات واغفلوا القواد والامراء باظهارهم الجنسية الروسية وهم غير ذلك في الحقيقة فاخذوا يوصلون الاخبار الهامة الى الالمان قبل ان تعمم الى الجيش الروسي وتمكنوا بافساداتهم هذه من قلب الانتصارات الى انكسارات وهزائم متوالية بكل سهولة . فأسرت الفيالق الروسية ال « ٣،٥،٧ » في المستنقعات الكائنة في بروسيا الشرقية . ولم يكتفوا بهذا بل دبروا الحيل لاسقاط عم القيصر الكراند دوق — وليكى كيناز (١) نيقولا نيقولايه ويج المحترم ، القائد العام للجيش الروسي والذي

---

(١) كلمة وليكى كيناز تطلق على افراد العائلة المالكة والتي يحق لها ان تحوز على ولاية العهد في روسيا .

اظهر براعته الحربية منذ حرب ١٨٧٧ ودخل الاستانة فاتحاً قبل ٤٧ سنة . وقد وفقوا الى ذلك ونقل هذا القائد الكبير الى جبهة القوقاس وقصدهم من ذلك ايداع القيادة الى عهدة القيصر ، ذلك الرجل البسيط الحليم ليستفيدوا من ضعفه وليتمكنوا من تمثيل ادوار لهم ما كانوا ليقدروا عليها مع وجود الكران دوق في منصب القيادة . واعقب ذلك انكسار الجيش الروسى في الكاربات وضياع قلعتي (برزه ميشل) و(ليفوف) في ظرف ٢٠ يوماً بعدان اجتهد الروس في فتحها مدة سنة كاملة وضحوا لاجلها ضحايا عظيمة . وتركوها فى قضبة النمسا .

واخذ الجيش الروسي في التقهقر والانسحاب من الشمال الشرقي تاركا القلاع والمدن الجميلة وخطوط المدافعة الى العدو بدون حرب او ضرب وكان الجيش الروسى يفوق سائر جيوش العالم من حيث العدد والمؤنة ولا ينقصه الا السلاح الكافى والا فان شجاعة الجيش الروسي لا يمكن ان تقاس بها شجاعة سائر الجيوش ولا ينكر احد ما للقوزاق من المهارة الحربية

ولم يكن الحلفاء ليفتأوا من المواعيد فقد كانوا يمنونهم بفتح الدردنيل والامداد بالسلاح والمدافع الى الجبهة الحربية الروسية الممتدة من خليج فارس الى بحر البلطيق بطول ٣٠٠٠ كيلو متر و يرابط فيها ٨ ملايين من المحاربين وقد زرعت في هذه الاثناء بذور العداء للحكومة والنفور من القيصر واستبداده وبهذه الصورة اخذت تفصد البلاد بمباضع الثورة التى انتشرت بين رجال الجيش المرابط على الحدود بواسطة الافراد الجدد واخذ عدد الفارين من الجبهة الحربية يتكاثر جداً وصار النحس

حليفا لروسيا فقتل الافراد بعض ضباطهم وذبحوا القواد غيلة بدون ان يعلم الجان، . ومما وسع الخطر هو توالي الهزيمة والانكسار وارتفاع اسعار الحاجيات وذهاب الملايين من الجند الى جبهة الحرب من غير ان يعود الذاهبون، وعدم تمكن الحلفاء من اسقاط الدردنيل او انهم لم يشاؤا ذلك . والحاصل ان الجيش اخذ في الفساد من اصله فقد سقطت قلاع (وارسوفيا) المدهشة في ظرف ١٢ يوماً بدون مقاومة تلك البلدة التي هدم قلاعها مارشال « سوخو ملينوف » ناظر حربية الروس منذ بدء اعلان الحرب العام كانه اراد بذلك تقديمها لقمة سائغة للاعداء ثم اعقبها سقوط استحكامات « قوونو » وبعد ذلك بيوم اويومين سقط نحو من ١٧ موقعا اوخط مدافعة على التوالي وقد رجع الى داخل روسية قسم غير قليل من الافراد او الضباط وقد ذاقوا عذاب الغازات السامة المخنقة والقنابل المهلكة وسائر وسائل الحرب فاصبح هؤلاء بمثابة المنفاخ لاشعال نار الثورة والهابها . وتألفت عصابات الثورة في (مدينة بطرس) وتوالت جلسات الاشتراكيين وغيرهم وكثر سقوط الوزرات وارتقاء غيرها مكانها . كما ان الجلسات المدهشة والمؤتمرات المهيجة كانت تعقد فى مجلس الدوما وقد تحدث فيها المبارزات (دوئللو) والضرب بالكراسى وكان يقع فى مجلس الاعيان مثل ذلك .

اما القيصر فانه كان يكثر التجول بين عاصمته وجبهة الحرب باهتمام وسرعة واخذ الخطر يعم وينتشر و النفور يزداد ويتوسع . واصبحت المصاريف التي تصرف على الجيش البالغة نحو ١٥ ، ٢٠ مليون ليرة روسية يومياً تربو على الواردات بكثير . وذلك مما يهدد خزينه الحكومة

بالنفاد ، ولم تفد شيئاً القروض التي عقدت في الداخل ، والاعانات التي ارسلها الحلفاء من الخارج وكانت تذوب كما يذوب الملح في الماء ومن الجهة الآخرى كانت الخيانات تقضي على روسية ضف الى ذلك التشويش الداخلي ووضعية الجيش المغلوب فانهما مما يدفعان روسيا الى الحضيض الذي نراها فيه اليوم .

وكان الجيش الروسي البالغ ١٣ مليوناً يدار من قبل برأي واحد ودماغ واحد وهو القيصر وقد التمس (رودز بانقو) رئيس الدوما من القيصر ان يجمل التبعة على المجلس [الدوما] وشرح له الاخطار التي تحيق بروسية الا ان القيصر قد وافق في بادئ الامر على هذا الاقتراح الذي يشم منه رائحة الحكم الديموقراطي ولكن هذه الموافقة قد انقلبت اخيراً الى المماطلة والتسويف وظلت في التمني والترجي ولم تنتج نتيجة حاسمة . وهكذا فقد بلغ السيل الزبى وهب عمال المعامل الى حمل الاسلحة المختلفة ومن جملتها الرشاشات ليلا ونقلوها الى بيوتهم وحفظوها على السطوح وحفظت البنادق بين اخشاب السقوف وكذلك الخراطيش وقنابل اليد والمواد المفرقعة وغيرها وعقدت جلسات هائلة في الدوما واخذ الناس يتهامسون بحدوث ثورة كبيرة في جميع انحاء البلاد وتوالت الاستغاثات من الولاة وقدمت التقارير المنذرة بالخطر من مديري الشرطة من جميع الانحاء اما ارباب الثروة فانهم اخذوا يهاجرون افواجاً الى الممالك المحايدة لانهم احسوا بالشر . ولم تعتد القيادة العليا بكل هذا التشويش والفوضى فلم تعبأ بها وذلك لان اغلب الاوراق والتقارير الهامة – حتى المستعجلة منها – لا تقدم الى السدة

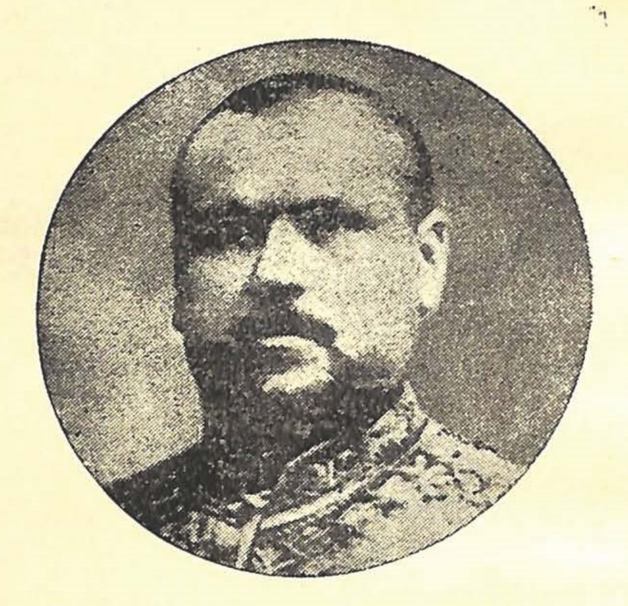
القيصرية وظلت القيادة المذكورة غافلة عما يجري في البلاد من الفوضى تمام الغفلة اما المشيرون ورجال البلاط وغيرهم فانهم كانوا يفسرون خلاصة التقارير الآتية الى البلاد بقولهم :

«لا يوجد شيء يستوجب القلق في البلاد طولا وعرضاً ، وان عموم الرعية تلهج بالدعاء للقيصر وان يطيل الله عمره ويمتعه بالعافية والنصر.»
وبينما كان البلاط على هذه الحالة كان مجلس النواب قد اتفق مع مجلس الاعيان .واخذا يعقدان الجلسات العلنية والسرية باتحاد تام .

وطلب ولاة الولايات اتخاذ تدابير عاجلة بمنحهم نظام خاص [لامركزية] لان ربط جميع ارجاء روسية الواسعة بالمركز [العاصمة] يعرقل سير المعاملات وعلى الاخص فى ايام الحرب وان لم يمكن ذلك فلتوسع سلطة مجالس الولايات وكان هذا التدبير قد اقترح لتسوية مسائل غلاء اسعار المعيشة وعلى الاخص الضرورية منها وهذا كان السبب في هياج العوام .

ذلك لان جميع الحبوب تنقل الى مخازن الجيش العديدة وتدخر هناك وبذلك غلت اسعارها فلم يتحمل الاهالي ذلك ؛ لان النقود قليلة والاسعار باهظة وهذا عبء ثقيل . اذ ان اجرة العامل او الفلاح لم تتغير مع ان سعر الخبز واللحم قد بلغ ضعف ما كان عليه قبلا وذلك مما يوجب الهياج والشغب .

وقد اقر مجلس الدوما وجوب جعل الوزارة مسؤولة، ومنح [اللامركزية] للولايات وامداد المقاطعات الجائعة بالحبوب من المقاطعات الاخرى



« رودزيانقو » رئيس مجلس الدوما »

الغنية الى غير ذلك وقد ذهب « رودزيانقو » الى مقر القيادة العليا ليعرض القرارات المذكورة على القيصر بالتفصيل وشرح له ذلك وبين له ضرورة قبولها والمصادقة عليها دفعاً للخطر المحدق بالبلاد . وبعد ان تأمل القيصر برهة قبلها برمتها وامضى الاوراق وحفظها عنده لكى يصدر اوامره الملكية الناطقة بذلك ويعممها الى كافة الانحاء . ثم بعث الى رئيس مرافقه الجنرال «فردريكس» وبلغه امام « رودزيانقو » قائلا « بلغ الآن بالتلغراف مجلسي الدوما والشوري الاعلى ، والوزارة بأني قد امرت باعلان الحكم الدستوري للبلاد » ولقد سر لهذا الخبر « رودزيانقو » واعتقد بان كل شيء قد انتهى واعلن الدستور وبادر مسرعاً الى الأياب الى « بطرس برج » بقطار خاص . وقد كان المسكين يؤمل عند وصوله العاصمة ان يرى آثار الزينة والاحتفاء تلوح عليها من بعيد الا انه قد خاب ظنه ومر في طريقه بسكون وبرودة من شارع (نه وا) واجتاز الميدان الواسع الذي يحتوي هيكل « بطرس » الاكبر تمثال العظمة وصعد الى بناية مجلس الدوما ودخل البهو الفخم كاسف البال ثم سأل من هنا وهناك قائلا: هل اتى تلغراف من القيادة العليا الم تسمعوا شيئاً ، ماذا حدث ، ما عندكم من الاخبار ، ماذا عملتم ؟ وظل «رودزيانقو» يسأل ثم سكت . وبقي هؤلاء نحواً من اسبوعين منتظرين التلغراف المعهود فلم يأت اى خبر عن الدستور او الحرية !

وقد كان فى نية القيصر ان يعلن الحكم الدستوري حالا لان «نيقولا» الثانى كان لا يتوقف حتى فى تضحية روحه العزيزة في سبيل امته اذا اقتضت المصلحة الوطنية نظراً لما كان عليه من الحلم وعلو الجناب والغيرة القومية

الا ان صنايع الالمان الذين قد حفوا به من كل جانب (كما بينا سابقاً) واليهود الذين تزيوا بالزي الوطني الروسي لم يدعوه يعمل ذلك . وكانوا يمنعونه دائماً من الشروع في امثال هذه التدابير الحسنة ومما مهد لهم السبيل هو سلامة قلب القيصر نفسه واعتماده على كل واحد وتصديق كل شيء وقد ادرك هؤلاء الاوغاد هذه الخصال فى القيصر واستفادوا من رقة طبعه وكثرة حلمه فأخذوا يلقنونه بسهولة جميع ما يشتهون من الافكار والمناهج التي رتبوها ولذا كنت ترى القيصر في شك وتردد دائمين وكانت كفة هؤلاء الراجحة نظراً لقربهم منه وتماسهم به على الدوام . ليذهب «رودزيانقو» ويرجع ما شاء فأن اعماله المفيدة تنتهي دائماً بالفشل ما دام هؤلاء قد ضربوا نطاق نفوذهم حول القيصر ونصبوا اشراك الخبث له . والا فان القيصر لم يضمر الشر لامته مثقال ذرة وما الحيلة ورجال البلاط الذين ملكوا شعور القيصر وفاقوا بهذا العمل غيرهم يسعون جهدهم لاضمحلال روسية بسرعة .

اجتمع مجلس الدوما فجأة مرة اخرى اجتماعاً خطير الشأن وارسل « رودزيانقو » الى القيصر لآخر مرة فسافر على قطار خاص بعزم قوي قاصداً مقر القيادة العليا . ولما سمعت القيصرة اسرعت وركبت القطار القيصري وذهبت من طريق آخر وبسرعة خارقة فوصلت مقر القيادة العليا قبل «رودزيانقو» بساعتين . وكانت تقاوم فكرة الحكم الدستوري ولم يكن قصدها من ذلك خيانة الروس او انكسارهم وانتصار الالمان كلا وسنشرح فى احد الفصول الآتية كيف كانت القيصرة غير موالية للالمان وان كانت تنتسب اليهم بالجنسية وانها اميرة المانية في السابق الا انها قد .

صارت روسية . وكانت تود من صميم قلبها ان يكون ولدها وفلذة كبدها « علكسي جاروبج » قيصراً لروسيا في المستقبل وكانت تفدي ولي العهد الشاب بروحها وبكل شيء في الدنيا الا انها — ويا للاسف — كانت متدينة جداً ولذلك كانت تنطلي عليها بسرعة حيل الوكلاء المحيطين بها وعلى الاخص مكائد اللعين الكذاب « راسبوتين » الراهب المحتال الذي كان منبعاً للفساد . [وستأتي ترجمته في بحث خاص] . ومع ذلك فان القيصرة كانت تعتقد بصورة خصوصية ان الحكم الدستوري مضر بروسية ويفضي الى دهورتها وهلاكها وقد جرى ذلك فعلا فيما بعد وقد جاء في مذكراتها « وليس في الامكان ان يدار الشعب الصقلي بغير الحكم المطلق » والا فان القيصرة لا تقل عن القيصر في طلب الخير للروس او سعادة ابنها ولي العهد على الاقل ! وانه لاصحة لما يعزى اليها من اقاويل اعدائها ومخالفيها .

وصل « رودزيانقو » الى مقر القيادة العليا وطلب مقابلة القيصر فلم يشعر الا والقيصر مع القيصرة قد خرجا امامه في بهو الانتظار واخذا يكلمانه سوية . اما (رودزيانقو) فانه احس بحقيقة الواقع ولم يفتح فاه بشيء بل اقتصر على الدعاء للقيصر ولظفر الجيش وعاد الى (بطرسبرج) خائباً وقد ذاع في العاصمة فشل القرارات الاخيرة فاوجب الهياج الشديد في مجلس الدوما ، وامطرت البرقيات الشديدة اللهجة على مقر القيادة العليا وطلبوا تلغرافيا حضور القيصر حالا الى عاصمته . فاجابهم القيصر على برقياتهم هذه ، بأنه قد امر بحل المجلسين الدوما والشوري وذلك بمقتضى السلطة المخولة له بموجب المادة (٩٩) من الدستور الروسي .

فقامت قيامة النواب والاعيان لهذا الخبر واخذ الشرر يتطاير من اعينهم وتعاهدوا على بذل كل قواهم لمقاومة هذا الامر. فلم يحل مجلس الدما وبدأت الضوضاء صباح اليوم التالى في افاق (بطرس برج) واشتد الشغب وهنا بدا افول نجم روسية وتدهور تلك العظمة والابهة والسطوة ... وسقوط عائلة « رومانوف » المقدسة التى حكمت روسية ٣٠٠ سنة وتالفت حالا عصابات الجمعيات الاجرائية من مجلس الدوما فاسقطت هذه العصابات الوزارة الروسية واعلنت الى كافة الانحاء بأن السيطرة في البلاد هي فى قبضتها ثم عزلت جميع الولاة واحدثت فى كل محل دائرة للقوة الاجرائية واخذت تجمع الجماهير من الاهالي والعمال والجند. وتقاطرت عليهم رسائل الاعتراف بالحكومة الجديدة من جميع انحاء روسية. واستمر الهياج فى العاصمة وقد التحق الجيش وقطعات غارنيزون الموجودة هناك الى العصابات المذكورة اما البوليس والجاندارمة والمدارس الحربية فانهم ظلوا على ولائهم للقيصر واطلقوا النار على الشعب المتجمهر. وقد مزق قائد (بطرس برج) حينما كان يحاول الخروج من داره.

وتألفت الوزارة الثورية برياسة (كنياز لفوف) وتقلد (غوجقوف) وزارة الحربية و (كرنسكى) العدلية و (سازانوف) الخارجيـة ونصب للقيادة العامة الجنرال (دوخونين). وفى هذه الاثناء انتصرت العصابات على البوليس واشتبك طلاب المدارس العسكرية مع الثوار في الطرق مدة طويلة الا انهم غلبوا اخيراً وعبرت البقية الباقيـة منهم نهر (نهوا) والتحقت بالجيش المرابط فى الميادين الحربية واشعل هؤلاء نار الثورة والانتقام في البلاد وملئت الطرق بجثث القتلى واخـذت الدماء تجري



الغراندوق « ميخائيل الكساندرووبج » اخو القيصر

كالانهار . وكانت العاصمة مخضبة بالنجيع .

ولما طرق سمع القيصر هـذه الحوادث كر راجعاً الى عاصمته بقطار خاص . ولما وصل الى اول محطة في البلدة ، الكائنة فى المحل الذي يدعى « غاتجين » قابله « كرنسكى » يرأس الهيأة التي اتت لتبلغه خبر الخلع ويصحبهم ثلة من الانفار ذوي الاشرطة الحمراء ولما وقع نظر « كرنسكى » على القيصر صعد اليه الى القطار ورفع قبعته احتراماً . وبعد آداء السلام وتقبيل يد القيصرة خاطبه قائلا : يا عظمة القيصر اعرض لكم مع اظهار الاسف الشديد وارسال الدموع الحارة انكم مخلوعين من الآن . وان الامة قد قبضت على زمام حكمها . ولكم الخيار في ترك التاج لولدكم او لغيره.» فاجابه القيصر بحدة : « ومن الذي يقول ذلك » فقال له كرنسكى « انا اقول ذلك وان الامة الآن بقبضتي ، وانكم من الآن فصاعدا تدعون باسم الموسيو رومانوف الروسي » ثم ترك القطار ونزل ووجه خطابه الى جيش اللجنة التنفيذية وقال لهم « ان القطار ومن فيه مأسور فاسرع اصحاب الاشرطة الحمراء واحاطوا بالقطار . وقدهم القيصر بالرجوع الا ان كرنسكى اعترضه قائلا: « يا صاحب الجلالة ان الامر قد انتهى فالاولى بكم ان تتركوا القطار بحالة شريفة . ولما رأى القيصر هذه الاحوال لم يجد بداً من التسليم للقضاء والقدر . ولو كان القيصر فتاكا كما يقولون لما سمح لكرنسكى بان يقول ما قال من الخلط حتى انه لو كان عمد الى المقاومة والعناد لكان في وسعه ان يرجع الى الجبهة بكل سهولة واساق مفرزة قوية من جنوده المخلصين الى العاصمة فيغرقها بالدماء ولمزق الثورة والدستوريين شر ممزق . الا انه يتضح من هذه الحادثة ان

القيصر كان تمثالا للمسالمة والحلم واللين . وقد كان في معية القيصر قطاران مدرعان احدهما خلفه والآخر امامه وعدد كاف من الحرس الملكى ولو فرضنا عدم رجوعه للجبهة فانه كان في وسعه التنكيل بكرنسكى وتشتيت شمل معيته الا انه ضعيف الراى والارادة فلذلك لم يلتجئ فى مثل هذا الوقت العصيب الى التدابير الزاجرة وعدا ذلك لم يكن من غايته ابداً سفك الدماء .

والحاصل ركب القيصر مع كرنسكى بسيارة وذهبا الى « جاركوبي » ووصلا القصر الملكى الشتائي فدخله القيصر وهو على غاية ما يكون من الكآبة والحزن والى جنبه « كرنسكى » وهناك اعطى ورقة ممضاة بخطه بتنازله عن التاج القيصري هو ونجله وتركه الى اخيه « ميخائيل الكساندروويج » ثم كلف بعد ذلك « ميخائيل الكساندروويج » بالامر الا انه رد ذلك لاسباب يطول شرحها ونزل على ارادة الامة وقد اعقب ذلك ان اعلنت الحكومة الموقتة الديموقراطية من قبل اللجان الاجرائية لمجلس الدوما .

وبعد مضي عدة ايام قدم معتمدوا الحلفاء وسفراء الدول المحايدة اوراق الاعتراف بهذه الحكومة الجديدة وبناء على ذلك اصبحت الحكومة الديموقراطية حكومة قانونية لجميع بلاد روسية .

راسبوتين

لا شك فى ان الاشخاص المطلعين قليلا او كثيرا على احوال البلاط الروسي يتذكرون اثناء مطالعتهم سلسلة الوقائع المؤلمة اسم « راسبوتين »

الراهب المحتال الذي كان العامل الاكبر لاضمحلال روسيا القيصرية ولذا فاننا وددنا ان نبحث قليلا في هذا المخلوق الغريب

« راسبوتين » رجل روسي ، درس في مدرسة ابتدائية في احدى القرى بصورة مضطربة ولم يتمكن من اكمال دروسه لان والده فقير الحال ولم يرسله الى المدارس المنتظمة في المدن الكبار وقد مات ابوه وهو صغير فالتجأ الى الكنيسة وانتظم في سلك الرهبان . وفتح عينه وشب وترعرع فى هذا المسلك فلذلك تمكن من الوقوف على دخائل الامور الدينية واخذ يتدرج الى اكتساب آداب الكنيسة وادارتها . ظل فى خدمة الرهبان والقسوس الى الرابعة والعشرين من عمره ولم يكتف بذلك بل اخذ يخدع القرويين الفلاحين البسطاء ويأخذ منهم الدراهم والدهون والبيض والدجاج بحيلة انه ينظر الى فالهم ويقرأ عليهم وينفخ في وجوههم ويكتب لهم الادعية واخذ يتنقل في القرى والنواحي حتى شاع اسمه في البلاد بالتدريج وكان على جانب عظيم من الذكاء والدهاء والخبث فارسل له لحية سوداء طويلة والتف بلباس اسود خاص بالرهبان واخذ يجوب البلاد بصفة زاهد في الدنيا [وهذا نوع من الرهبانية] ولقد حصل على موقع ممتاز بين فلاحي (سيبرية) حتى اعتقدوا فيه القداسة وذاع صيته فى مهارته باخذ الفال فى جميع انحاء روسية وكانت نفس هذا الملعون تطمح الى الدخول الى البلاط القيصري فلذا اصبح يوماً من الايام فى (بطرس برج) فجأة واخذ في تعاطي مهنته هناك . وتمكن من احراز مركز هائل في هذه العاصمة وعلى الاخص بين طبقات العشاق واهل الهوى ولم يبق شاب او غادة حسناء في البلدة الا ويعرفه جيداً وقد كانت الضرورات تسوقهم

الى الالتفاف حوله وكانوا يعتمدون عليه فى تحقيق امانيهم ولم يكن «واسبوتين» آنئذ يحسن القراءة والكتابة لانه انصرف الى اتقان الحيل والمكائد والكذب وكان زيه يغري البسطاء. وليس فيه اي خصلة او مزية سوى ما ذكرناه.

وقد صادف ان نقل احد المقربين الى القيصرة لها مهارة هذا الراهب، في معرفة المستقبل ولما كانت القيصرة شديدة التعصب في امور الدين وكثيرة الاوهام والخيالات، سريعة الانقياد والتصديق فلذا لم تكد تسمع بخبره حتى ارسلت من اتاها به الى القصر وكانت اول كلمة خاطبها بها هو قوله: ان الملكة ستلد في القريب ولداً ذكراً وسيكون هذا المولود ولي عهد لتاج روسيا القيصرية. ففرحت القيصرة واغدقت عليه النعم والاكرام وقد لاحظ هذا المحتال ان القيصرة كانت حاملا ويعلم بذلك جميع الشعب الروسي ولا شك في انها ستلد اما ذكراً او انثى وكانت الامنية السائدة هي ان تلد القيصرة ذكراً ويمكننا ان نفرض ان تبشيره لها بالذكر كان ناشئاً عن خوف او رعب منها فلو لم يقل لها ذلك وقال لها ستلدين انثى مثلا فانه كان من المحتمل ان تأمر باخراجه من القصر بالوكز والصفع والرفس وهذا هو السر في تبشيره للقيصرة بمولود ذكر وكان الشغل الشاغل الافكار في روسية والذي اوجب تشويش افكار العائلة المالكة هو ان القيصر قد بلغ الخمسين سنة ولم يولد له ولد ذكر يتولى العرش من بعده والسبب في ذلك ان الروس قد عدلوا قانون الوراثة وصادقوا على الغاء حكم الاناث وجعل الامر ينتقل من الوالد الى اكبر اولاده وارشدهم ولو لم يكن لجلالة «نيقولا» الثاني ولداً ذكراً لانتهى

حكم آل رومانوف ولاضمحل على أثر وفاته ولتبدل شكل الحكم في روسية بطبيعة الحال. وكان اخو القيصر له الحق بان يكون قيصرا بعد اخيه ولكنه لا يكون ولي عهد له في حياته لان ولاية العهد تنتقل من الاب الى الابن الرشيد واما رفع الاخ الى العرش فينوف على اخذ رأي الشعب الروسي ولذا فان القيصر قد بلغ سن الشيخوخة ولم يكن له ولي عهد .. . ولنفرض انتقال السلطنة بعد القيصر الى اخيه ميخائيل الكساندوريج » فلماذا كان يخشى من الرأى العام؟

هذا سؤال حق يرد على فكر القارئ لاول وهلة ! الا انه ينبغى لنا ان نتذكر ان روسية كانت تستعد لثورة هائلة منذ عهد القيصر اسكندر الثالث وكانت تراقب فرصة تسنح لها لاتمام عملها وكانت عناصر الثورة لاتنفك عاملة على تقويض سرير الملك . فلو عرض امر المملكة على الرأي العام لكان الشعب يصوت بالغاء السلطنة بتاتاً ولايرضى بنصب (ميخائيل الكسندرويج) ولا غيره ولو عوملوا بسياسة الشدة والضغط لاهرقت الدماء التي سفكت فى هذه الايام بعينها . ولهذا السبب كان امر خلو التاج من ولي العهد هو الذي اقلق افكار الحزب القيصري [الملكى] وان اعظم رجال روسيا القيصرية كانوا يتأسفون ويتوجعون لعدم وجود ولي عهد لآل رومانوف الذي امتد ملكهم ثلاثة عصور ؛ لاسيما في مثال هذا الدور ، دور العظمة والهيبة . فكان اكبر امل للقيصرة ان تلد ولداً ذكراً ولي عهداً للتاج القيصرى ولقد دوى بين جميع افراد الاسرة المالكة صوت الراهب « راسبوتين » الذي بشر — صدفة بولي العهد الذي ينتظره الجميع بفارغ الصبر . اخذ القيصرة المخاض وولدت — بعد

عدة اشهر — ولداً ذكراً ففرقت البلاد الروسية بالزينة والاحتفاء بشكل لم يسبق له مثيل . وصدقت الكلمة التي لفظها الراهب المحتال قبل عدة اشهر . ولذا فقد فتشوا عليه في جميع زوايا العاصمة واتوا به الى القيصرة ونصب اشبيناً [دعا كو] للامير « علكسي » الذي ستجري مراسم تسميته بعد عدة ايام ... واصبح الراهب راسبوتين في عداد المقربين في البلاط الى حد ابيح له الدخول الى اي غرفة في القصر الملكى بلا قيد اوشرط بدعوى انه بفحص الجن والملائكة هناك . وكان يراقب شؤون الطفل اكثر من امه حتى اذا بكى يوماً او امتنع عن الرضاع ، او اكثر من النوم او سهر قليلا ، او قل ضحكه ، او اغمض عينيه ، اولم ينم على جنبه فان القيصرة كانت تبادر حالا الى « راسبوتين » لتستفسر القضية ؟ وتدفع الاوهام المستحوذة عليهامن جراء ذلك فتقول له مابه ؟ ماذا دهاه ماهذا ماذا حل بالطفل الى غير ذلك من الاسئلة الوهمية والمبهمة ... وكان الراهب دائماً ابداً متهيئاً لاخذ الفال واضعاً سبحته في عنقه وخرزه في جيبه والكتاب فى يده ومتأبطاً سوطه . ولم يكن ليتوقف عن سرد الاكاذيب والخدع للبسطاء الواهمين الذين يعتقدون فيه العلم بالغيب وكان قد بلغ الوهم بالقيصرة ان « راسبوتين » اذا فارق الطفل ساعة تخشى عليه من ان يختطفه الجان والمردة والشياطين وتعتقد بذلك اعتقاداً جازماً فاصبح الراهب لاينفك عن المهد الا للصلاة او ما شاكلها من الضرورات . ولاحاجة الى القول بان تقرب هذا المحتال من القيصرة بهذه الدرجة يجعل كلا مه مسموعاً ورأيه مقبولا فى مهام الامور . فكان المرجع الوحيد لطلاب الوظائف السامية ، وعشاق المحسوبية القيصرية

فكان يخطب وده للعفو الملكى والرجاء وغير ذلك وبهذه الطرق جمع ثروة طائلة .

وبعد ان اجريت مراسم التسمية بعد ايام قليلة اعلن الامير الطفل « علكسي » ولي العهد لعرش روسيا القيصرية وامضى ذلك من قبل المجلسين الدوما والشورى الاعلا والوزارة .

اخذ الطفل يكبر شيئاً فشيئاً ومرت الشهور والسنون . ولما رأى ذلك اعداء الحكم القيصري [وفيهم طبعاً الاشتراكيون والفوضويون] سعوا الى تأسيس العلائق الودية مع « راسبوتين » فنجحوا فى ذلك وجعلوه وكيلهم الخفي في البلاط وصار هذا يشتغل على حساب الاشتراكيين والبلاشفة فى القصر القيصري واشتدت المخادعات والحيل ولنسرد الآن احدى خبائث هذا المحتال .

ذهبت القيصرة فى احد الايام الى محل الراهب وفاجأته فى غرفته . فرأت امامه شبحاً مهولا قد لبس نقاباً اسود [ماسكه] وهو يحادث « راسبوتين » فذعرت القيصرة وخرجت من الغرفة طائرة العقل ولما رأى راسبوتين ذلك اخذ ينفخ ويصرخ قائلا « مشقوش ! خشفوش ! فرفوش ! . . اذهبوا ! انصرفوا ! غوصوا » وكرر هذه الكلمات حتى غاب ذلك الشبح ثم خرج فوجد القيصرة فى احدى زوايا المحل وقد اغمى عليها واخذ يلاطفها قائلا : سيدتي الملكة لماذا تؤذين نفسك وتأتين الي على حين غفلة فان غرفتي ملآنة بالجن والشياطين الذين هم باستخدامي . وليس لي وقت افرغ فيه فقد انتهزت فرصة نوم الامير واتيت هنا ابلغ الاوامر لخدامي وقد قابلت الآن المارد « قرطوش » الذى اتى الى هنا من المشرق الاقصى

وقذ القيت عليه بعض الاسئلة وقد اتيت انت وهلة . ولقد توهمت بان الامير معك ولذا فقد طردت المارد خشية ازعاجه وارجو من جلالتك ان لاتعودى لمثلهاواذاحدث ضرر - لاسمح - فاني لااتحمل التبعة . . . الى غير ذلك من التمويه مما ادهش الملكة البسيطة . واخذ رسل البلاشفة وغيرهم يدخلون الى الراهب ويخرجون بكل سهولة باسم المردة و الشياطين ويتجولون فى ذلك القصر العالي الذى لايتمكن الطائر من المرور فى سمائه وكان راسبوتين مروج الدسائس الالمانية فى زمن الحرب ورئيساً لجواسيسهم او بتعبير آخر انتقلت دوائر البلاشفة وجواسيس الالمان الى غرفة راسبوتين وقد احضروا دواء عاقاً [قاطعاً النسل] واعطوه للراهب لكى يسقيه للامير ففعل ذلك وجرعه اياه قائلا انه علاج سماوى فاصيب الطفل على اثر ذلك بامراض وعوارض تناسلية مختلفة واشرف على الهلاك وظل دنفاً حرضاً طول حياته .

ولاشك ان رقباء راسبوتين يزدادون بنسبة ازديادد سائسه وحيله بتوالي الازمان فقد بذل افراد العائلة المالكة قصارى جهدهم لابعاده عن البلاط لانهم ادركوا مفاسده ومكايده وراقبوها عن كثب ؛ وحاولوا ابعاده فلم يفلحوا لان القيصرة كانت تعتقد اعتقاداً باتاً ان « راسبوتين » هو السبب فى حياة ولدها فهل تسمح بتبعيده ؟ . . .

ولم يكن راسبوتين ليضيع هذه الفرصة وهذه المنزلة فلم يترك حيلة او مكيدة الا واتى بها بدرجة انه اصبح العامل فى تدوير شؤون البلاد واستولى على عقول الوزراء والولات وقوات الجيش . ولقد اسعرت الحرب وهو يعيش عيش الملوك العظام فكان من جهة صاحب الملايين من

الدنانير ومن جهة اخرى ترتع في بحبوحة العز والدلال ، تحيط به فتيات (بطرس برج) تلك المدينة التي اشتهرت في العالم بما احتوت عليه من محاسن الصور والجمال الرائق والقدود الحسان والعيون الفتانة فكن يلجأن اليه على الدوام ولم يقصر هو في اداء الواجب تجاههن فلم يدع عرضاً الا ونهشه ولا عفة الا ولوثها ولا ناموساً الا ومزقه .

ولم يكن له اي علاقة ذات بال مع باقي افراد العائلة المالكة لان افرادها عرفوا خبثه واحتياله قبل كل احد فلم يستول على افكار احدهم سوى ؛ القيصرة تلك المرأة المتدينة التي جاوزت الخمسين من سنيها وودعت شبابها وانقطعت الى عبادة ربها هذه هي الحقيقة وكل ما يقال بغير ذلك فهو كذب وبهتان حيث ان « راسبوتين » كان قبيح المنظر ذميم الخلقة كأنه احد زبانية جهنم . فسبب خضوع القيصرة واحترامها له هو لانها تعده الضامن لحياة ولدها فلذة كبدها «علكسي» انني است روسياً وليس لي اي علاقة قومية او شخصية بروسيا ولذا فاني اقرر الحقيقة التي يجب ان تقال من غير تحيز او محاباة ؛ ان الراهب المذكور لم تكن له اي علاقة غير شريفة مع الاميرات او القيصرة وما كتب من هذا القبيل هو محض اختلاق والحقيقة كما ذكرت

قلنا ان راسبوتين اصبح جاسوساً لالمانيا في بلاط روسية اثناء الحرب وقد نصب آلة البرق اللاسلكي في دائرته الكائنة في القصر العالي على احدى المداخن . ولم يكن يعرف كيفية استعمالها ولكن اكثر خدامه كانوا من ضباط اركان الحرب الالمان وهؤلاء كانوا في الظاهر خدام الراهب ولكن في الحقيقة انهم كانوا الميكروبات التي اصابت روسية فسممت دمها وقضت على حياتها .

لم تكن القيصرة خائنة لروسية اصلا ولم يرد على خاطرها ذلك وبالعكس كانت تفدي شعرة من رأس ولدها الذي كانت تحبه بدرجة العبادة بالمانية كلها ولاشبهة في ان كل ما كانت تتمناه القيصرة على الله هو ان يجاس فلذة كبدها على عرش روسية في المستقبل . وكان خضوعها لارادة راسبوتين سبباً في توجيه الانتقاد اليها ولم يكن هناك سبب آخر وكانت القيصرة تود — لاجل سعادة ولدها على الاقل — سلامة روسية وانتصارها اكثر من القيصر نفسه ورب سائل يقول : وهل ظل القيصر فى غفلة عن اعمال راسبوتين ؟ نعم ! قد طلب مراراً من القيصرة طرده وقد طرده غير مرة الا ان التدابير التي بثها فى البلاط كانت تحير العقول فلقد جذب اليه قسما هاماً من خدام القصر واستهواهم بكل وسيلة واوصاهم بان يعطوا الامير علاجاً مهيجاً فيما اذا طرده القيصر فكانوا يفعلون ذلك وكان مزاج الامير ينحرف كلما طرد « راسبوتين » على ان أوقات صحة الطفل كانت قليلة ومحدودة بغير اي علاج مهيج وكثيراً ما كان يشرف على الموت ثم يتعافى . وتصادف لسبب ما ان انحرف مزاج الامير على اثر طرد الراهب فارتفع الضجيج واخذت القيصرة تصرخ قائلة : ليأت « راسبوتين » ولينظر ماذا حل بالطفل ... وهكذا رجع الخبيث الى البلاط بكل احترام وبجلة ذلك لان القيصرة قد رسخ فى ذهنها ان الطفل سيختطفه المردة والعفاريت اذا خرج « راسبوتين » من القصر .

اما مفاسد هذا اللعين ومثالبه فكثيرة لا يمكنني ان احصيها فى هذه العجالة ولاتحيط بها الاسفار الضخمة . وخلاصة القول انه كان يوصل القرارات والخطط الحربية التي يختطها المجلس العالي القيصري الى مقر



الغراندوق « ديمتري باولوويج »

القيادة الالمانية قبل ان يطلع عليها قواد الروس .

ولقد كانت الجيوش تتقهقر في ميادين الحرب وكان رجال الروس وشجعانهم يتساقطون – بغير ذنب ارتكبوه – في حومة القتال تساقط الذباب في الشراب جماعات جماعات وفيالق فيالق . والنكبات في توال مستمر والالمان يتقدمون تقدماً هائلا فاستولوا على مقاطعات بولونيا واوكرانيا وليتوانيا وآيالات البلطيق وكشرت المهالك عن انيابها لروسيا العظيمة ومع كل ذلك فان « راسبوتين » واعوانه كانوا دائبين على مفاسدهم ؛ وكانت السنون النحسة تمر ، والمعيشة تزداد حراجة ، وتتجسم دلائل الاضمحلال وتظهر دواعي الثورة للعيان وترى من جهة اخرى الراهب راسبوتين واصحابه لاينفكون عن امتصاص دماء الشعب .

وقد علا صراخ اعضاء العائلة المالكة ، الذين رأوا عيانا مفاسد راسبوتين ودسائسه وهاج هائجهم الا انه ليس ثمة من مجيب لندائهم وقد الح كران دوك « نيقولا نيقولايه ويج » على القيصر بوجوب قتله لا طرده فقط ومع ذلك فقد ظل يقرض شرايين روسيا . وقد صمم الامير « ديمتري باولوويج » – الذي كان قوي الارادة – على اغتيال اللعين بصورة خفية فدعاه في احدى الليالي الى قصره للشرب وكان راسبوتين من كبار السكيرين وبعد ان سكر وثمل سلط عليه من ارسل روحه الى جهنم وغاب خبره من ذلك الوقت . اما الامير فانه ذهب على اثر ذلك الى بلاد السويد بحجة تبديل الهواء وانتقل من هناك الى انكلترة اما القيصرة فانها اخذت تفتش عليه بكل اهتمام حتى اضطربت روسية من جراء ذلك فلم تقف له على اثر فادركت انه اغتيل وبحثت عن جثته وبعد ايام وجدها

البوليس ملقاة في نهر « نيفا » فانتشلها واتى بها الى القيصرة فامرت بدفنها في كنيسة القصر واتخذت قبره مزاراً لها ولولدها حتى الانقلاب الاخير .

ولما حدثت الثورة كان اول عمل للوطنيين ان اخرجوا جثة هذا اللعين واحرقوها ودمروا القبة المشيدة على قبره وهكذا انتهت قصة الخبيث المدعو « راسبوتين » .



الفصل الثاني

اتصال الحكومة الموقتة بالحلفاء — الدوام على الحرب — ظهور جيش الثورة — مارشال بروسيلوف يقود الجيش الهاجم — انتصار بروسيلوف واخذه ٦٥٠ الف اسير — ظفر ترنوبول — هزيمة ترنوبول — كرنسكي ووسائله المدهشة — كرنسكي والجيش الروسي — اسباب التقهقر — منشور القيادة المعروف بالرقم الاول — التزعزع في جميع الجهات — مجلس موسكو الكبير — بيانات النواب البلاشفة في المجلس الكبير — رجال الثورة — كرنسكي والجنرال كورنيلوف — الحكومة الموقتة وكران دون نيقولا نيقولايه وبج — رجوع المجرمين السياسيين الى روسية — عوارض القضاء على الثورة — قيام الجنرال كورنيلوف وهزيمته — علاقات اليهود بالثورة الروسية ودسائسهم — رجوع رؤساء البلاشفة من منفاهم — دخول لينين الى روسية — الاحتفال الكبير — اوامر رجال الثورة بحبس البلاشفة — الانتخابات للمجلس التشريعي — النواب البلاشفة في الانتخابات — التئام المجلس — حصول البلاشفة على الاكثرية الساحقة — تلاعب الحكومة بامر الانتخاب — احرازها الاكثرية — اجتماع المجلس في القصر الشتوي — كرنسكي يفتتح المجلس — الهياج في بطرس برج والمظاهرات الكبرى — ظهور السيطرة البلشفية والقضاء على الثورة — المجازر الدموية في العاصمة — قذف النواب في نهر نيفا من بهو المجلس .

اعترفت اوربا بالحكومة الروسية الموقتة لان دوام روسية على الحرب ضروري جداً لها ولذا فقد بادر دول الحلفاء الى مد يد المساعدة الى روسيا وحيوا الثورة الروسية وكانت الحكومة الموقتة تبشر الاهلين والجنود بقرب عقد الصلح واذا خلت بمعتمدي الحلفاء قالت لهم بانها مواظبة على الحرب حتى النتيجة القطعية وكان الجنرال « غوجقوف » ناظر الحربية يشاهد في الجيش — اثناء تفتيشه — تذمراً ومللا وهياجاً خفيفاً فكان احدهم يسأل الآخر ماذا حل بنا ؛ ماذا سيكون ؛ هل يدوم الحرب ؛ واشباه ذلك من ضروب الحيرة والارتباك .

وقد اتسع نطاق التشوش الى الداخل وحدثت نفس الحركات التي جرت في العاصمة في عدة مدن شهيرة مثل موسكو وغيرها ومع ذلك فقد دانت جميع انحاء روسية للحكومة الموقتة في اقرب وقت وعين ولاة جدد للولايات الشاغرة واعيد النظام من جديد الى البلاد والغي مجلسا الدوما والشورى الاعلا واقيمت مقامهما اللجنة التنفيذية واخذ المجرمون السياسيون بالرجوع الى اوطانهم على اثر شيوع خبر الثورة فعادوا الى البلاد زرافات ووحداناً من سائر اقطار المعمورة ، من السجون والمنفى داخلا وخارجاً وهؤلاء المنكوبون مجهزون طبعاً بالقنابل ومسلحون بسلاح الثورة وقد سعى هؤلاء المجرمون في تسميم افكار الاهلين المساكين البسطاء وتمكنوا من ذلك بسرعة فدخلوا بمدة قليلة الى كل زاوية وكل محل وقلب كل واحد وزرعوا هناك بذور النفاق والفساد فكانوا يلقون الخطب المهيجة ضد الحكومة الموقتة في جميع المنتديات ودور الملاهي والمجتمعات ويشوقون الناس الى مناوأتها ولم تمانع الحكومة لانها كانت قد

اعلنت حرية الكلام والصحافة والاجتماع .

وقد كان « كرنسكى » احد رجال الثورة المعروفين بدس الدسائس فى تلك الاثناء وكان يدخل في اى صورة ويتزيا باى زى فى سبيل آماله الشخصية فتراه فوضوياً كاملا مع الفوضويين وبلشفياً مفرطاً مع البلاشفة؛ وكذلك تجده مع الاشتراكيين والثوار وطبقات العوام والفقراء واصحاب الافكار الجديدة ، والعمال والزراع وجمعيات النهضة والترقى والاتحاد القومي حتى مع الملكيين والقيصريين فكان يدخل مع كل فريق اذا اقتضت الحاجة ولم يكن قطع العلائق مع الجنرال الشهير « كورنيلوف » المخلص للقيصر فلم يعترف بالحكومة الموقتة بل رابط بجنوده في ساحات القتال يراقب مجرى الامور بعزم ورباط جأش . وقد وعده كرنسكى بالسعي في اجلاس قيصر دمقراطي على عرش روسيا . ويفهم من هذا ان امر اكتشاف دخائل كرنسكى كان مستحيلا والحاصل قد تمكن كرنسكى في احد الايام من استلام رياسة الوزارة في الحكومة الموقتة والفضل في ذلك يعود الى مكائده والاعيبه . وقد احس « رودوزيانقو » الرئيس السابق لمجلس الدوما بان الحالة سترجع الى اضمحلال الامة ثانية فنفض يده من امور الادارة واودعها الى كرنسكى فتمكن هذا من اغراء الجند لاغتيال الجنرال « دوخونين » القائد العام فحل مكانه واستلم زمام القيادة العليا للجيش الروسي . ثم اجبر ناظر الحربية « غوجقوف » على الاستقالة وتسنم كرسيه ايضاً فاصبح كرنسكى وهو رئيس الوزارة وقائد الجيوش ووزير الحربية والعدلية فى آن واحد .

كانت الوزارة فى الحكومة الموقتة قد تشكلت لاول مرة برياسة الامير

« ليفوف » وكان سائر الوزراء من طبقة الخواص فلذا انفرضت لشبهات العوام الحديثى العهد باليقظة فاقام هؤلاء ضجة بان الوزارة فى حكومة الثورة قد تألفت من الاغنياء واصحاب رؤوس الاموال وقد استفاد كرنسكى من هذا الموقف الحرج واخذ يتدرج فى الارتقاء الى المقامات العليا وكان هو فى الوزارة الاولى ناظراً للعدلية وقد الغى عقوبة الاعدام عند تسلمه مهام الامور. وهذا مما جلب له محبة العوام ورضاهم وكان سبب تقدمه بسرعة وانتخب فى الحال رئيساً لاحزاب العمال والفلاحين والجند والثوار والاشتراكيين وغيرهم وقد رفعته الصحف الروسية الى ذروة العظمة وترأس هذا الرجل اللجنة التنفيذية لجميع بلاد الروس. والحاصل كان كرنسكى الكل فى الكل واضحى بمثابة لسان حال الشعب الروسي برمته.

ولا شئ اسهل من تلطيف حسيات الامة الروسية ولا يحتاج ذلك الا الى ذكاء مناسب ودهاء ومهارة في استنباط الحيل والذى له شئ من هذه الخصال يتمكن من تدوير امور روسية كما يشتهي. اذ لا يتصور شعب كالشعب الروسي بسيط، متدين، سليم القلب تصعب ادارته فلا يستبعد ارتقاء كرنسكى الى هذه المقامات الرفيعة مع ما توفر فيه من الذكاء الكافي والدهاء وطلاقة اللسان كما ينبغي. وقد ادى قيام الاهلي على الامير [ليفوف] الى تعرض الحكومة الثورية للاخطار. وقد انتهز كرنسكى هذه الفرصة فاضطر الامير على الاستقالة وحل مكانه فصار رئيساً للوزارة. واعتمد بكل قوته على لسانه ودهائه فقد اخذ يخطب ويتباكى وينعق كالغراب ويتألم ويتأوه في جميع الاجتماعات والحفلات والمنتديات حتى في الفيالق والمتاريس بل وفى البيوت ولو تجولتم فى نواحى بطرس برج وفسحاتها لوجدتم كرنسكى قد



المارشال « بروسيلوف »

تسنم كرسي الخطابة وهو يشير بيديه يميناً وشمالا ويلقي الخطب الحماسية المهيجة . كما ان المتجول في ميادين الحرب يصادفه وقد حفت به الجنود وهو يذرف الدموع فيبكيهم . وما اشبهه بالراهب « بطرس الناسك » في الحروب الصليبية وبهذه الصورة تمكن من القبض على جميع ادارات الروس الهامة باسرع وقت فقد اصبح رئيس الوزراء والقائد العام ووزير الحربية والعدلية ورئيس اللجنة التنفيذية وكل ذلك بتودده الى العوام والاستئثار بقلوبهم . وبات المحامي « كرنسكى » يرسم الخطط الحربية للجيش الروسي المدهش وينظم الهجوم والدفاع مع انه لم تسبق له اي خدمة في الجيش ولو ساعة من نهار .

اما قائد الجيوش في القوقاس ؛ كران دوك « نيقولا نيقولايه ويچ » فانه كان اول من رحب بالحكومة الموقتة لانه كان على جانب عظيم من الوطنية والعزم وحب قومه وبلاده ولم يكن راضياً عن حركات القيصر السابقة . ولم يظهر اى مخالفة للحوادث التي جرت خشية ان تخسر روسية ماحصلت عليه من الظفر في تلك المعامع الكبرى وقد اعلن اعترافه مع الجيوش التي بقيادته بهذه الحكومة وانه ظهير لها الا انه لما رأى دسائس كرنسكى يئس من اصلاح الحال واضطر الى الاستقالة ثم ذهب اولا الى قصره في « القريم » ثم رحل الى الاستانة وذهب من هناك الى سويسرا حيث يقيم الآن هو ووالدة القيصر « ماريا الكساندروفنا » .

وبعد ان تقلد كرنسكى مقاليد القيادة العليا ووزارة الحربية اخذ يتجول في ميادين الحرب من جبهة الى جبهة ومن قلعة الى قلعة وقد اخذ يفكر في التاهب بهجوم عام . وليس قصده من هذا جلب عواطف الحلفاء

فقط بل لكى يرضى خواص الروس ، والضباط والجنود ايضاً وكان هذا الهجوم سهلا جداً لان القيصر كان قد اعد العدد والمهمات الكافية للقيام به اذ كان يفكر في اجرائه في الربيع فقد كانت اهراء المدافع والبنادق والرصاص والملابس والمأكولات خلف الجبهات الحربية كالجبال . والذي يرى هذه التلول الجسيمة يؤمن بعظمة روسية لاول مرة خذ مثلا المهمات التي كانت خلف موقع « ترنوبول » وهو احد جبهات الحرب فانه كان من الكثرة بدرجة تعجز الاقلام عن احصائه .

وقد كان كرنسكى في الوقت نفسه يقصد بهذا الهجوم ان يزيل الشبهات المستحوذة على دول الحلفاء وقد كملت خطط الهجوم واستعداداته ودخلت الجيوش الروسية الى قلب مملكة النمسا في منطقة « ترنوبول » بقيادة مارشال « بروسيلوف » الشهير . وقد كان عدد هذا الجيش المهاجم نحواً من مليون جندي ويحتوي على ٢١ فيلقاً ولم يتمكن النمسويون الذين سئموا الحرب اكثر من الروس ؛ من الثبات في ميادين القتال والوقوف فى وجه الروسيين فاسر اكثر من نصف قوى النمسا وفر النصف الآخر وبهذه الصورة تمكن جيش الداهية « بروسيلوف » من القبض على ٦٥٠ الفاً فى ظرف ٢٤ يوماً ولم يحظ احد القواد بمثل هذا الظفر فى اي صفحة من صفحات تاريخ هذه الحرب او الحروب التي قبلها ولو كان لدى الروس مهمات واسلحة كافية ؛ وكان جميع القواد يشعرون بالشعور الوطني ويسعون للغاية القومية بهذه الدرجة لكان جيش روسيا يكتسح جميع ممالك اوروبا الوسطى ويدمر حكوماتها تدميراً . ولكن الواقع انهم لم يكونوا كذلك كما ذكرنا فرجعت روسية مدبرة القهقرى بسبب فقد

القواد وطغيتهم .

وقد طار كرنسكى فرحاً عند سماع هذا الظفر وتضاعف نشـاطه واخذ يحلم بحلم لذيذ فكنت تسمع به ساعة في بطرس برج واخرى فى موسكو وبعد ساعتين اوثلاثة فى جبهة الحرب الغربية وبعد مدة قليله فى جبهة القوقاس واخذ يتجول بسرعة تفوق سرعة (رويتر) وكان ينتقل على الدوام من السيارة الى الطيارة ومن الطيارة الى القطار السريع ومن القطار الى منبر الخطابة ومن المنبر الى ميدان الحرب وهكذا اعتراه الطيش والنزق، ولست فى ما اثبته هنا متحيزاً لكرنسكى فانى يعلم الله اكرهه اكثر من كل احد ولكني اكتب هذه السطور لانها عين الواقع

وقد وزع كرنسكى على الكتائب الظافرة اوسمة حمراء للضباط والافراد والعم على القطعات الوية حمراء وقد استرد الجيش الاحمر الروسي قلعتي (لفوف — لمبرغ) و (وبرزه ميشل) وتسنم ذرى جبال (كاربات) للمرة الثانية ووطأ بقدمه سهول المجر . كل هذا وكرنسكى يشجع افراد الجيش ويلطفهم ثملا بخمرة النصر وقد نشر على الجنود البيان المرقم برقم « ١ » بقصد التقرب اليهم وجعل نفسه محبوباً لديهم اكثر والى القارئ نصه :

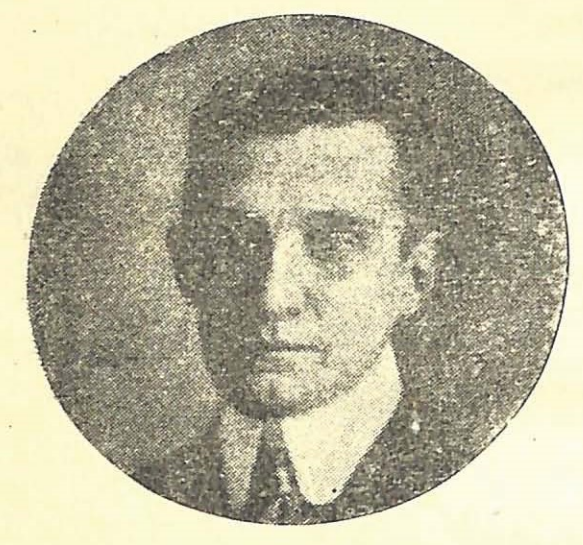
الى الجيش الاحمر للحكومة الثورية الروسية .

بيان عام رقم — ١

ان اعتبار افراد الجيش الاحمر الثوري الروسي وشرفهم ومقامهم واحد ويتساوى فى ذلك القائد والضابط والجندي . واني اعلن للعالم اجمع استعداد الجيش الروسي ومهارته ولذا فلا حاجة الى تشديد الاوامر

والضغط والانظمة الجبرية والقوانين الصورية لان الروس هم اعلى واجل من ذلك. وكل روسي هو داهية ماهر وبناء عليه فلا فرق بين الجندي والضابط، والضابط والمشير (مارشال). وان كلمة (مافوق)و (مادون) اوامر ومأمور هي ملغاة فى الجيش الاحمر فان افراد الجيش من الجندي الى المشير يتمتعون بعين الحقوق وهم فى نظر القوانين بدرجة واحدة وسياق واحد ولا ارجحية لاحد على آخر. ويكون الرأي للاكثرية فى المظاهرات اليومية للقطعة التي تريد اجراء اي حركة حربية مهما كانت درجتها واهميتها وتلغى من اليوم جميع المراسم التي تسمى بمراسم الطاعة والانقياد والسلام الخاص للضباط وغير ذلك من التقاليد المرعية بين افراد الجيش ويكون نصب قواد قطعات الجيش وعزلهم با كثرية الاصوات التي تصوتها تلك القطعة. ولايتمكن القواد من القيام باي حركة اوتعبئة مالم توافق على ذلك اللجان التنفيذية من افراد الجيش. واما العقوبات والمكافآة والتعطفات والحركات والهجوم والتراجع وغيرها من الامور الحربية فانها تعود مباشرة الى اللجان التنفيذية. وما القواد واركان الحرب الا للمشورة فقط وتجاوز هذا الحد يستوجب المسؤلية الكبرى.

وكانت عاقبة هذا البيان المشؤوم وخيمة جداً حيث قلب الجيش الروسي المظفر رأساً على عقب وحوله الى غوغاء. وقد ترك الجند كل شيء واخذ الافراد يتراجعون الى الوراء كانهم يتطلبون شيئاً نسوه منذ عدة سنوات وتشردت القطعات العسكرية وانحل عقدها بعد ان كانت رابضة على قمم جبال « كاربات » وانسابت من ذراه المغطاة بالثلوج، وصخوره المتجمدة ومن بين غاباته الضيقة المسالك ولزم كل فريق طريقاً يؤم بقاع



« كرەنسكي »

مختلفة كسيبيرية وتركستان وقره غستان وموغولستان وتاتارستان والقافقاس وغيرها . وتسرب فساد هذا الجيش الى الجيوش المجاورة له ايضاً فماهى الاعشية وضحاها حتى اخذت الملايين من الجنديتشتتون فى تلك المناطق الواسعة كالجراد المنتشر وقد تركوا خطوط القتال والمتاريس والقلاع والقوا تلك المهمات الوافرة والارزاق الكثيرة في الانهار والاودية والطرق والقفار ولم يكن المتجول فى تلك الاماكن يصادف امامه غير صناديق السمن واكياس السكر والارز والطحين و « البرغل » وعلب اللحم المقدد واكياس الشاى والمربى والحلويات واكوام الجباجب (١) فضلاعن المدافع والرصاص والقنابل والعربات والمطابخ السيارة والحيوانات ، والادوات الفنية الحربية والالبسة والعجلات والسيارات والطيارات والمدرعات ، والقطارات العسكرية والقاطرات وغيرها مما يعجز اللسان عن حصره فملأت كل هذه الاكوام الطرق والادوية والجبال والصحاري بدون حارس ولا صاحب بحيث كان يتعذر المرور على العابرين من هناك لكثرتها .

اما الجنود فانهم قد ولوا وجوههم شطر بلادهم وهم في حالة تعب كانهم سكارى وكان معظمهم مشوهين مصابين باصابات وامراض مختلفة وكانت الجماعات ترجع ماشية اوخيالة زرافات ووحداناً وكان بعضهم يرجع خالياً والبعض الآخر قد حمل اثقاله على ظهره ، هذا صحيح وذاك مريض وآخر مجروح

---

(١) الجبجبة قطعة من كرش او جلد تحشى لحماً وتجفف كما جاء فى مبادي اللغة للاسكافى وهي الـ « باصديرمه » بعينها ، وجمعها جباجب (المعرب) .

وقد تفرقوا في ارض الله الواسعة .

ومما يجدر ذكره انهم كانوا يركبون عشرات عشرات حيواناً واحداً وبهـذا السبب كانت تنفق « تهلك » تلك الحيوانات باقرب وقت . واما عربات النقل فقد تحمل من النفوس ما لا تستطيع الحيوانات جرها لثقلها ولا انسى اني شاهدت في احدى المحطات العسكرية خمسة عربات آتيـة تحمل الجنود وقد كنت اقيم آنئذ في احدى القاطرات بتلك المحطـة . فسارت تلك العربات على جادة منتظمة ولكنها اجتازت مسافـة كيلو مترين في ثماني ساعات وكان السبب في ذلك البطء هو ان كل عربة كانت تقل (٤٠ : ٤٥) جندياً وبعد ان وصلت الخيل الى المحطة وشربت الماء سقطت هالكة . واضطر الجند الى المشي على الاقدام .

وأما السكك الحديدية فحدث عنها ولا حرج . وجلة القول انها كانت الفظائع المحزنة والمناظر المؤلمة بعينها بحيث كان يخيل للرائي انها ساحة المحشر : كان القطار مؤلفاً من ٤٠ : ٥٠ قاطرة جميعها مملوءة باجسام البشر فما كانت العين تقع الا على انسان فكأن القطار قد كسي بطبقة من الاجسام ولا يرى منه شيء وكان الركاب في خارجه وداخله وفوقه ومن تحته ولا شيء يخلو من البشر سوى الدخان المتصاعد منه لان الانسان لا يمكنه التعلق بالدخان وما عدا ذلك كان مغطى بالاجسام وتعلق الافراد بالحبال والسلاسل واللوحات التي في الجوانب وفوق العربات وتحتهـ وادلوا بانفسهم من الشبابيك ولا تسل عن حالتهم عند حركـة القطار . حيث ان قسماً كبيراً من هؤلاء قد تساقط من القاطرات فمرت عليهم العجلات وسحقتهم سحقاً فاكتسى جانبا السكة بالدماء والعظام والاوصال

وغيرها مما يقشعر منه الجسم . وشهد الله اني رأيت ثلاثة وعشرين شخصاً قد ركبوا في حجرة من حجر القطار المخصصة لاربعة اشخاص وركب مئتا شخص فى عربات الحمل ذات الاربعين شخصاً [فرق كشيلك] وكان القسم الاعظم من هؤلاء يختنق او يسحق من كثرة الزحام وتجد بعضهم جالساً فوق البعض الآخر والاسفل يئن او يحتضر او يموت . وكل من يرى هذه الفجائع يعتقد بصدق نظرية (الانسان همجي بطبعه) وذلك لان يوم المحشر الذي يرتاع العالم من هوله لا يكون الا صورة من هذا . ويلزم لكتابة كل هذه المفجعات عدة سنوات الا انني اكتفي بهذه النبذة هنا لابين خلاصة الفظايع التي حدثت في روسية بصورة مجملة .

ولنرجع الآن الى خروج « لودن دورف » مع جيشه من مكامنه ؛ ذلك الرجل الداهية الذي اشتهر باقتناصه افراد الجيش الروسي ولكن ما الفائدة ؟ فان دهاء « لودن دورف » هنا لم يغن فتيلا وكذلك خططه وتعبئته . وربما لم تقف فرسان المطاردة والكشافات الخيالة على اثر للجيش الروسي الذي تفرق كافراخ الدراج . ولما لم يكن هناك جندي يقف في وجوههم اخذوا يحتلون ماشاؤوا من البلاد ويدخلون المدن وقد افاد الالمان هذا التقدم من الوجهة الاقتصادية اكثر من كل شيء فقد صرفوا النظر عن الكبر والعز واهتموا بجمع اللوازم والمهمات التي تركها الجيش المنسحب . وظل الجيش الالماني — على كثرته — نحواً من ستة اشهر وهو مشغول بجمع الاشياء المبعثرة . وقد باعها بعد ذلك للبلاشفة بالدنانير الذهب .

وكان الشعب الروسى المسكين يموت وينقرض ويضمحل واليهود مشغولون فى تلك الاثناء بجمع الدراهم وكنز الذهب والفضة . وصار هؤلاء اليهود فى الثورة الروسية اسياداً واشراف الروس امسوا عبيداً لهم وكان افراد الروس يطرد بعضهم بعضا فى سبيل غاية موهومة اختلقها لهم اليهود فكان يخنق قويهم ضعيفهم بصورة وحشية فظيعة . اما اليهود فانهم — بعد ان اشعلوا نار الفتن — انسحبوا من هذه المعامع وسيطروا على المصادر الحيوية والامور الاقتصادية فتراهم فى الداخل مطمئنين ، فى الدوائر المالية وفى غرف التجارة وفى مخازن الذخيرة والمال والمصارف وغيرها وغيرها . . .

اما الجيش الراجع فلم يكتف بالرجعة وحدها ؛ بل دمر فى طريقه جميع القرى والعمارات التي يصادفها ويضرم النار فيها بعد ان ينهبها ، وربما اعدم القرويين رمياً بالرصاص . فكانت المناطق الواقعة على طريق الجيش المنسحب كلها خراب ينعق فى دورها الغراب وقد صارت الافعال الشنيعة وهتك الاعراض وتحقير المقدسات من الامور الاعتيادية فى ذلك الحين . ولذلك فلا ارى حاجة الى سرد جميع ما وقع هناك . الا اني اعرض للقراء الكرام الحادثة الآتية التى شاهدتها هناك . كانت شؤون الامة الروسية لاتدار الا باحدى حالتين ؛ اما باستبداد مطلق واما بفوضى وقلاقل ولايمكن ان تستقر فيها ادارة منظمة متوسطة بين هذه وتلك . فلو اختبرت الرجل الروسى لرأيته شجاعاً ، مقداماً ، ذكياً فطناً ، يحب الحق والعدل ويشفق على الانسانية او بتعبير عام ان جميع المزايا الحميدة تتجلى فى شخصه الا ان هذا الرجل المطيع المنقاد ، المتدين البسيط

لايمكن ان يعيش بدون رئيس أو آمر فانه يجن ويتوحش ويصير سفاكاً ظالماً . مفترساً وقد اثبتت الحوادث الاخيرة هذه الصفات تماماً »

وقد نحا هذا النحو الرجل المتقلب « كرنسكى » عند ماقبض على زمام الامور الهامة فبدد شمل الجيش الضخم الظافر ببيانه المشؤوم وقد قضى هذا البيان على الروح الحربية والعسكرية فى الجيش الروسي المرابط في ميادين القتال .

أما دوام « كرنسكى » على الحرب فلم يكن الا لتطييب خواطر الحلفاء مع انه اضاف صحيفة سوداء الى تاريخ روسية الحربي من جراء الهزيمة المنكرة في « ترنوبول » بعد الانتصار الهائل في غاليسيا وستبقى هذه النقطة السوداء مدى الدهر . وكان العامل الاوحد في قلب ذلك الظفر الى الخيبة هو البيان ذو الرقم ١ ، لانه سبب حل عرى النظام والطاعة والانقياد في الجيش فاضحى كل فرد منهم قائداً واميراً ولذا فقد تشتتوا بسرعة كانهم يأجوج ومأجوج وتركوا ميادين القتال تعوي فيها الذئاب والكلاب وقد كسرت شكيمة الروس القوية بهذه الدسيسة الدنيئة تلك التي دسها « كرنسكى » اليهودي لقلب الحياة العسكرية فى الجيش الروسي . وسرعان ما احس هذا اللعين بفساد الامور تماماً ولذا اخذ في اعداد تدابير عاجلة وفكر في وجوب اكساء الادارة السياسية الروسية ثوباً قانونياً فادرك ان الهيأة التي يمكنها صبغ الحكم الحالي بصبغة قانونية ورسمية هى المجالس التشريعية لاغيرها ، ولتعجيل التئآم هذا المجلس باشر في عقد مجلس شورى عالي متألف من قواد الجيوش ومن رؤساء الثورة . وقد دعى ايضاً الجنرال « كورنيلوف » الشهير ولم تكن دخائله معلومة الى الآن . ولما

تكلم القوادوانى دور هذا القائد اخذ في نقد الحالة بكل صراحة ونسب جميع ما حل بروسية من النكبات والمصائب الى « كرنسكى » بحضوره واوضح قائلا ان الروس لايعيشون بغير قيصر وذكر وجوب اقامة حكومة قيصرية. ثم خاطب كرنسكى بقوله: افتح عينيك! لايمكن تخليص روسية وانقاذها باستعمال الدسائس والمكائد التي نراها امامنا، نحتاج الى قيصر، يجب التقرير نهائياً هنا!...

وقد ثبت على رأيه فى الاقلية فصرخ فى وجه كرنسكى قائلا « الآن فهمت انك كنت تحتال علينا الى الآن » ثم ترك المجلس قبل ختامه وذهب توا الى مقر قيادة جيشه. وكانت كتائب طلاب المدارس الحربية الذين غلبوا على امرهم فى بادئ الثورة قد التجأت الى جيش « كورنيلوف وبعد ان رجع « كورنيلوف » الى مقره فى الجيش صمم على الخروج على الحكومة الموقتة ومناوأتها. والجنرال « كورنيلوف » من اكبر القواد الغيورين واجسرهم واقدرهم. وكان فى بدء الحرب قد توغل بفيلقه فى قلب بروسية الشرقية ثم اسر هو وجنوده فى مناطق المستنقعات وبعد ان لبث فى اسر الالمان سنة كاملة تمكن من الفرار رغم التشديد والتضييق فى المراقبة عليه والتحق بالجيش الروسي. وقد اشتهر هذا القائد — لعدة اسباب اخرى — بفراسته ودهائه.

وبعد ان رجع من الاسر اخذ ينظم امور الجيش وينسقها ولنتركه الآن لنعود الى ذكر حالة المجرمين السياسيين. اقبل المجرمون السياسيون افواجاً افواجاً الى بلاد روسية وقد باشر البلاشفة في الرجوع الواحد تلو الآخر وانتشرت الدعوة البلشفية فى روسية رويداً رويداً واهتم رجال الحكومة آنئذ وجعلوا يراقبون جوازات الواردين من

الخارج ولم يسمح للآتين من المانيا بالدخول لان المانيا كانت مقراً عاماً للبلاشفة كلنين واشباهه وقد اسس لنين الباشفية هناك ، واخذت تنموا بفضل دراهم الالمان حتى ان الالمان انفسهم قد وقعوا فى نفس الحفرة التي حفروها لجيرانهم اي انهم عند ما ارادوا اضرام النار في روسية التهبوا هم ايضاً .

اخذ عدد البلاشفة في العاصمة يزداد يوماً فيوماً حتى انهم ارسلوا اربعة منهم للحضور في مؤتمر « موسكو » الاعلا ولم يسكت هؤلاء ؛ بل قالوا بملء افواههم : لتنسحب الحكومة المؤقتة ولنقبض نحن على زمام الادارة فاننا ندير دولاب روسية احسن من غيرنا . وان لم تتركوا لنا المقامات الآن بالرضا فاننا نطردكم منها قسراً في المستقبل القريب الى غير ذلك من عبارات التهديد والوعيد . فزج هؤلاء في السجون عقيب كلامهم هذا نظراً لسوء أدبهم ومع كل هذه الاحتياطات والتحفظات اصبح عدد البلاشفة مستمراً في الزيادة وانتشرت دعوتهم ومطبوعاتهم وادبياتهم بسرعة خارقة في جميع انحاء روسية . وقد طلب « لنين » من الحكومة الموقتة ان تسمح له بالرجوع الى وطنه . فسمحت له بذلك ولكن الدول لم توافق على مروره من بلادها واوصت الحكومة الموقتة المانيا بعدم السماح الىنين ان يعود فيدخل البلاد من جهة خط الحرب . الا انه قد وفق بصورة عجيبة الى الدخول لبلاد روسية من تلك الجهة وربما كان الالمان هم المساعدون لذلك فاختلج الشعب الروسي لدخوله واخذوا يفتشون عليه فلم يجدوه وزاد الاضطراب والهياج واهتمت الحكومة لذلك واصدرت اوامرها بالقبض عليه ولكن اين هو ؟ . . .

ولما رأى الاهاون السذج اهتمام ولاة امورهم قد بلغ هذه الدرجة ؛ صاروا يمجدون البلاشفة ودعاتهم لان « الانسان حريص على ما منع » ويدعون لهم بالنجاح بدون ان يعرفوا ما معنى البلشفية بل بمجرد سماعهم بها ورؤيتهم لاصحابها والفت جماعات من الاهلين والجند والفلاحين والعمال عدة لجان بلشفية قبل ان يحدث شيء جدير بالذكر ويفهم من هذا ان هذا المذهب انتشر بصورة هائلة وصادف اقبالا عظيما بين طبقات الرعاع ، في القرى والمعسكرات وغيرها ورجع البلاشفة الى روسية في هذا الوقت الحرج ، في حين ان كل روسي كان يفكر في ايجاد وسيلة للخلاص من هذا المأزق وقد التجأ الشعب الى [لنين] لان سمعته كانت احسن من سمعة « كرنسكى » وعلم رسمياً رجوعه فخرجت الامة لاستقباله وقد حاذرت الحكومة من التعرض لشخصه نظراً لما رأته من حماس الشعب وتعلقه به واشتركت فعلا في المظاهرات مكرهة على ذلك . واستقبل [لنين] ودخل العاصمة بحفاوة مدهشة .

كان يوم رجوع « لنين » الى روسية يوم عيد لجميع الاهالي فزينت العاصمة بالرايات الحمراء واشتركت ايضاً في الاحتفال به جميع دوائر الحكومة طوعاً او كرها واصبح « كرنسكى » دونه بمراحل في الاهمية ، واجترأ كل فرد على تفنيد اعماله وتقبيحها لان مجده قد تداعى برجوع « لنين » ولم يعد احد يحترمه ؛ وذلك لانه سبب فشل جميع مساعي الروس وفل عزائمهم ببيانه المشؤوم والحاصل ان عجز الحكومة الموقتة وسوء ادارتها اصبحا يظهران للعيان . ولذا فانهم دخلوا في المذاكرات مع [لنين] ورفقائه بقصد الائتلاف ولم يكن [لنين] في الظاهر يقصد شيئاً الا ان جماعته

كانت تسعى خفية لاسقاط الحكومة الموقتة بكل قواها. واتفق ان اختفى «لنين» فجأة في بطرس برج ، واصدرت الحكومة الموقتة على اثر ذلك اوامرها بالقبض على البلاشفة وحبسهم فانقطع صوتهم ظاهراً بناء على ما حدث من الضغط .

وكان الجنرال « كورنيلوف » الذي سبق ذكره يسعى السعي الحثيث فى اكمال عدد جيشه وتسليحه بينما كان كرنسكى مشغولا في امر البلاشفة ؛ وعند ما اكمل « كورنيلوف » تجهيزات الجيش وسد نواقصه اعلن خروجه على الحكومة الموقتة بصورة رسمية .

لم يكد ينتشر خبر قيام الجنرال « كورنيلوف » حتى قامت قيامة الصحف وعلى الاخص المتشبعة بالافكار البلشفية منها ، واخذت تسلق الجنرال واتباعه بالسنة حداد فوصفته بانه لم يعترف بالحكومة الثورية وانه من « الحزب الاسود » وانه يضمر للوطن افكاراً سيئة ، ويسعى لقلب الحالة وارجاع القيصر واغتصاب الحرية ... الى غير ذلك وقد اضطرب كرنسكى ايما اضطراب فحل المجلس الاستشاري حالا وذهب لجمع شتات الجيش الاحمر وصار يلقي الخطب الحماسية ويتباكى حسب عادته ، فى المعسكرات والقلاع والثكنات وركب القطار السريع الخاص — وهو قطار القيصر سابقاً — وفتش المناطق العسكرية والجبهات من اقصاها الى ادناها ورجع الى العاصمة . ثم انه تخابر سراً مع الجنرال الثائر لدرء ما عساه ان يقع من التقلبات وقطع معه الوعود والعهود . ظنا منه انه ربما وفق الجنرال الى القضاء على الثورة وارجع الحكم القيصري فيكون « كرنسكى » قد امن مستقبله ولذا فانه لم يقطع الصلات الودية مع

كورنيلوف وجيشه وقد اجاب عدة طلبات للعصاة .

وفي الاخير اطلق العصاة اول قنبلة على الحكومة الثورية وتقدمت فرق الخيالة الى ناحية بطرس برج تحمل الاعلام القيصرية ذات الالوان الثلاثة . وقد دوى صدى هذه الحركة في جميع انحاء روسية وادت الى هياج الافكار فى المدن وخاصة فى بطرس برج وموسكو وهب اليهود والبلاشفة وجواسيس الالمان لدفع هذا الخطر بكل قواهم وارتفعت اصوات الدعاية ضد حركة « كورنيلوف » وهاجت الصحف وماجت . فكانت روسية آنئذ في احرج المواقف .

اما كرنسكى فانه جمع بقية الجنود الرماحة من اقرب المواقع الحربية الى العاصمة وعباهم فى نواحى « بطرس برج » وكذلك جهز قطعات « غارنيزون » العاصمة وكتائب الحرس القيصري السابقة والتي قد عاهدته على الولاء وخرج بهم للقاء « كورنيلوف » الذي كان قريباً من المدينة وقد وصلت طلائع جيشه الى اول محطة في العاصمة وتسمى « كاتشين » فاضحت المدينة تحت رحمة المدافع ، والقنابل تنفجر فى آفاقها . فكان آخر تدبير للحكومة الثورية انها جهزت جميع عمال المعامل وكل من يتمكن من حمل السلاح فى « بطرس برج » وارسلتهم للدفاع عن المدينة التي كان ينتظر سقوطها ساعة فساعة .

وبينما كان جيش الجنرال الثائر محاصراً العاصمة واذا بالقطعات التى كان كرنسكى قد تمكن من اغرائها وجلبها الى الحكومة الثورية قد وصلت الى العاصمة وصارت تضرب مؤخرة المحاصرين الذين كانوا يسعون لاسترداد الشرف القومي للروس واعادة حق القيصر الصريح ولما رأى

الجنرال نفسه بين نارين اضطر الى تفريق جيشه الى قسمين احدهما يدافع العدو الهاجم من خلفه والآخر يقابل الجيش الذي طوق العاصمة وبهذه الصورة تأخر فتح المدينة واحراز الظفر النهائي .

وكان اول عمل قام به هذا القائد الغيور انه ارسل الى القطعات الآتية من خلفه وناشدهم بالشرف القومي ان ينصروه وان لم يفعلوا ذلك فليبقوا على الحياد ويتركوه وحكومة « كرنسكي » فلم يتلق منهم جواباً سوى الرفض البات وصوبوا مدافعهم البعيدة المرمى على هذا الجيش الباسل واصلوه ناراً حامية . اما الجنرال « كورنيلوف » فانه ارتأى ان يبدأ بالقطعات الهاجمة عليه واذا خلص من شرها رجع الى حصار المدينة . ففعل واصطدم معها عدة صدمات ولما اقتنع بانه لا يتمكن من الظفر بها نهائياً نظرا لكون عدوها يتكاثر يوماً فيوماً وتتضاعف قواتها ؛ ولى وجهه شطر العاصمة لانه رآها اضعف . وقد توالت هجوماته الشديدة على قلاع المدينة مدة ثلاثة ايام وبعد ذلك دخلت جنوده الا ان الجيش كان تعباً مهنوك القوى وكان كرنسكي وبقية الرماح يطاردون الجيش الفاتح في مؤخرته . وبينما كان امر اعلان الحكم القيصري على وشك الوقوع اذ انقض كرنسكي وجموعه على الجيش الظافر التعب واوسعوه قتلا واسراً حتى اجبر كورنيلوف ومعيته على الفرار . واسر الباقين . وبالنتيجة فقد رماهم الثوار في نهر « نيفا » جميعاً .

خلا الجو ثانياً لكرنسكي فتنفس الصعداء . ووزع الاوسمة والرايات الحمر على الجيش الذي ناصره ونكل بجيش الجنرال الثائر . هكذا كانت الاعيب اليهود تنكل بروسية وتجعل احدهم يقتل الآخر وهذه مكائدهم

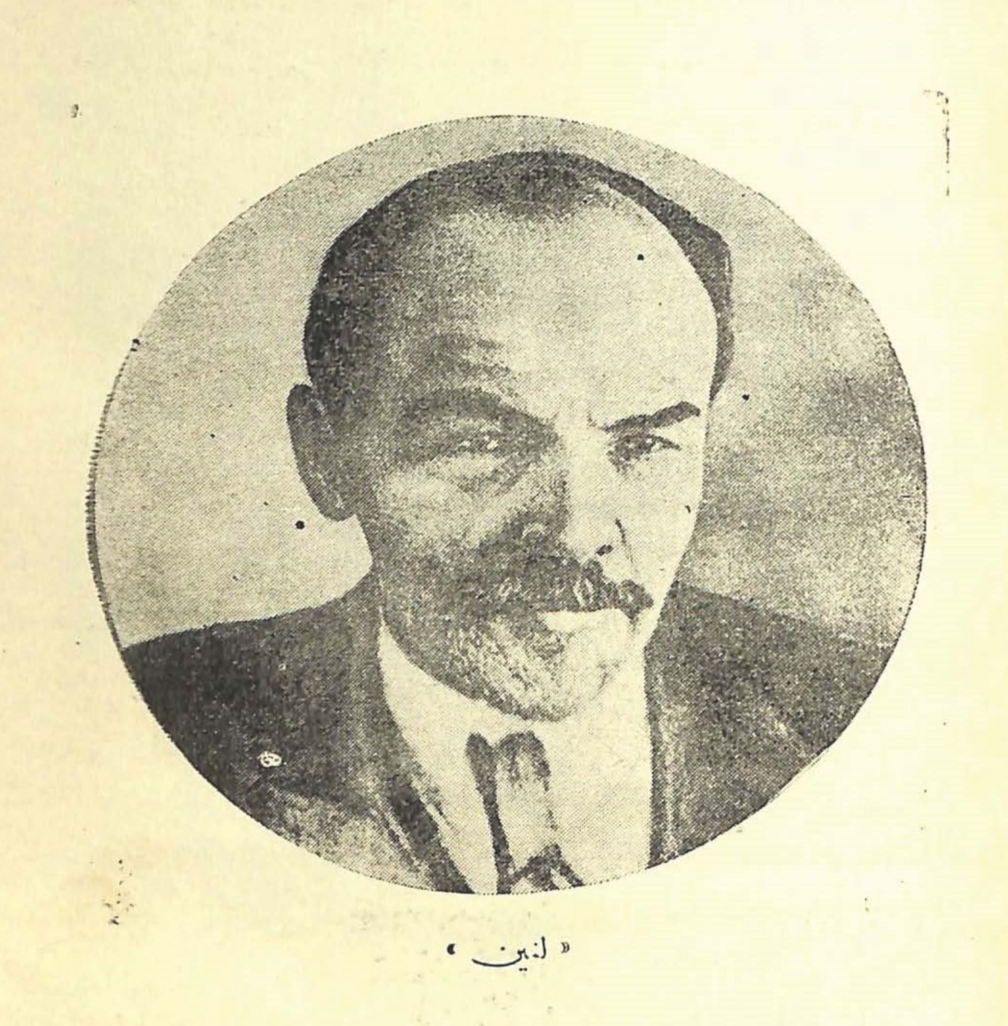
التي لم يكتفوا بها بان يسلبوا ثروة الشعب بل تجاوزوا ذلك الى القاء الفتن بينهم فيقتتلون بعضهم بعضاً كالنار يأكل بعضها البعض الآخر.

وكان اليهود اثناء هذه المذابح الدموية حاملين النجمة الحمراء السداسية الاطراف على صدورهم رمزاً للثورة والحرية وهذه سياستهم!

وبعد هذه الفاجعة المؤلمة ذهب الجنرال «كورنيلوف» متنكراً الى قوازق «دون» وصار ينتظر الفرصة هناك.

ومع ان الامر قد انتهى بفوز الجيوش الحمر فأن «كرنسكى» قد سقط من الانظار ولم تبق له اي مزية سياسية وقد احس اخيراً بان موقعه وموقع حكومته اصبحا وهى من بيت العنكبوت فلذا اخذ يشعر بوجوب تقوية حكومته بأن يصبغها بصبغة قانونية، فاتخذ من الاحوال الحاضرة خير وسيلة لجمع المجلس التشريعي؛ الا انه كان الواجب يقضي عليه بالاهتمام في امر انتقاء النواب لئلا تكون الاغلبية للبلاشفة ولم يكن يتمكن من التصريح بهذا الفكر حيث ان قوانين الحكومة الثورية كانت تبيح للشعب حرية الانتخاب بصورة مطلقة جداً ولجميع الاحزاب ملء الحق بانتخاب النواب فكان «كرنسكى» في حيرة شديدة تجاه هذا الامر.

اعلن الانتخاب وصرح كرنسكى بأن الاهالي احرار في انتقاء النواب ولا حق لاحد في المداخلة ولكنه اوعز الى الولاة والعمال في الجهات المختلفة بان يسعوا الى ترشيح اشخاص معلومين للنيابة وجعل للجيش حق الانتخاب ايضاً. وقد هيئت المجالس وعقدت المظاهرات والاجتماعات في كل مكان وتليت الخطب والمحاضرات فى جميع النوادي وكان الاهالي والعمال وافراد الجيش بل وجميع الرعاع تميل طبعاً الى الزعماء البلاشفة



« لنين »

فكانوا يحضرون الاجتماعات البلشفية اكثر من غيرها ويسمعون الخطب التي تلقى فيها فحصل في النتيجة المرشحون البلشفيون على اكثرية الاصوات ، ومما زاد فى تقريب الاهالي اليهم انهم كانوا يسعون الى عقد الصلح مع الالمان مهما كلفهم الامر بعكس كرنسكى وحكومته التي كانت لا تنطق بلفظ الصلح نظراً لارتباطها بالحلفاء . ولذا فقد كان السواد الاعظم يرحب بالمنهج البلشفى ولم يقصر الخطباء البلاشفة في اظهار دخائل كرنسكى وبيان حيله مما اثر تأثيراً شديداً في افكار الشعب فاصبح الرأي العام ضد كرنسكى وحكومته .

انتهت الانتخابات وحضر المنتخبون الثانويون ثم النواب . فكان عدد النواب البلشفيين نحو ثمانين بالمئة ؛ الامر الذي لم يكن يخطر ببال احد . ولكن الحكومة تدخلت فى الامر واساءت الاستعمال فدست بين النواب من شاءت واخرجت من شاءت . فاضطرب البلاشفة لهذا العمل وهاجوا وتجمهروا وطلب خطباؤهم باسم الشعب اعادة الانتخابات ولكن الحكومة لم تسمع ذلك فدعت النواب وعقدت المجلس بالقصر الشتائي الكائن فى بطرسبرج وافتتح كرنسكى المجلس بخطبة ثم انتخب الرئيس الاول والرئيس الثاني للجلسات وكانت الاكثرية الساحقة فيه لطبقة الخواص « الارسطوقراطيين » وبينهم الامراء واصحاب الثروة وكان البلاشفة الاقلية ولا شك فى ان هذه الالاعيب لم ترق لاعين الطبقات العامة من الاهالي كالزراع والعمال والجنود فاعلنوا العداء لهذا المجلس واشاعوا بانه نسخة ثانية من مجلس الدوما وانه سيصدع بارجاع القيصر ويعيد الحكم المطلق الى غير ذلك وكان البلاشفة يزيدون في اضرام هذه النار

وقد ترأسوا هذه الجماعات السافلة واحدثوا ثورة هائلة في بطرسبرج استناداً على هذه الغوغاء فكانت هذه الثورة اشد من الثورات السابقة ولم يقف في وجوه الثوار احد لأن قسماً من القوة الضابطة كانت في جانبهم والقسم الآخر قد مل الوقوف فى وجه القلاقل المتتابعة فلم يبد احد حراكا وظلوا على الحياد . واما الجنود والعمال والفلاحون فانهم كانوا مع البلاشفة جنباً لجنب . فهذه هى الثورة العظمى وبدء وظهور البلشفية !

وكان اول عمل للثوار والبلاشفة انهم هجموا على القصر الشتائي الذي يلتئم فيه المجلس التشريعي واستولوا عليه بعد مصادمة خفيفة . وتمكن نحو نصف النواب من الفرار وقبض الرعاع على الباقين منهم فرموهم فى نهر « نهوا » من شبابيك القصر وبدأت الفوضى من هذا الحين واصبحت الامة نازعة الى التمرد فلم تدع محلا الا وتنهبه ولا انساناً الا وتمزقه فكنت ترى الشعب نملاقد تأبط قناني الخمر وتسنم كراسي الحانات مغرداً باناشيد الهياج . وهجمت الجماهير على دور الامراء وقصور الاغنياء فنهبوا ما فيها واحرقوها . ومن هذه الدقيقة تبدأ الفوضى .



الفصل الثالث

المنشورات : البلشفية — الدوران القيصري والبلشفي — روسيا والروس في هذين الدورين — القياس بين الدورين — سمولني — مقرراته المدهشة — حكومة العوام — قوانين العوام — اساسات المذهب البلشفي — غاية البلاشفة — تشكيلات العوام — الجماهير المسائية — الجيش الاحمر — السبب في ظفر البلاشفة — خسارة الروس — بيت مال العوام — لوائح « سمولني » السبع الشهيرة : ١ — لائحة الحرب والصلح ، ٢ — لائحة العوام والخواص ، ٣ — لائحة الدين ، ٤ — لائحة الحياة البشرية ، ٥ — لائحة القوة والضعف ، ٦ — لائحة الحكومة ، ٧ — لائحة المحاكم . . . .

البلاشفة

« بولشفيك » كلمة روسية ومعناها « كثير الطلب » يعني « متطرف » او بتعبير السياسة « الاشتراكي الايسر » او الاشتراكي المتطرف » ولا يمكننا ان نوضح فى هذه العجالة تاريخ تطورهذا المذهب ورجاله المبرزين ومناهجه وغاياته ونفصل ذلك باسهاب نظراً لضيق المقام ولكننا نكتفي بعرض النقط الوجيهة لهذا المذهب المهلك الخطير وقبل الخوض فى عباب هذا المشروع الهام يتحتم على ان اشرح اعمال البلاشفة في روسية وادارتهم فانها كانت عبارة عن القتل والسلب والنهب والفوضى بكل معانيها والى القارئ بعض ما شاهدته بعيني في روسية فى خلال السنوات العشر الاخيرة

شاهدت في روسية حالتين احداهما الحالة المدنية والثانية الحالة الهمجية وسأفصل ذلك على الترتيب :

١ — الحالة المدنية وهي الدور القيصري . فقد كانت قوانين المملكة ونظاماتها مبنية على اسس متينة ، ومرتبة على الطريقة النيابية وقد كان لها مجلس نواب « دوما » ومجلس شيوخ « الشورى الاعلا » ولها وزارة تصطفى من بين هؤلاء وينصب اعضاؤها بالارادة الملكية وهي مؤلفة من رئيس وعشر وزراء . وكان الآمر المسيطر على هذه الزمرة المتسلسلة هو القيصر فكانت حكومة قوية الشكيمة تدار بطريقة الحكم المطلق العادل .

كانت دواليب الامور تدور على محورها المناسب وتشتغل الدوائر كما تشتغل الماكنة المنظمة والامور تجري بمجراها الطبيعي وكان كل صنف من اصناف الاهالي آخذاً في عمله وقانعاً برزقه وطرز معيشته وادارته فالفلاح في المزرعة والعامل في المعمل والجندي في الجيش والتاجر في متجره والضابط في قطعته والقائد في موقعه وكذلك الامرآء كـ « البرنس » و « الدوك » و « البارون » و « الماركيز » فانهم كانوا جميعاً مشغولين بمعيشتهم وحياتهم الاجتماعية . وكل فرد آخذ في الرقي التدريجي في دائرة اختصاصه ومهنته بقدر ما تساعده القوانين الموضوعة . والحاصل كانت كل مهنة موكلة الى اهلها ولذا فكنت ترى الامة الروسية البالغة ١٨٠ مليوناً من النفوس تعيش عيشة راضية بصورة تحير العقول فلم يكن احد يجرأ على التعرض لغيره وكانت الحرية الشخصية محترمة ومصونة وقيمة الحياة عزيزة . وكان كل فرد يقابل بما له من الاحترام بنسبة منزلته بين الناس ودرجته بين اصحابه فلا غدر ولا ظلم ولا ادارة كيفية في بقعة من

بقاع روسية كما ان كل انسان كان آمناً على حياته ومتمتعاً بحقوقه الشخصية كحق التملك والاختصاص في كل مكان وزمان وكان الامن ضارباً اطنابه في جميع انحاء الامبراطورية ولم يسمع احد بكلمات الفقر والفاقة والاحتياج اذ كانت البلاد غنية جداً ، والتمدين سائداً على ربوع المملكة من ادناها الى اقصاها ، ووسائط النقل ممتدة من الشرق الى الغرب والسكك الحديدية منظمة وراقية . ولم يكن في وسع احد ان ينحرف عن النظام والقانون بقدر الذرة . فكنت ترى تلك الملايين من النفوس منتشرة في هذه البلاد المترامية الاطراف وهم تتحرك بنظام تام كحركة آلات الساعة ولا يسع المشاهد الان يغبط نوع المعيشة التي كانت العناصر المختلفة تتمتع بها. وكانت جميع الطبقات من الفلاح الى الامير -- تعيش مسرورة فرحة، فخورة سعيدة. وكان حسن نظام المملكة وجودة المناخ ونقاء الهواء ولطافة المباني وانتظام الطرق ونظافة المنازل والفنادق ، وظرافة السكان ورشاقة القدود وسلامة الابدان بدرجة تحير العقول فلو وجهت نظرك الى اي جهة لا تجد امامك الا سواداً متصلا من الغابات العظيمة والجنائن والحدائق والرياض الغناء . والنصب والهياكل الفخمة التي تمثل مفاخر الاجداد والتي كلف نصبها القناطير من الاموال ، وقل ما شئت عن جداول الماء والانهار والجسور والمعامل والانفاق ، وغيرها من مظاهر المدنية والعمران مما يبهر عقول السياح .

ومما يزيد في لطافة المناخ هو دماثة اخلاق الامة الروسية ورقتهم المعروفة وظرافتهم فكان الاقليم الروسي على جانب عظيم من الحسن

والبهاء بصورة يندر وجود مثلها في سائر البلاد ولم ينل احد من الامم ما ناله الشعب الروسي من المزايا الفطرية الحميدة والمناقب الرفيعة، الا القليل .

هذه نبذة موجزة عن حالة البلاد الروسية وسكانها على العهد القيصري ولنذ كر الآن حالتها في عهد الفوضى فنقول :

٢ — الثانية : الادارة الفوضوية او (روسية الحمراء) وهي الادارة المختلة بعينها ؛ بل هي استبداد العامة بشكل رهيب فلا ترى الا القتل والنهب والسلب والغزو والنزاع والعراك، وخراب البيوت ونسف المعامل واحراق كل شيء ونهب المصارف وتدمير الارصفة من اقصاها الى ادناها ولا تشاهد رجلا الا وتجده حاملا قناني الشراب والخمر [العرق] وهو ثمل يتمايل ويغني بملء شدقيه . وليس ثم من يسمع الشكوى فالكل جناة ولصوص وقطاع طرق، ولا اثر للمحاكم وقد طرحت القوانين فى البحر والحاصل قد محيت جميع اثار المحاسن من تلك البلاد اللطيفة فاين ما ولى الانسان وجهه يجد خرائب ومقابر وبنات باكيات ونساء تئن واطفال تصرخ وشيوخ تعالج سكرات الموت .

فترى الناس سكارى وما هم بسكارى فلا الاب يشفق على ولده ولا الابن يعرف والده ولا الاخ يحن الى اخته ولا افراد العائلة يحترم بعضهم بعضاً بل تجد احدهم يتعدى حتى على حرمة ابيه وامه بدون مبالاة والخلاصة ان كل فرد اصبح وحشاً ضارياً وفقدت الخصال الشريفة كالرحمة والشفقة ومخافة الله وغيرها . تتجمهر جميع الاهالي في تلك البلاد الواسعة على اختلاف الملل والنحل وتهجم على اماكن الحكومة او المصارف اوالمعامل

والمستودعات والحوانيت والمخازن حتى على البيوت فتنهبها وتضرم النار فيها وقد يموت من جراء هذه الحالة كل يوم عشرات بل الوف من الناس تحت اقدام الجماهير . وكان الاعتداء على العفة وتلويث ناموس المخدرات وشرفهن عاماً وقد صعدت الاستغاثة من افواه هؤلاء الى عنان السماء ولا من مغيث . وهدمت الكنائس وخربت المعابد ودمرت المساجد وقتل الرهبان وذبح الائمة ورمى الضباط بالرصاص وعلقت رؤوس الولاة والقواد على اطراف الرماح والحراب وكم وكم من صاحب معمل او تاجر او غنى او شريف او امير القي في الفرن واحرق وهو على قيد الحياة اورمى فى موقد البواخر اوفي اتاتين المعامل وكان يشاهد احدهم يحمل كيساً على ظهره واخر يحمل صندوقاً على رأسه وثالث تأبط سلة ورابع في يده دلو وخامس عنده فاس وسادس بكفه مسحاة والجميع يجوبون في المدن ويؤمون العمارات للنهب والتخريب وسفك الدماء وقد رأيت بعينى نحو ١٥٠ ضابطاً برتب مختلفة قد اخذتهم الغوغاء ورموهم بصورة فظيعة في آتون المعمل وهم احياء يصرخون ويستغيثون بصورة تنفطر لها القلوب ولا ذنب لهؤلاء سوى انهم كانوا مستخدمين في حامية احدى المدن وقدحاول البلاشفة ان يلقوا كاتب هذه الاسطر في النار لولا ان ارسل الله علي احد البلاشفة انفسهم وهو من التتر وخلصنى واما الافراد البحريون فانهم رموا بضباطهم جميعاً في مواقد المراكب واحرقوهم وهم احياء .

يدخل قسم من الغوغاء الهمج الى دار احد الاغنياء كتاجر او امير او وال او قائم او ضابط واول عمل يأتونه هو انهم يربطون الذكور بالحبال

الى اعمدة البيت ربطاً محكماً وينهبون جميع ما في الدار ثم يتقدمون الى النساء والعذارى فيفترشوهن الواحدة تلو الاخرى امام رجالهن وربما ادى عملهم هذا الى موتهن ولا ينفكون عنهن حتى بعد المماة وعيون الرجال تنظر ولا تتمكن من عمل شيء فاذا فرغوا من هذه المخازي تركوا الرجال مغلولين واضرموا النار في الدار . فلا يسع المشاهد لهذه الشناعات والمظالم الا ان يعتقد ان الانسان لا فرق بينه وبين الوحش الكاسر وان الذى يجبره على الاعتدال والسكون هي القوانين والعقوبات المادية والمعنوية

ولا ادرى ماذا حل باولئك الاقوام الذين وصفتهم قبل الآن بالتؤدة والحلم وعلو الجناب هل اعتراهم داء الكلب بسرعة وفي يقيني ان من يشاهد هذه الغرائب يكون قد اعد نفسه ليوم الحشر . فكم حدث من العجائب والخوارق التي لا ترد على الخاطر ولا يمكن تصديقها . وهكذا الانسان اذا تجرد عن القوانين المعنوية والانظمة المادية فانه يعود همجياً سفاكا الى هذه الدرجة .

يرى المشاهد ، ان الولد يذبح والده بيده ، والوالد كذلك يمزق والده والاخ يخنق اخاه وربما رأى احدهم بحضوره انتهاك عرضه او تلويث ناموس امه او اخته من قبل غيره فلا يبدي اي حركة بل يقابل ذلك بالرضا ولا يؤول هذا الا بآفة سماوية والا فان هذه الفظايع لا يمكن ان يرتكبها البشر في العصر الحالي ؛ فقد اصبحت تعد من الامور الاعتيادية في روسية الثائرة والسبب في هذه الفظايع هو المذهب الشيوعي فقد يكون الولد مثلا شيوعياً والوالد قيصرياً ، ولذلك يعمد القوي الى الضعيف عند سنوح اول فرصة فينكل به وهكذا قس على ذلك

ولم يكن فرق بين قتل الانسان او قتل البعوض فى روسية اثناء الثورة الشيوعية حتى فى زماننا هذا ولا يزال الشيوعيون على هذه الصورة الى الآن. الا ان الناس هناك قد ملوا هذه الاعمال واعتادوا على الفظاعة والاصح ان العدوى سرت فيهم شيئاً فشيئاً حتى صاروا جميعهم على شاكلة واحدة ولذا فقد قل الان عدد حوادث القتل والسفك والهتك. ومع هذا فان البلاشفة الآن لا يتحمل احدهم تحكم الآخر فتراهم يختلقون الاسباب الواهية للفتك ببعضهم عند سنوح الفرص ولا يزالون كذلك. ولا يأمن الذاهب من داره الى السوق على حياته وكانت هذه الحالة الى نهاية سنة ١٩٢١ فكانت البلاد الروسية تتقلب فى ظلمات الاضمحلال والمهالك نحواً من ستة اعوام.

واما اسباب قلة هذه الفظائع الآن بالنظر الى السنين السابقة فذلك لان الروس لم تبق لهم طاقة على اتيانها اذ وهنت قواهم ضعفت عزائمهم وجمد فيهم ذلك الدم الحار ولم يبق كبير فرق بينهم و بين الاموات نظراً لما انتابهم من مصائب وويلات المجاعات وغيرها فالانسان يمل كل شيء كما انه يتعود بالتدرج على كل شيء وهذه هى طبايع الانسان وبهذه الكيفية لم يبق فى روسية عرق ينبض او قلب يخفق بل اصبحوا سواسية كاسنان الحمار. وقد اضاعت البلاد من جراء هذه الثورات وبتأثير المجاعات نحواً من ٢٥ الى ٢٨ مليوناً من النفوس وقد فقدت فى الحرب العامة نحواً من ٨ ملايين فالمجموع ٣٥ مليوناً ذهبت ضحية الاغراض. ومهما يكن الامر فان امة تضيع عدداً عظيماً [كهذا] من ابنائها فلا يبقى منها من يقوى على حمل السلاح وزراعة الارض الا العدد القليل جداً. ولا

شك في ان الباقين منهم قد انخرطوا في سلك الجيش الاحمر الذي صار العامل الاكبر في هذه النكبات واستفحالها ولكن الدوام على هذه الحالة التعسة بقوة قليلة غير ممكن ! ولنعد الى سرد هذه الحقائق المؤلمة التي شاهدتها بعيني وسمعتها باذني فانطبعت صورها في مخيلتي . فلا يشتبه فيها بقدر الذرة : كانت القطارات الروسية السريعة تجتاز المسافة بين المانيا وبلدة « ولادي وستوق الكائنة في الشرق الاقصى » بنحو ١٥ يوماً بصورة متقنة ومنتظمة جداً . مع ان هذه المسافة لا تقل عن ١٦ الف كيلو متر . وخط سيبرية كله مزدوج . وقد اصبحت اليوم هذه الخطوط من الرداءة بدرجة لا يمكن ان تجتازها القطارات حتى ولا بعد ١٥ سنة . فهل هذا الخراب نتيجة الحرية التي يطلبها الروس .

كانت الامبراطورية الروسية في السابق من افخم دول العالم العظيمة وكانت لها الكلمة العليا والمقام الرفيع بين سائر الامم اما اليوم فقد سقطت الى الدرك الاسفل فلم يبق لها محل في عالم الحياة فضلا عن المقام الدولي . وكانت البلاد الروسية في السابق بلاداً طيبة ، بل جنة من الجنان ، منتظمة وامينة واليوم هي انقاض وخرائب بل قل اكوام رماد بعد ان كانت منذ شهور معدودة تشبع العالم برمته اذا مضه الجوع او القحط وتكسوه اذا عرى فهل هكذا تكون نتائج الديموقراطية ؟ هذه كانت درجة روسية من الغنى والثراء . والآن فقد تبين لدى الاحصاء ان ١٨ مليوناً من ابنائها الروس قد ماتوا من الجوع والفاقة وتدهورت البلاد كافة في هوة الفقر المدقع فلم يبق بين الاهالي وبين السعادة الحقة والمساواة شبه صلة تذكر .

ولو استقامت اليوم امور روسية ونبذ الروس الشقاق والنفاق ظهرياً وسعوا الى الاتحاد والوفاق فانهم لا يتمكنون من ارجاع بعض ما كانوا عليه قبل الحرب من العمران والرخاء والسعادة التي اضاعها البلاشفة باعمالهم في اقل من لمح البصر بعد ان قضى الروس القرون الطويلة من زمن بطرس الاكبر الى الان يعملون بجد على توفير اسبابها .

ولا عبرة بما حدث اخيراً من اعتراف بعض الدول بروسية البولشفية اذ ان هذا الاعتراف عبارة عن تمويهات [مناورات] سياسية وسنأتي على تفصيل الاسباب الجوهرية لهذه الاعترافات وذلك في فصل خاص . وما اشبه ظفر البلاشفة هذا بالتنسك في مرض الموت . ذلك لان المرآة السياسية عبارة عن مجهر « خورده بين » قوي يظهر الجسم الدقيق فيجعله بجسامة الفيل . والا فان البلشفية ليست فى الحقيقة باهلا للاعتراف والاحترام بل يجب ان يصب على جذورها (روح الكبريت) . ولنرجع الآن الى ذكر مقررات « سموالني (١) » المدهشة فنقول :

ان مناهج البلاشفة و نظمتهم التي دونت في الورق فى هذه البناية العظيمة واعلنت للجمهور ، والتي اشتهرت بلوائح البلاشفة السبع ؛ ترتكز على ثلاث قواعد ؛ ١ — عدم التملك والاختصاص ، ٢ — تساوي البشر ، ٣ — الغاء الاديان ونبذ المعنويات ،

---

(١) « سموالني » أسم لجامعة اناث عظيمة في بطرس برج وبنايتها من الفخم بنايات العالم وكانت تضم بين جدرانها في العهد القيصري ما ينيف على عشرة آلاف فتاة مهذبة وكانت ادارتها داخلية (ايليه) وقد اتخذها البلاشفة [بعد الثورة] مقراً عاماً لهم ونظموا مقرراتهم فيها .

١ — عدم التملك والاختصاص :

هو ان جميع المواد المحسوسة والملموسة في العالم سواء كانت حية او جامدة ، منقولة او غير منقولة ؛ لا يختص بها فرد . بل خاصة لجميع ابناء البشر . ولا تحتوي هذه القاعدة على « القوميات » وفي مقابل هذا تنتخب كل منطقة هيأة من بينها وتعهد اليها ادارة شؤونها . وتنتخب هيأة خفية اخرى تراقب اعمال الهيأة الاولى .

ويحق لكل فرد من افراد الامة (ذكراً كان او انثى) يزيد عمره عن الثامنة عشر ؛ ان يراقب اعمال هاتين الهيأتين [العلنية والخفية] فاذا وجدوا اقل زيغ او انحراف من عضو فانهم يصدرون باكثرية الآراء الحكم عليه بالاعدام حالا ولايسيرون في احكامهم على قانون لاخاص ولاعام لانهم يعتقدون لاحاجة لهم الى اتباع القوانين والانظمة ودرسها في المدارس العليا او تطبيق المواد الخاصة على الجرم ويكفي اذا لاحظ رجلان منهم واحداً متلبساً بامر ولو بسيط جدا فانهما ينتظران التجمهر المسائي فيسرع احدهما ويرتقي المنبر ويصرخ قائلا: « اني مع رفيقي فلان قد شاهدنا من فلان [احد اعضاء الهيأة الاولى اوالثانية] المعاملة الفلانية المخالفة لقوانين العوام . وقد اشهدنا عليه فلاناً وفلان وانه لاجزاء لهذا الخائن سوى القتل فماذا تقولون يارفقاء ! ؟ » ثم ينزل ويتسنم المنبر رئيس المتجمهرين ويسأل رأي الجماهير في هذا الشأن فترى الغوغاء تصيح بالحكم عليه بالقتل فلا تمضي ساعات معدودات حتى يقضون على حياة ذلك العضو بما ملكت ايديهم من العصي ، والحجارة ، والرفس ، والصفع والفأس ، والمسحاة ، وما شاكلها . وهذه الحالة هي التي يطلق عليها اسم « حكومة

العوام » فتنتهي هذه المحاكمات والمرافعات الدموية في نصف ساعة من الاتهام الى التحقيق الى الحكم بالاعدام الى التنفيذ....

ولا يجيب المتجمهرون الى اي سؤال يوجه اليهم من هذا القبيل الا بقولهم ، ليقتل ، ليمزق.... الخ حتى ان عقوبة الجنح الاعتيادية هو الاعدام في نظرهم وينفذونه حالا .

وقد شاهدت في طريقي في اثناء فراري من موسكو متنكراً وسآتي بها تباعاً في محلها الا اني اذكر هنا القضية الآتية لاتمام البحث وذلك اني مررت صدفة من بلدة (قزان) الاسلامية المعروفة في روسية وحضرت احد محال الاجتماعات وهو ميدان واسع يشتمل على اكثر من ٥٠ الفاً من الاهالي وفي وسطهم منبر عال قد ارتقاه احدهم للخطابة وكانت تحيط به دائرة من البشر يقدر قطرها بالف متر وهو في مركزها ولاتسل عن اللغط والصياح والصخب الذي يرتفع هنا وهناك فقد كنت على بعد عشرة امتار من المنبر ولم اتمكن من سماع شيء من اقوال الخطيب فماذا يكون بالاحرى الذين على بعد [وهم الاكثر] ومع ذلك فكلما رفع الخطيب يده مستفسراً تجد المتجمهرين يصرخون بلسان واحد قائلين : فليسقط فليهلك ! لنقتله ! ولنمزقه ! في حين ان الخطيب كان قد ذكر هجوم الجند على الحانات ونهبهم قناني الخمر ووعظهم بقوله : « اخواني ان السكر مضر جداً واذا تمادينا في هذه الحالة فان ارادتنا تذهب شذر مذر » ثم سألهم قائلا : « فهل تصوبون دوام الجند على شرب الخمور او تستنكرون ذلك ؟ » فلم يكن جواب الاهالي الا كما هو دأبهم : « فليسقط ! فليهلك ! لنقتله ! لنمزقه ! لانه غني وقد امتص دماءنا وابتز اموالنا »

وقد اعاد الخطيب سؤاله هذا عشرات المرات والمتجمهرون يجيبونه بالجواب نفسه وبالنتيجة لم يتمكن من افهامهم كلامه بصورة من الصور .. فهذه هى ادارة العوام !!...

ولنعد الآن الى ذكر الهيئآت الحمر المنتخبة وطراز ادارتها البلاد فنقول:

تبذل هذه الهيأة قصارى جهدها فى ادارة البلاد وهى خائفة حتى من ظلها فانها لاتتمكن من الاستقالة واذا فعلت ذلك تقتل حيث ان ادارة البلاد هو بمثابة غل فى عنقها فهى ترزح تحته مكرهة . ولا استنكاف في حكومة العوام وتودع لعهدة هذه الهيأة جميع منابع الثروة فى البلاد كالاراضي والحاصلات والامور التجارية والزراعية ورؤوس الاموال والمعامل والمصارف والسكك الحديدية والمراكب وغير ذلك وتتدارك الهيأة مايجب احضاره من العمال للمشاريع المختلفة من الاهالي بطريقة المناوبة وتستخدم كلا فى المشروع الذي له المام به حسب اقتداره واختصاصه ، وتدفع لكل فرد منهم مقابل هذه الاعمال : القوت اليومي له ولعائلته (ولا عائلة فى نظر هؤلاء وانما قصدنا من كلمة العائلة هو ذلك الشخص وزوجته على ان الزوجة ايضاً مكلفة بمزاولة عمل يناسب مقدرتها وسيأتي تفصيل ذلك)

وفى كل سنة تقدم هذه الهيأة جميع الحاصلات للاهالي وتوزعها عليهم ولكنهم لايعطونهم اياها دفعة واحدة لان ذلك مما يؤدى بهم الى الاثراء والبلشفية ضد ذلك بل يعطونهم اياها يومياً (القوت اليومي) او اسبوعياً واعظمه شهرياً وكل فرد يأخذ بنسبة العمل الذى يؤديه للمجتمع واما الشيوخ العجزة او اصحاب العاهات الذين لايمكنهم ان يقوموا بعمل او الاستفادة منهم فكراً اوغير ذلك فانهم يقتلونهم قائلين ان هؤلاء هم

عالة على البشر وثقل على الارض واما الذين يمكن الاستفادة منهم بصورة ما فانهم يعيشون .

وقد قالوا بحاجة البلاد الى جيش يحمي ادارة العوام من مهاجمة الاعداء وكذلك قوة من البوليس والدرك (جاندرمة) للامن الداخلي وقد وضعوا لذلك ترتيباً متنوعاً واطلقوا على الجميع اسم « الجيش الاحمر » وهذا الجيش قسمان : الاول للامن الخارجي والثاني للامن الداخلي . ويفرزون كل سنة مقادير وافيه من الحاصلات العامه لنفقات هذا الجيش وينتخب رؤساؤه من الافراد . ويعين المقطعات ضباط قدماء من الحائزين درجاتها من الاول ويستخدم هؤلاء الضباط بمثابة كتب تعليميه حيه ، بمعنى ان مهمتهم الاستشارة وابداء الرأي فقط كما جاء في البيان رقم — ١ واما القيادة ففي ايدي الانفار الذين ينتخبون من الجند . واليك مثلا الجنرال « كامنيف » الشهير في الجيش الاحمر . فأنه كان في العهد القيصري احد افراد الشرطة العاديين ويهودي الاصل . وقس عليه الباقي

ولهؤلاء عدة من المأمورين والموظفين يدفعون لهم ولعائلتهم مقابل خدماتهم جميع المواد اللازمه لهم ولحياتهم واستراحتهم حتى الابرة والخيط . وهذا الدفع اما يومياً او اسبوعياً او شهرياً . وينقسم طرز المعيشة الى اقسام عديدة ودرجات مختلفة وذلك بنسبة جنس الخدمة او المنصب او المتاعب والمشاق التي يتكبدها المأمور فالفراش مثلا يختلف في الاستحقاق للمواد الحيوية عن رئيس الدائرة وذلك نظراً لخدماته وان كان الاثنان سواء في نظر قانون العوام من حيث الحقوق والمنزلة .

وليس في حكومة العوام بيع او شراء بالدراهم مطلقاً . لان الامة

في عرفهم عبارة عن عائلة واحدة ولا يجوز ان يغش افراد العائلة الواحدة بعضهم بعضاً . فيسعي الفلاح ويسلم الحاصل للحكومة وكذلك العامل يشتغل في المعمل ويقدم انتاجه للحكومة ويتقاضى مقابل خدمته شيئاً منها وشيئاً من كد الفلاح وغيره كما ان الفلاح يأخذ ما يكفيه من انتاج العامل . وهكذا ترى المبادلة متسلسلة وهذه الهيئآت هي التي تقوم باعمال التوزيع على عموم الافراد فتعطيهم ما يكفيهم والزائد يدخر وربما يبيع الى الاجانب بالدراهم والدنانير او عوض بمواد اخرى لا اثر لها في روسية . وتحفظ الدراهم الباقية في بيت مال العوام . » وللعوام بيت مال ايضاً تحفظ فيه الدراهم التي تأتى من بيع المواد الزائدة عن حاجة الاهلين . وتخصص هذه المبالغ لثلاثة مشاريع :

١ — لدفع الاضرار التي تحيق بالعوام . فاذا وقع قحط في البلاد فان الهيئآت تتدارك الخطر فتشتري بهذه الدراهم المقدار الكافي من الطعام من الخارج . واذا تخربت دور العوام وزروعهم من جراء سيل او زلزلة فيسعى في تعميرها وترميمها .

٢ — لتربية العوام . اي انها تصرف على المعارف والصنايع والصحة كما ان قسما منها يصرف على المصالح الضرورية للمجتمع كالبلديات [وفيها التنوير والتنظيف وتحسين البلاد] وغيرها ويصرف ايضاً مقدار منها لاحياء المشاريع التي تعود بالواردات الكثيرة لبيت مال العوام .

٣ — لتقوية الجيش والاسطول وذلك لحفظ البلاد والادارة من تعرض الدول التي تعلن الحرب عليها . واذا اعلنت احدى الدول الخارجة عن المذهب الشيوعي الحرب على حكومة العوام فان جميع الافراد رجالا

ونسآء وصبياناً مكلفون بحمل السلاح والدفاع عن بلاد العوام وقانونهم وهذه فريضة عليهم ويخصص قسم من هؤلاء للحرب مباشرة ويظل القسم الآخر في تجهيز الذخائر والمؤن للجيش المحارب .

وخلاصة القول انه لامعنى للاخذ والعطاء بل يجبر الجميع على الشغل كل في وظيفته كآلات الماكينة وبهذه الكيفية تؤمن حركة الماكينة كلها .

﴿ مقررات « سمولني » التي تخص الحرب ﴾

العدد — ١

« اذا كانت الادارة متساوية للجميع بالصورة التي نوهنا عنها آنفاً فلا تبقى رقابة . وكل فرد يجرى وظيفته في منطقته الخاصة بقدر الامكان ومتى ارتفعت الأثرة والانانية لايبقى طموح الى الرتب والاوسمة واذا عدم اصحاب الرتب والاوسمة ترتفع الحروب ونقول على سبيل الايضاح :

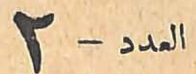
ان المسبب للحروب هو رفاهية عيش احدى الامم وضيق عيش الاخرى لان الاخيرة يعتورها الضنك اقتصادياً وسياسياً فيتولد في نفوس ابنائها الحسد والشهوة للامة المرفهة ويزداد هذان بالتدرج حتى يغلي يوماً ما في نفوسهم . ويود اصحاب الاوسمة ان يضيفوا الى ما عندهم ؛ قطعة من المعدن اوشريطاً حريرياً ، او سيفاً مرصعاً او . . . او . . . الخ . والاسباب حاضرة طبعاً فتجد الامرآء والقواد في غرفهم الدافئة المفروشة باحسن الفرش وتراهم يصورون آمالهم وفتوحاتهم على الورق والخارطات بكل راحة . وبهذا تكون جميع المشاق والمصاعب متذللة . فلم لايفتح نيقولا او غليوم

فاه ليبتلع العالم باسره وما الذي يوقفه عن اعلان الحرب على العالم باسره وهنا يأتي الفرد ويضحي نفسه ويزهق روحه ويشتغل العامل في احضار السلاح والمهمات، بدعوى ان الحرب مقدسة ! وانهم سيذهبون الى الجنة وهكذا تتساقط الاهالي المساكين تساقط الذباب.

ولا يبقى غالب اومغلوب، قوي او ضعيف على وجه البسيطة؛ بعدان يعين الهدف للكل، وبعد ان يزول غدر البعض بالبعض الآخر وبعدضمان حقوق الكل من الضياع. فاذا زالت كلمة الغالب والمغلوب يزول بزوالها الحرب ايضاً ويعيش بني البشر برفاه وسعادة دائمين الى ما شاء الله. واذا انتشرت هذه المبادئ في العالم يستريح الكل [بزعمهم] والا فلا فائدة من حصرها في مملكة واحدة » انتهى.

وعليه فان غاية البلاشفة هي بث هذه الفكرة بين جميع افراد العالم. وينتج من هذه بصورة مجملة مساواة البشر ورفع الاديان ولايبقى اشراف وامرآء بعد ان يضطر الكل الى مزاولة الاعمال وبعد الغاء حق التملك او الاختصاص. ولم يكتف البلاشفة بجعلهم الامرآء والخواص في مستوى العوام بل انهم لايقبلونهم في صفوفهم باي حالة كانت ويودون محوهم من وجه الارض واليك مقرراتهم المتعلقة بالخواص:

﴿ مقررات « سمولنى » المتعلقة بالخواص ﴾


العدد — ٣

« البشر في الاصل طبقة واحدة ولاتلد الميزات مع المولود. وان جميع مايملك هو عارض يأتي من الضغط والاغتصاب. ولو نظرنا الى جميع

الاسر المشهورة لوجدنا ان اجدادها الاولين كانوا اناساً عاديين كسائر البشر وقد حصلوا على هذه الميزات والمقامات بالظلم والجور فصاروا مالكين وظل الفقراء مملوكين .

وهؤلاء هم الذين ذللوا البشر منذ ستة آلاف سنة وصاغوا لهم تيجاناً من دماء الابرياء ودموعهم فليفهم البشر اذن هذا الاستعباد وليفصموا السلاسل والاغلال من عنقهم ولا يمكن ان يأتلف هؤلاء الخواص مع الفقراء . لان الاشخاص الذين تعودوا على الامارة والتحكم لا يمكنهم تبديل طبائعهم : فيجب محو هذه الزمرة التي الفت العيش الرخي والترف على حساب الغير وجهوده . وقد يذعن هؤلاء في بادئ الامر ويقولون انا معكم وذلك بقصد صيانة ارواحهم الا انهم شياطين وربما تمكنوا من اذلال الفقراء مرة اخرى . وأن احسن الوسائل والتدابير هي ابادة جميع الامراء والملاكين وذوي المقامات العالية والبيوتات الرفيعة والاغنياء ؛ الذين اتكلوا فى امر معيشتهم على سعي الفقراء . وتؤلف الهيأة من الطبقة العامية ولاشك فى ان عدد الخواص قليل فى كل قطر وان الاكثرية الساحقة هي من العوام . ولذا فان العقل والمنطق يجيزان محو الجزء لاحياء الكل وليعلم انه لاراحة للعوام مع وجود الخواص بين ظهرانيهم » انتهى .

﴿ مقررات « سموانى » المتعلقة بالاديان ﴾

العدد — ٣

« ان الدين هو الذي انتج السفالة الحالية فى البشر ولولم يكن الانبياء لعاش العالم كله كتلة واحدة وقومية واحدة وبدين واحد ؛ ولما ظهرت امور

القوميات . بل لرأينا العالم اليوم فى هناء وسعادة ، بلاشقاق او نزاع . وما معضلة الاوطان والاقوام وغيرها من الامور التي اوقعت العالم فى مآزق حرجة لايمكن الخلاص منها ، والتي سببت النزاع الدائم بين البشر ؛ الا بذور زرعها الانبياء . كما ان الحروب الدموية التي رأيناها باعيننا والتي جعلت بني آدم يقتل بعضهم بعضا مع تساويهم شكلا، وكذلك العداوات والتضاد الكامنة فى قلوبهم ؛ قد اتت بها الانبياء . فلو اتينا بحمامة او عصفور من امريكا واطلقناه بين عصافير ايطاليا وحماماتها مثلا افلا نراه يغرد مثلهم وهل يحس بالغربة ؟ فاذا كان الامر كذلك فلماذا نجد الانسان يمزق اخاه الانسان وهو ارفع منزلة من الطيور واكمل عقلا واوسع تمييزاً وادراكا ؟ وما العلة فى سفك دماء الوف من الابرياء المساكين فى سبيل ارباب الاطماع . وهل من الانصاف ان ترسل اموال امير الماني مثلا اوتاجر الماني الى اسواق العالم لتباع باثمان باهظة ويربح الدنانير الهائلة ، اوتنقل حاصلات امير « كيناز » روسي الى اوروبا فتباع بقناطير من الذهب يحبسها فى صناديقه ؛ ويقتل الملايين من البشر بعضهم بعضاً بدون اي عداوة سابقة بين شخصي المتقاتلين وبدون ان يعرف كل منهم صاحبه ولم يسمع بذكره طول عمره ؛ بل لمجرد تشاحن ذوي الاطماع وحرصهم . فهل شئ غير الدين زرع هذه الشحناء بين البشر ؛ اذن فليس الدين الا فتنة واهية متفسخة جعلت البشر فى هرج ومرج دائمين وهو للبشر بمنزلة الافيون » انتهى . (١)

---

(١) نقلت هذه المقررات للاطلاع عليها ليس الا . اما رأيي فيها فانها اضاليل وفساد فى الاخلاق وعلى كل فناقل الكفر ليس بكافر .

وشرع البلاشفة بعد هذا في تعطيل جميع الجوامع والكنائس التي في روسية واتخذوا بناياتها مؤسسات عمومية كمسارح اللهو وفنادق ومدارس ومواخير وحانات الا ان عملهم هذا قد اقام واقعد قسم المتدينين من الامة فلذلك اضطر البلاشفة اعادة قسم من هذه المعابد الى تأدية وظيفتها خشية حدوث تأثير سيء بين الاهلين الا انهم الزموا المتعبدين بتعليق اوحات كبيرة على ابواب المساجد مكتوب عليها بالخط العريض « الدين للبشر كالافيون » وجعلوا عقاباً صارماً للذي يرفعها . ومما يجدر ذكره هنا هو ان اليهود لم تمتد اليهم يد بسوء الى ذلك الوقت حتى ان معابدهم بقيت على ما كانت عليه وكانوا مواظبين على تأدية طقوس الكنيسة وغيرها من مراسم الدين بحرية اوسع من اي زمن مضى . ولا تجد اي بلشفي يتداخل في امورهم اقل تدخل واذا تصادف ان احداً اعترضهم في شيء فان القيامة تقوم من جانب الحكومة وتعاقب المتجاسرين بالاعدام حالا. فيتضح من هذه الحوادث ان اليهود كانت لهم يد قوية في اضمحلال روسية ونكبتها وان الشؤون الهامة لروسية الحمراء كانت في الواقع في قبضتهم . وان كبار الموظفين ورؤساء دوائر حكومة روسية البلشفية كلهم من اليهود كما سنوضحه في فصل خاص فيما سيأتي واذا كان هناك بعض موظفين من الروس الوطنيين فكانوا اقلية ومضطرين لخدمة اغراض « سه ميت » .

﴿منشورات «سمولني» المتعلقة بالحياة﴾

عدد — ٤

«ان جميع الاشياء الجميلة التي احدثها البشر هي عارضة كالمنازل والفنادق والقصور والقاطرات والبواخر والملابس والمشروب والمأكول والحلي وآلات الطرب وغيرها المسماة بوسائط التمدين وهذه الاشياء المزخرفة هي التي توجب النزاع والخصام بين افراد البشر فلوجردنا احد الفراعنة مثلا عن حليه وثيابه فاى فرق يا ترى يكون بينه وبين احقر عبيده. وليست هذه المحاسن ضرورية للبشر. واذا اقتضى اتخاذها فلتكن موزعة للجميع على السوية. وانه لا فرق بين عيش طير في آسيا وبين عيش طير آخر في افريقية وان اختلف اقليمهما. فبعد ان يكون الامر كذلك فلماذا نجد المتمولين يسكنون القصور المزخرفة ويأكلون الدجاج والحلويات وغيرها من انفس المأكول ويشربون الذ المشروب ويغازلون الجوارى الحسان ويعاقرون الدنان ويشنفون اسماعهم بنغمات العود والقانون وغيرها من آلات الطرب. ويقضون اوقاتهم بهذه المسرات بينما نرى من وجهة اخرى قسما من البشر — وهم الفقراء — يقضون اوقاتهم على الارض او في التراب والطين ويباتون فى الاكواخ او في اكوار المعامل وماشاكلها من الاماكن القذرة مع ان هؤلاء لا يختلفون عن اولئك المتموابن من حيث الخلقة. وهل يستغرب حدوث الشقاق والنفاق مع وجود عدم التوازن بين طبقات البشر.

ولو عاش البشر — كالحيوانات والطيور — على طراز واحد لكنا

نراهم الآن كالاخوان لا شقاق بينهم ولا نزاع ولم تكن الارض ملطخة بدمائهم في ميادين الحروب . وان كلمات القومية والوطن والدين عبارة عن اصطلاحات وضعها بعض الاشرار المفسدين بقصد الاحتفاظ بمنافعهم الخسيسة . والا فما الفرق بين البلاد التى يسكنها الذين هم متساوون في الخلقة والاعضاء وبين البلاد التى ترابها يشبه تراب الاخرى . فالارض كلها هى وطن للبشر كافة ؛ بمعنى ان جميع البشر هم من اصل واحد كما ان الكرة الارضية وطنهم الوحيد . ولو اتيتم بسمكة من المحيط الاطلسي ووضعتموها فى البحر الاسود مثلا افلا ترون هذه السمكة الغريبة تسعي في ايجاد مأوى لها حالا ؟ هل تستوحش ام تحس بانها غريبة فتنكمش وهل تحس بفرق بين هذا الماء وبين الماء الذي كانت فيه اولا . وها انا نعيش على طراز واحد لاننا قد وفقنا لحل هذه الحقائق المعضلة وسنواظب على خطتنا حتى لا يبقى فوق ظهر الارض فتنة او فساد . وسنبذل جهدنا لافهام الناس هذه القضايا حتى تعم السعادة كافة الانحاء » انتهى .

ما احيلى ذكر المساواة والعدالة على الورق وما اسهل العيش على طراز واحد بالنظريات وفي الوقت نفسه نرى « تروتسكى » و« زينوفيف » و « كامنيف » و « كراسين » و « لوناجارسكى » و « دزرجينسكى » وغيرهم من رؤساء البلاشفة وقصورهم الفخم بكثير من قصر القيصر وكذلك قطاراتهم الخاصة فانها مزينة بصورة اوسع من قطار القيصر والقيصرة وتجد فى قطار تروتسكى الخاص ثماني بقرات من اشهر بقر القريم لكى يحصل على الحليب الطازة متى شاء وذلك لان معدته لا يوافقها الحليب غير الطازه فهؤلاء هم الذين نظموا منشورات سمولني . فاين ظلت مساواة البشر يا ترى ؟...

منشورات (سمواني) المتعلقة بالقوة والضعف

عدد — ٥

« يقولون ان القوي يأكل الضعيف ويحملون العلة على الطبائع ويسمون هذا بمعترك الحياة وكلها غلط فليس في القوانين الطبيعية اي ظلم . واذا ارتفع الظلم ارتفع معترك الحياة ايضاً . واذا ابتلع القوي الضعيف فالذنب على الضعيف لاعلى القوي . ولو لاحظنا العالم لرأينا عدد الضعفاء اكثر جداً من عدد الاقوياء . فلو كان القوي منفرداً مجرداً ومحروماً من مساعدة الضعفاء له ؛ ولم يساعده هؤلاء على تنفيذ مآربه الوحشية فأن ذلك القوي يصبح ضعيفاً بلامراء .

لسنا في مستوي الحيوانات العجم . فقد ملكنا العقل والادراك واذا فلا نفسح مجالا لان يكون بيننا قوي وضعيف فاذا نحن الضعفاء أهملنا القوي ولم نساعده على مقاصده ولم ندافع عن منافعه فانه يبقى وحيداً ويصير اضعف الناس . اذن فالسبب في قوة الاشخاص هم الضعفاء انفسهم وليس بين الحيوانات من هو مغلوب على امره غير الاسماك . وذلك لانهم محرومون من قوة الادراك خذ مثلا اقوى الاسماك واشدها بأساً فانه لا يتمكن من ابتلاع جميع الاسماك التي هي اضعف منه ولنفرض انه يبلع ١٠٠٠ او ١٠٠٠٠ سمكة صغيرة [وهذا نادر جداً] فلو كان لهذه الاسماك قوة ادراك لانفقت هذه الالوف من الاسماك الصغار وهجموا على هذه السمكة القوية وقطعوها ارباً ارباً في اقل من لمح البصر . فهل ترى يعجز البشر — الذين هم ارقى بكثير من هذه الاسماك ولهم من

القوى المدركة ما يحير العقول — عن ادراك هذه الحقيقة فيجعلون انفسهم لقمة سائغة فى افواه الاقوياء منهم وهم يعلمون ذلك ؟... اما نحن فقد احطنا بها علماً ولنا الامل بان ننشرها في جميع العالم . وظهيرنا في ذالك المنطق . وكل من يحاكم قضيتنا يقبل ديننا بسهولة » انتهى .

منشورات « سمواني » المتعلقة بالحكومة

عدد — ٦

الحكومة عبارة عن شركة مؤلفة لادارة الاهالي والامة تراقبها فان اخطأت تنقد خطأها وتصححه وان اصرت على الخطأ فان الامة تنزع السلطة من يدها وتسلم هذا الامتياز الى شركة [هيأة] اخرى ولا ظل للسياسة فى هذا الباب لان الحيل والخداع يجب ان تلغى وترفع . ويتفاهم الطرفان ومما يسهل هذا التفاهم هو زوال القوة والضعف ؛ فلا يغصب حق احد وكل من يجرأ على اغتصاب شيء من حقنا مزقناه . ولا يكون فى الحكومة اشياء مكتومة او قرارات خفية او معاهدات سرية بل يجب ان يكون كل شيء علناً وواضحاً ولا حاجة لنا الى خوض غمار السياسة وركوب متون الحيل والدسائس ؛ ففي اليد الواحدة الحق وفى الاخرى الحربة . فمن يقبل الحق ويذعن له فهو اخونا ومن لم يذعن اليه فهو عدونا فنمد لاصدقائنا يد المصافحة ونهز لاعدائنا الحراب ولا نرمي السيف من ايدينا حتى تذعن الدنيا باسرها لديننا ومذهبنا ؛ لكى تحيا العوام حياة سعيدة وتموت الخواص ميتة شنيعة هذه غايتنا المثلى : « اما الحق واما الموت »

واذا كان جميع الاقوام على مذهبنا فلاتبق لنا حاجة الى سفير او ممثل سياسي لان السفير في الحقيقة هو « حارس الدسائس » واذا بذل العالم جهده للسعي وراء غايتنا هذه تكون جميع بقاع الارض وطناً للبشر على اختلاف انواعه وكل حكومة هي الحكومة لكل طبقة من الطبقات . ولا نسمع آنئذ بكلمة « الاجنبي » او « الخارج » وهذه التعاليم هي الصراط المستقيم التي توصل البشر الى التكامل الصحيح » انتهى .

منشورات « سمواني » المتعلقة بالمحاكم

عدد — ٧

ليس لدينا محاكم او مجلة او قانون او حقوق او حاكم . . .

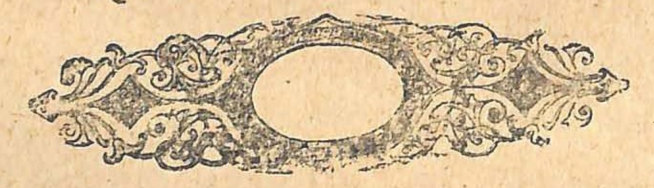
وما هذه الاحيل واشراك نصبها الخواص للايقاع بالعوام ، وصب العذاب على رؤوس المساكين . فالعوام لا يغدر بعضهم بعضاً ولا يعلمون ما هو التعدي والتحقير واذا كان العوام لا يسيئون لاحد اللهم الا اذا غمطت حقوقهم وذلك سهل جداً اذ يمكنهم ان يعرضوا ذلك على الرأي العام في التجمهر المسائي ويحضر الشهود فيسمع الجمهور الادعاء والبينة هذا اذا كان المدعي من العوام اما اذا كان من الخواص فلا تسمع شكواه ولا بينته لان الخواص لا حقوق لهم في حكومة العوام ويجب ان يهنئوا انفسهم لبقائهم احياء .

وبعد سرد المدعي الادلة والبينة يصعد رئيس التجمهر ويسأل الشعب عن رأيه في القضية ويكون للجمهور حق الحكم في ذلك ويحدد عقاب المجرم وتنفذ العقوبة حالا . وهكذا في ظرف نصف ساعة يفصل في الدعاوي

التي لا تتمكن محاكم الخواص من الفصل فيها في عدة سنين . وذلك بعدالة كاملة . وكل شيء يحل في هذا التجمهر المسائي من الجناية الى الجنحة الى المخالفة الى غيرها من المواد وفي هذا التجمهر جميع ما يلزم من الموظفين كالرئيس الاول والرئيس الثاني والكاتب والنائب العام ومأمور الاجراء . ويجب على كل فرد من الامة ان يساعد رفيقه بشرط ان يكون الاثنان من العوام فاذا مر فى طريقه وشاهد اى تعد من واحد على آخر فينبغي عليه ان يسرع الى مساعدة المظلوم . وان لم يفعل ذلك يعد خائناً لادارة العوام » انتهى .

هذه هى محاكم البلاشفة وهل يشك احد في وجود انواع التلاعب فيها لبساطتها وهذه اللوائح السبع التي نظمت في « سمولني » وهى تؤلف اساس ادارة البلاشفة وقد اديرت شؤون روسية بها حتى اواسط سنة ١٩١٩ ثم قام عليها الشعب فاضطروا الى تعديل بعض اقسامها المعوجة هذه هى اللوائح البلشفية الشهيرة التي وضعت وقد بحثنا فيها منفصلا وسنأتي بالفصل الرابع على القوانين المعدلة ونوع ادارتها الاخيرة .

[انتهى الفصل الثالث ويليه الفصل الرابع]



الفصل الرابع

المنشورات : المعارف لدى البلاشفة — الكليات الحمر — الصنايع — الاسفار— السكك الحديد— المراكب — المحاكم البلشفية — محكمة العوام العلنية — محكمة الثورة اوالحرب — محكمة الصلح — سير المحاكم وادارتها — عصابات الثورة الخاصة — افراد الجيش الاحمر وقواده — العلة في جسامته وظفره — النساء عند البلاشفة — نســاء الخواص — نساء العوام — اصول الزواج والطلاق — دفاتر النوبة — امر تأليف العـائلات — البلشفة وتأثيرها المعكوس — الحروب الاهلية — الفرق البيض — القواد البيض — الحرب بين البيض والحمر — البـلاشفة واليهود — اوضاع « لنين » الاخيرة — خواطر لنين — مؤتمر الشرق الأعظم — الاضرار التي اوقعها البلاشفة بالحلفاء نظم البلاشفة امور ادارتهم على الطرز الآتي وذلك بعد ان خلا الجو لهم ولم يبق من يناوئهم في عموم روسية .

المعارف

ليس لدى البلاشفة مدارس عالية اودور فنون او كليات طب اومدارس اركان حرب او غيرها من الكليات والجامعات لانهم يقولون بعدم الحاجة اليها لأنها تسوق العوام الى الفتن ودس الدسائس والمكائد ولاحاجة للعوام بهذه الخصال التي يزعمون انها دنيئة « ويكفي من العلوم ان يتمكن الرجل من قراءة الجرائد وتصوير فكره ورأيه على الورق ليس الا . »

وبذلك قر رأيهم . ثم نظموا بعد ذلك منهاجاً بسيطاً للتدريس وذلك بان لخصوا النتف البسيطة من التي ينبغي على كل احد درسها وسموها بـ « المناهج البلشفية » او « المناهج التدريسية الحمراء » وتقسم درجات الدرس الى ثلاث : عالي ومتوسط وابتدائي . والذي يطلع على هذه الدرجات يجد ان اعلاقسم منها لايعادل مناهج التدريسات الثانوية في البلاد الاخرى بل هو اقل منه ثم وحدوا جميع المدارس وذلك لان جميع طبقات الناس واحدة في معتقدهم ولافرق بين البشر . كما انه لااختلاف بين الذكور والاناث ابداً . فخلطوا مدارس البنين بمدارس البنات وامتزج الفتيان بالفتيات في المدارس الليلية والنهارية ، سواء كانت ابتدائية او ثانوية او عالية . ويقومون ويقعدون ويأكلون ويشربون وينامون جنباً لجنب وكذلك في الحمامات وغيرها . وهل ياترى تسلم هذه الحالة من المفاسد مهما كان البشر مهذباً ؟

واسسوا في جميع البلدان كليات حمرآء واطلقوا عليها اسم (مأمن العوام) وقد وضعوا فيها عدة شعب غريبة مالا تخطر ببال احد واكثرها مما تجلب استيناس العوام وتلذذهم وقد يشاهد المطلع عليها مهارة واضعيها وحيلهم فتجد الطبقة الاولى من بناية الكلية (مدرسة العوام النهارية) وفيها القسمان الابتدائى والثانوي والطبقة الثانية هي (محل استراحة العوام) وفيها المقاهى والملاهي البسيطة والثالثة هي (مسرح العوام) والرابعة (مدرسة العوام الليلية) والخامسة (شعبة الفنون الجميلة) اي مدرسة التمثيل والرقص للاناث . والسادسة (محل لهو العوام) والسابعة (مدرسه الاناث الثانوية) والثامنة (محل اجتماع العوام) وفيها المواخير

والحانات للطلاب . فهذه هي الكليات الباشفية وفيهامن كل باقة زهرة .

وقد احرق البلاشفة جميع الكتب والمطبوعات التي كانت في زمن القيصر واتلفوا القديمة والحديثة معاً وطبعوا على حسابهم مطبوعات جديدة خاصة بمذاهبهم ومعتقداتهم في الادبيات والتاريخ وسائر العلوم والفنون وادخلوا بعض اصلاحات جديدة في اللغة الروسية والغوا من الحروف الروسية خمسة حروف منها ثلاثة صائتة واثنان صامتة ولو فتشنا جميع انحاء روسية اليوم فلانعثر على كتاب بل صحيفة باقية من العهد القيصري .

الصنايع

لم يتعرض البلاشفة للصنايع . الا انهم ابادوا اصحاب المعامل من اول ساعة ولما كانت المعامل في روسية تعود غالباً الى الاغنياء والخواص فانهم نسفوها في بدء الثورة وخربوا الباقية بصورة لايستفاد منها الآن . ولم يبق من الصناع الماهرين احد وخات الربوع من الاختصاصيين لانهم قتلوا في اثناء الحرب والباقون منهم اهلكوهم في الثورة وفر من فر الى خارج البلاد .

ولما رسخ قدم البلاشفة في روسية تمكنوا بعد الجهد الجهيد من ترميم خمسة في المئة من المعامل وذلك حتى نهاية سنة ١٩٣١ واستخدموها لاحضار المواد اللازمة للحروب الاهلية . ولما انتهت الحروب المذكورة وساد الهدوء في جميع الانحاء ارجعوها الى حالتها السابقة وقد تمكنوا في المعرض البلشفي المنعقد في سنة ١٩٢٣ من احضار بعض المصنوعات

البلشفية ولكنها بصورة رديئة وسقيمة للغاية وقد باشروا من جديد بانتاج بعض المصنوعات ولكنها بصورة ابتدائية وطفيفة .

﴿ السفر والنقل عند البلاشفة ﴾

السكك الحديدية — لايوجد اليوم في روسية سوى عشر سكك حديدية التي كانت سابقاً ولايمكن الاستفادة منها الا بطريقة رديئة وفي الدرجة الثالثة واما الباقى فانه قد اندرس بتمامه وتخربت طرقه ونسفت جسوره الضخمة وهدمت الانفاق وظلت هذه المؤسسات متروكة . حتى يومنا هذا واما الادوات المتحركة كالقطارات والعربات وغيرها فلم يبق منها مايصلح للاستعمال سوى خمسة في المئة من السابق مع انه من الدرجة الثالثة ايضاً . والقطارات التي تسير في روسية الآن هي قطارات البضايع البطيئة على انها تسير ابطأ من السير الذي يعرفه الناس وقد امكنهم بعد الجهد من تسيير قطار مختلط [للركاب والبضايع وذلك فى اواخر سنة ١٩٢١ الا ان هذا تفوق سرعته قليلا عن سرعة عربات الثيران ولاتتجاوز سرعة هذا القطار السريع (؟) مقدار ١٥ ورست فى الساعة [والورست مقياس طول فى روسية يعادل ١٠٦٣ متراً]

واما العوامل التي افضت الى تدني السكك وانحطاطها فكثيرة الا ان اهمها هو فقدان الفحم والنفط لدى البلاشفة ولهذا يعجب القارئ لاول وهلة حيث ان المعلوم ان البلاد الروسية من اغنى بلاد العالم بفحمها ونفطها ويحار فى تعليل السبب نعم ! ان روسية اليوم فى حاجة شديدة الى الفحم والنفط مع ان بلادها تحتوي على مقادير مدهشة من هاتين

المادئين وسببها عدم وجود من يستثمرها من العمال وظلت متروكة . فان العمال السابقين الذين كانوا يقضون الايام والليالي تحت الارض فى ظلمات مناجم الفحم محرومين من الهواء والضياء قد اصبحوا الآن فوق ظهر الارض وتسنموا كراسي المراتب المختلفة وصاروا موظفين كباراً فلا يرضى احد لنفسه ان يرجع ثانياً الى ظلمات المناجم وهكذا اذا كان الرجل مختاراً فى معيشته فانه لايتطلب الا الرياسة والمقامات الساميه .

وقد قال الجنرال [فرانكل] : « هل يتصور العقل وجود عامل احمق فى هذا اليوم يتكلف المشاق ويجعل نفسه فى مآزق المعامل وظلمات المناجم ويقضي عمره فى استخراج الفحم وتقطير النفط ؛ بعدان يجد امامه طريقة بسيطة للحصول على الدراهم وهي طريقة السلب والنهب والغصب بدون ان يخشى عقاباً اوتبعة . »

ولاشك فى ان كلام القائد هذا هو عين الحقيقة . وبناء على هذا نجد المسافة التي كانت تجتازها القطارات السريعة بين موسكو وبطرس برج فى ١٨ ساعة لاتجتازها اليوم القطارات الحالية حتى ولا فى شهر .

ولم يبق ذكر المراكب البحرية ولذا فلاحاجة الى ذكر الاسفار البحرية وكان اول مادمر فى روسية هو المراكب وقد وضع البلاشفة فى الايام الاخيرة عدة مراكب فى ميدان العمل . وقد كانت كلها مستخدمة في المقاصد الحربية . فهذه نبذة بسيطة عن حالة الاسفار فى روسية .

﴿ المحاكم عند البلاشفة ﴾

المحاكم البلشفية ثلاثة انواع : (١) محكمة الامة العلنية (٢) محكمة الثورة والحرب (٣) محكمة الصلح .

(محكمة الامة العلنية)

تكون في مركز الولاية ومقرها العام في موسكو، وتنظر هذه المحكمة في جميع الامور الهامة فتحاكم الخارجين على الحكومة والمتحزبين للقيصر او الحكم القيصري، وقواد الجيش ورؤساء الجنود البيض والذين يدبرون الثورة في البلاد وغير ذلك. ومحاكمتهم علنية. ونتيجة هذه المحاكمات على الدوام هي الاعدام كما ان اخف عقوبة في هذه المحكمة هي الاعدام. وهذه العقوبة يختلف تنفيذها عندهم فتكون تارة الرمي بالرصاص واخرى القتل بالسيف او الصلب او الضرب بالفؤوس او الرجم بالحجارة من قبل الجمهور. واشدها ما كان بعد التعذيب والتمثيل عدة ايام. وهكذا. مثل ما مثلوا بالجنرالان «راد قود ميتري يه‌ف» و «روسكى» لانتسابهما الى الحكم القيصري قتلوهم بالفؤوس على ملأ الجمهور

ووظيفة هذه المحاكم هو تقرير نوع الاعدام فقط والا فان اصدار الحكم على من ذكرناه بالاعدام هو امر طبيعي بلا منازع فيطوفون بهؤلاء الاشخاص في جميع انحاء روسية ويحاكمونهم في عدة محاكم من هذا القبيل على سبيل التشهير والتمثيل وبعد ذلك تقرر محكمة موسكو نوع الاعدام وينفذ بالشكل الذي يجمعون عليه.

﴿ محكمة الثورة والحرب ﴾

تمتد المحاكمات في هذه المحكمة من ساعة واحدة الى ٢٤ ساعة ويحكم على المتهم في الاخير بالاعدام ايضاً. ويحاكم فيها المتهمون الثانويون الذين يتشبثون باحداث الشغب ضد نظامهم وحكومتهم. وامل البراءة بنسبة واحد من الف اذا لم يكن المتهم من صنف الضباط. ولا تقل العقوبة

في هذه المحكمة عن الاعدام . وهي كالسابقة منتشرة في جميع الولايات ومقرها الاصلي في موسكو ايضاً .

﴿محكمة الصلح﴾

ترى فيها جميع الدعاوي التي لاعلاقة لها بالامور السياسية او الثورات بل تنظر في الجرائم الاعتيادية والامور الحقوقية وليس فيها عقوبة الاعدام اللهم الا اذا حدث ان الدعوى لها مساس بالامور السياسية او الثورية ففي هذه المحكمة يحكم على المتهم بالاعدام والمحكمة تنظر في القضايا التجارية والسرقات والقتل وغصب اموال العوام والمنازعات المتعلقة بالشخصيات وغير ذلك من الامور التي تعدها قوانين البلاشفة من القضايا البسيطة ويمتد سير الدعوى الواحدة لمدة لايتجاوز الاسبوع على الاكثر وليس في هذه المحاكم قوانين مرتبة او احكام شرعية بل جل ماهنالك هو عدة مواد بسيطة متناسبة مع سلطة المحكمة ومع درجة الجرم واكبرها لايتجاوز ١٠ صفحات . وليس ثمة محاكم استيناف او تمييز او ديوان المحاكمات او غيرها كما انه لاأثر للقوانين في هذه المحاكم البسيطة .

وعدا ذالك فقد تشاهد فرعاً للعصابة الثورية في كل ولاية او قضاء او ناحية وتتألف هذه الفروع من اعضاء يختلف عددهم بنسبة اختلاف الموقع وهي اشبه شيء بدوائر الاستخبارات ومقرها العام في موسكو . وسلطة هذه الفروع اكثر من سلطات الدوائر والمقامات . ولا يسألون عن حركاتهم واعمالهم ويمكنهم عند الحاجه اعدام والي احدى الولايات بلامحاكمة وربما كان بسبب سوء تفاهم بسيط ولهذه العصابات وكلاء كثيرون ولرئيسهم

اللجنة العليا للعصابات اما اعمال هذه العصابات والفروع فهي حفظ الثورة وصيانتها . ولذا فانهم يبحثون دائماً عن الحركات التي تدبر ضد الثورة وعن الاعمال التي تخالف قوانين العوام ويسعون الى معرفة من يضمر شراً للبلشفة ليعدموه ويزيلوه من الوجود .

والخلاصة يمكننا ان نقول ان دوائر روسية اليوم عبارة عن شعب تجريم واعدام . وليس عند البلاشفة عقوبة السجن او الغرامة او ماشا كلها بل ان اخف عقوبة لديهم هي الرمي بالرصاص : ولاغرابة في ذلك فان عصابات الثورة متألفة اعضاؤها من الجناة الذين كان قد حكم عليهم بالنفى المؤبد او الحبس الشديد وقضوا معظم اوقاتهم في السجون والمنفى والقلاع البعيدة . وها هي روسية اليوم تئن من اعمالهم ومظالمهم .

وقد احتفل « دزرجينسكى » الرئيس العام لعصابات الثورة ؛ في موسكو عام ١٩٢١ بناء على كونه قد قتل على يديه مليون من الابرياء وذلك فى مدة رياسته لهذه العصابات السفاكة . وهذا واحد من السفاحين الذين ازهقوا ارواح الملايين من البشر . نحن نعلم ان جزاء من يقتل نفساً متعمداً هو الاعدام فما جزاء من يقتل الف الف نفس ؟ ؟ . . . . وقد يشاهد في الصحف كلمة « فتسيكا » وهذه عبارة عن رمز لهذه العصابات الفتاكة وهذه الكلمة متألفة من الحروف التي تبدأ كل كلمة من اسمها .

ولاحاجة الى الخوض فى تفاصيل فظايع هذه العصابات لان ذلك يحتاج الى سنين عديدة ولا اظن ان الروس ينسون مظالم هذه العصابات بعد السنين الطويلة ولا نجد عائلة روسية — قديمة كانت او حديثة — الا وهي متألمة من هذه العصابات ومكتوية بنارها . وقد تطبق هذه عقوبة

« التدهيش » على الناس علاوة على حكم الاعدام ولا اظن بان جهنم تماثل هذه العقوبة ومعنى التدهيش هو تعذيب المتهم عدة اشهر بانواع العذاب الاليم ثم يقتل بعد ذلك .

والرؤساء المتقدمون في هذه العصابات هم اليهود طبعاً . ولا ادرى كيف يمكن محو هـذه الضغائن التي تأصلت بين الروس واليهـود حتى ان « دزرجينسكى »هو يهوديا محضاً .

﴿ الجيش الاحمر ﴾

ان معظم رؤساء الجيش الاحمر من اليهود . والباقى من المجرمين السابقين والجناة الذين قد حكم عليهم بالاعدام او النفى او الحبس عدة مرات . واما الافراد فهم من الروس [عدا اليهود] . وهذا الجيش عبارة عن غوغاء لانظام فيه ولا ترتيب ولا قانون ويتألف من طبقات شتى وعناصر متباينة . وليس لهم ادنى قيمة حربية اواهمية تعبيوية . ولذا فاننا نود ان نذكر هنا السبب فى انتصاراتهم العديدة مع ماهم عليه من التشويش والاضطراب فنقول :

ان السبب الاهم فى ظفر الجيش الاحمر هو الفقر والفاقة الموجودين فى البلاد . وذلك لان مواد الاكل والعيش كانت منحصرة فى الجيش وجميع افراد الروس اليوم اما جنود او عمال او موظفين ولا يوجد بينهم من ارباب المهن المعلومة لانهم اما ان يكونوا قدماتوا من الجوع اواهلكوا او مزقوا بدعوى ميلهم للقيصر اومناوأتهم للبلشفة . وقد جمع البلاشفة منذ رسوخ اقدامهم فى البـلاد جميع ما فى روسية من مأكل ومشرب وغيرها من المهمات والمواد التجارية والصناعية والاثاث والزينات والحلي

والجواهر وما اشبه ذلك وخزنوهـا فى مستودعاتهم . ولذا خلت جميع الحوانيت والمخازن والمعامل من المواد المذكورة فلا تجد رغيفاً من الخبز ولو بمليون من الدنانير . والذي يجوع اويتعري ويريد ما يأكله او يلبسه يذهب الى الحكومة وهى تجد له وظيفة توافقه . فتقيده اما بصفة عامل او زارع او جنـدي او ضـابط او كاتب او غير ذلك حسب طاقتـه ومعلوماته ويتقاضى مقابل خدمته ما يقتات به ولا يتمكن احد من الحصول على اي عمل خارج نفوذ الحكومة وسيطرتها كما انه من المستحيل الحصول على مقدار ولو قليل جداً من المآكل او الملابس بغير الطريقة التي ذكرناها . ولهذا السبب تجد الذين يعضهم الجوع بنابه ينسون كل شئ ويذهلون عن كل شئ ويضطرون بالتدرج الى الحصول على قوت يومهم مهما كلفهم الامر ومهما كانت الغاية او الواسطة . وهذا من اكبر اسباب نمو الجيش الاحمـر وتكاثر افراده وقد اصبح يعد بالملايين في اسرع وقت . وذلك لان الجندي يأخذ جميع ما يحتاجه هو وعائلته مجاناً من المستودعات الخاصة .

ويعطي الافراد الحمر مقداراً كافياً من جميع المواد التى يندر وجودها فى روسية كالطحين والسكر والشاي والمربى وانواع الاقمشة والحرير والنفط والحطب والفحم والدخان [السكاير] واثاث المنزل حتى الخيط والابرة وسائر الحوائج الضرورية . وقد اضطر جميع من تعتريهم الفاقة الى الانخراط في سلك الجندية لينال النعيم وفر الذين يحبون الاحتفاظ بمهنهم وربما انتحر قسم منهم مع عائلاتهم . وهذه حالة طبيعية لان غاية الانسان من سعيه واهتمامه هي املاء المعدة قبل كل شئ فاذا

ما تسلطت هيئة على هذه المرافق يمكنها سوق البلاد الى اي صوب كان وهذا امر بسيط جداً . وقد تم بعد ذلك الامر للبلاشفة الذين لم تكن مناهجهم ضامنة سعادة البشر ولا حاجة الى ايضاح هذه المناهج اذ لا غاية لهؤلاء الاوغاد ولا مزية لهم وليس لهم من ميزة سوى ان يأكل القوي الضعيف والرجوع الى عهد الهمجية والتوحش ، الى عهد التاريخ المظلم . اذن فالعلة في انتشار البلاشفة وتكاثرهم ونمو جيشهم ترجع الى سبب تجويع السكان الذين فقدوا الغاية ففقدوا المسلك . وهل تبقى هذه الامور المعنوية فيمن يضطرهم الجوع الى اكل الاطفال والتراب والاخشاب والجرذ والميتة ؟ . فصار منتهى آمال هؤلاء المساكين هو معانقة الخبز ؟ فمن البديهي ان يتحمل هؤلاء البؤساء انواع الكلفة ويضطروا لسلوك اي طريقة كانت في سبيل الحصول على اللازم للحياة .

وجميع الاسباب قد تهيأت لافراد الجيش حتى لقد تجد لدي كل نفر منهم مقداراً من الذهب من نصف حقة فما فوق وذلك لان الجيش كان اذا دخل بلدة فاتحاً يباح له نهب كل ما فيها لمدة اسبوع بدون اي مسؤلية وله الحق ان يأتي امر لا يضر بالحركات الحربية للجيش وهذه الاستباحة تعد بمثابة مكافأة للافراد . فهل يا ترى يمتنع الذي ينال هذا الامتياز عن قبول اي خطة يختطها له اولياؤه ؟ وعليه يمكنني ان اقول ان العامل الوحيد في ظفر الجيش الاحمر كان النهب والسلب . وكل من يحصل على شيء فهو له حلال طيب سواء نهب مالا او ذهباً او فتيات او نساء او غير ذلك . فهل يتردد الفقير البائس في خوض جهنم عند ما يشاهد كل هذه النعم . ولهذا السبب نجد الجيش الاحمر

متعطشاً ابداً للحرب ليحصل على الغنائم . وقد جعلت الاستباحة المذكورة في الايام الاخيرة ٤٨ ساعة بدلا من اسبوع . وذلك بناء على تغير الظروف. على ان هذه المدة ليست بالقليلة فان الرجل يتمكن في خلالها من اجراء اي عمل شاء . وقد ضعفت نخوة الجيش الاحمر ونشاطه بعد توقف الحروب لانه لم يبق محل ينهبه واصبح الكل بلاشفة . وهذا مما اجبر رؤساءهم على العدول لان الجيش يحب الحرب...؟ فهذه اسباب ظفر الجيش الاحمر .

﴿ النساء عند البلاشفة ﴾

ان امور النساء عند البلاشفة قد اشغل بال العموم في روسية وخاصة الاسلام منهم فلذا اود ان اشرح هذه القضية بصورة مجملة :

تنقسم امور النساء في روسية البلشفية الى قسمين (١) امور نساء الخواص (٢) امور نساء العوام .

(نساء الخواص)

هى فى عداد اموال الامة مباشرة . اي ان النساء التي تعود الى طبقة الخواص السابقة وليست من نساء العوام والعمال والفقراء وافراد الجيش هى ملك صرف للامة تتصرف فيها كيف شاءت وحكمها حكم الجماد والحيوان . وتستعملهن الامة حسب ارادتها. والامة لدى البلاشفة ليست الامة الروسية بل القصد من هذه الكلمة هو السواد الاعظم اى كل من يقبل هذا المذهب من البشر .

وقد اصبح النساء المنورات المتهذبات على آخر طرز العوبة بيد اعضاء محاكم الحرب والثورة ، وافراد العصابات المختلفة والرؤساء والمعتمدين من

البلاشفة اللهم آلا القبيحات الصورة فانهن منحن لافراد الجيش الاحمر وقد يقتني المعتمد الواحد عدداً من البنات يتراوح من ٥٠ الى ٦٠ بنتاً حسناء ومهما كان الامر فلا يقل عددهن عن عشرة وكلهن يخدمن ذلك الوحش السافل وتراه يتلذذ بهن كما يريد.

ولا شك في ان هذه الحالة لا تدوم كثيراً لان نضارتهن تزول بتمادي الايام فلا يجد هؤلاء الوحوش من يسد العوز سوى نساء العوام فيأتي دورهن .

﴿ نساء العوام ﴾

وهن نساء البلاشفة وحقوقهن كحقوق الرجال ولا يسألن عما يأتين من الاعمال . ومن المعلوم ان كلمات « العفة » و « العصمة » و « الناموس » و « الشرف » و « البكارة » لا اثر لها في لغة البلاشفة . لانهم يعتقدون بان هذه الكلمات هي مخصوصة وليس من الحكمة منع النفس من التلذذ بمحاسن الطبيعة خشية هذه الكلمات التي لا توقع بالانسان اي ضرر مادي . وان علاقة الرجال بالنساء هو متوقف على الرضى والوفاق كما في سائر الحيوانات . ولا يجوز الاكراه مطلقاً . وان حرص البشر يمنع هذه بصورة طبيعية فلذلك لا نزال نسمع بوقوع الجدال والضرب والقتال من حين لآخر .

وتجبر كل انثى من العوام على اتخاذ رفيق لها اذا بلغت الثامنة عشر من عمرها واذا لم يكن لها رفيق او لم توافق على اتخاذ رفيق لها فانها تصبح ملكا للامة وتوضع تحت مراقبة البوليس ويعطي بيدها دفتر نوبة يحتوي اسمها وتصويرها وتجبرها السلطة على السماح للرجال باتيانها مرتين في الاسبوع على الاقل ويحرر ذلك في الدفتر المعطى لها وتفتش هذه الدفاتر في كل



« تروتسكي »

اسبوع من قبل رجال البوليس فاذا كانت لم تقم بالواجب ترسل الى احدى قطعات الجيش وتجازى بمضاعفة عدد الزائرين واذا امتنعت يطبق عليها عقاب صارم ويجب على الرجل الذي يأتي الى هذه النساء ان يذكر اسمه ومحل اقامته فى الدفتر الذي عند المرأة ويوقع ذلك وتعفى التي لها رفيق من هذه الدفاتر الا ان للمرأة الحق اذا ارادت معاشرة اي رجل بجانب زوجها ان تفعل ذلك سواء علم زوجها او لايعلم ولايحق للزوج [الرفيق] منعها من ذلك او استنكار عملها كما انه له الحق الصراح فى اتيان اي امرأة اخرى ولايسع زوجته الاعتراض عليه .

واما امر الزواج فبسيط جداً فاذا اتفق رجل وامرأة على الاقتران ببعضهما يذهبان تواً الى اقرب محل للبوليس ويقيدان اسميهما هناك ويأخذ كل منهما دفتراً [وثيقة] تحتوي على اسميهما وصورتيهما ويدفعان نصف روبل لكل وثيقة وتبقى وثيقة الزوج عند الزوجة ووثيقة الزوجة عند الزوج فيكمل الزواج بهذه الصورة البسيطة وفي نصف ساعة وفي حالة الانفصال يذهبان ايضاً الى تلك الدائرة ويسلمان الوثائق للبوليس ويدفع كل منهما نصف روبل ايضاً بمثابة رسم ويفسخ العقد فيذهب الرجل من ساعته واما المرأة فانها تأخذ دفترها السابق [وهو غير دفتر الزواج] وتذهب لعادتها القديمة وبهذه الكيفية تكمل معاملة الطلاق بنحو نصف ساعة ايضاً وعدد الموظفين الذين يرون هذه المسائل في دائرة البوليس عبارة عن شخصين فقط

والبلاء كل البلاء هو ان الذي يظهر ادنى تألم من هذه الحاله او يعترض عليها ادنى اعتراض فان العصابات الثورية تقتله رمياً بالرصاص وان كان المعترض من المنتسبين الى المذهب البلشفي . ويختلقون له ذنوبا

مختلفة كقولهم انه من اتباع القيصر ، او من البيض او انه ضد المذهب البلشفي . ولا ادرى هل يحجم الذي يشاهد هذه الفظائع بعينه عن قبول اى شيء كان . وهكذا يقبل الرجل مضطراً بعهر اخته او ابنته او زوجته وهو ينظر الى ذلك بعينه ولا يستطيع ان ينبس ببنت شفة لان حياته تذهب ادراج الرياح ولكل امرأة متزوجة ان تفارق زوجها فى اي وقت شاءت ولا قوة تجبرها على البقاء. وليس لها ما يمنعها عن الذهاب الى دائرة البوليس وتسليم دفتر الزواج واخذ دفتر النوبة السابق . وليس للرجال ان يتركوا نساءهم فى اي وقت شاؤا . ولكن الحالة العمومية هو انه اذا بدا نفور من احد الطرفين فان الطرف الآخر لا يعارض الفراق. لان المحبة ودوام الصحبة فى روسية متوقفة على رضا الطرفين وامتزاجهم .

وهذه العادات تشمل حتى المدارس فقد شوهد مراراً عديدة حوادث الولادة في مدارس البنات ، وكم من طالبة ظهر حملها وهي في عالم الدراسة وقد ضج الناس لهذه الحوادث التي لم يألفوهـا من قبل وامتدت الفتن والحركات في بادئ الامر الى ان الحالة اليوم قد هدأت لان المعارضين قد الفوا هذه الحوادث فلم يعودوا يتألمون لها ، وقد انتشرت في جميع انحاء روسية البلشفية واعتاد عليها الاهلون فاصبحت عندهم طبيعة ثانية .

وقد حوروا هذه الطرق في الايام الاخيرة وعدلوا قسما منهـا . فـانهم الغوا دفاتر النوبة مثلا بدعوى ان هذا القيد للنساء مخالف للانظمة الشيوعية . لان العدل يقضي بتساوي النساء بالرجال وما دام الرجال غير مقيدين بهذه القيود فلا حاجة الى وضع هذه الاغلال في اعناق النساء . وظلت هذه العادة تجري برضا الطرفين كما هى الحالة فى الحيوانات . ومن

بقصد اتيان امرأة بالاكراه يعدم حالا .

﴿ تأليف العائلة عند البلاشفة ﴾

لا ذكر لتأليف العائلة عند البلشفيك وان المولود لا يربى من قبل والديه بل هناك محلات عامة للاطفال (دور الاطفال) فاذا ولد مولود يأتي به ابواه الى دار الاطفال . ويتركانه هناك ويتربى الطفل في تلك المؤسسات على حساب الامة حتى اذا بلغ سناً معيناً يرسل الى المدارس وبعد اكماله الدروس يوظف حسب اختصاصه ومقدرته ولا يمكنه معرفة ابويه كما ان ابويه لا يعرفانه بل يسمى (بابن الشعب) . ثم يتزوج بفتاة قد ترعرعت في احدى دور الاطفال وربما كانت اخته ولا يعلم بذلك ولا يهمه اذا علم . ولا اسم للعائلة في هذه الطريقة ولكن الاسم هو الاسم الذاتي فقط . وبهذه الكيفية محيت العائلة في الشعب الروسي .

واما نظرياتهم في هذا الصدد فهي انهم يقولون « ان المملكة جميعها عائلة واحدة ولا شيء خاص في العالم كله . وان الاندفاع في التيار العام من مقتضيات الاضطرار النوعي للانسان » ونظراً لهذه النظريات المدهشة فان تأليف العائلات قد استؤصلت جذوره . وازيلت من الوجود علاقة الانسان بأبيه وامه واخيه واخته وعمه وخاله وغير ذلك من الاقارب وهنا . تتضح نظرية « كل مشغول بنفسه ومكلف بشخصه » ولا نجد تعبيراً نطلقه على هذه الغرائب سوى كلمة « انقلاب الخلقة » ذلك لان هذه الحالات لم تشاهد على هذه البسيطة منذ ان عرف التاريخ وان العالم رأى منها ما لم يره منذ الوف من السنين .

وقد هاجت روسية وثارت على هذه النظريات وخاصة ما يمس العائلة منها . وانقسم البلاشفة الى عدة اقسام في هذا الامر ولذا فانهم عدلوا عن تطبيق هذه القواعد بالاكراه وجعلوها اختيارية ائلا تفسد عليهم مذهبهم وخصصوا مكافآت وجوائز نفيسة لمن يرضى باتباعها ولهذا السبب قد توقف الهياج بعد ذلك

ومع هذا فان اتباع هذه الطريقة كثيرون في روسية حتى بلغوا في الحالة الحاضرة نحو خمسين في المئة من الامة الروسية . ولنترك هؤلاء يدوسون المقدسات بارجلهم كما يشاؤون ولنرى ماذا يكون حالهم غداً . واعتقد اني قد اتيت لحد الان على معلومات كافية عن المذهب البلشفي وعن الغايات والمقاصد التي يرمي اليها البلاشفة وعن مناهجهم وطرز اداراتهم وعاداتهم . ولنذكر للقراء الكرام نبذة عن صدى البلشفة وتأثيرها المعكوس فنقول :

[صدى البلشفة وتأثيرها المعكوس]

لا يخفى ان تطور روسية الاخير قد اشغل جميع المحافل العالية سياسية كانت او عسكرية او تجارية نظراً لعلاقاتها الشديدة بهذه المملكة الواسعة واخذت توجس خيفة مما حل بها من المصائب وتخشى ان تسري يوماً من الايام النيران التي اندلعت السنتها في روسية الى سائر البلاد المطمئنة لان الشيوعيين قد اتخذوا هذه البقعة ملجأ حصيناً لهم وصاروا يهددون العالم من هناك . وقد هبت الدول جمعاء لصد هذا التيار الجارف لاول وهلة وبذلوا قصارى جهدهم للوقوف في وجه هذه الحركة السيئة ومنع سريانها وانتشارها وعدا ذلك فان روسية باجمعها لم تكن راضية بهذه الالاعيب بل

ان الخواص منهم — من الذين تمكنوا من النجاة — اخذوا يلجأون الى الاماكن الامينة . وازداد عددهم بالتدريج في انحاء روسية البعيدة . وقد استفادوا من تشجيع الحلفاء لهم وساعدتهم الثروة الوافرة المبثوثة فى جميع الجهات الروسية . وبهذه الصورة ظهرت عدة فرق مناوئة للبلاشفة ثم اتحدت هذه الفرق شيئاً فشيئاً ووحدت مساعيها وغاياتها فشرعت في طرد البلاشفة من البلاد والتنكيل بهم . وقد كانت حركاتهم في بادئ الامر انتقادية ثم تحولت الى حركات عدائية ثم صارت حربية وهكذا صار فى داخل روسية عدة ميادين حربية .

اشتعلت نار الحرب وصار الروسى يقتل مواطنه بابشع طريقة وافظع صورة كل ذلك في سبيل الغاية والمبدأ . وقد حدثت نحو ٩٥ منطقة حربية في روسية في اول الامر وبدأ دور الحروب الاهلية ، واتخذ اعداء البلاشفة العلم الابيض ؛ الذى هو رمز الاعتدال والسلم شعاراً لهم ولهذا يطلق على البلاشفة بـ « الحمر » وعلى مخالفيهم « البيض » . وقد دامت الحروب الاهلية التي نشبت في روسية من ١٩١٧ الى اوائل سنة ١٩٢٢ بصورة تقشعر منها الابدان فترى الواحد يمزق الآخر ويقطعه ارباً ارباً بلامبالاة ويقتل بعضهم بعضاً بصورة اشد من الذي يقتل اعداء دينه وجنسه . ولما كنت قد اشتركت فعلا في هذه الحروب فأني قد شاهدت بعيني جميع ادوارها بصورة واضحة ولذا فاني اقول : لم اصادف في جميع ادوار حياتي عداء يشبه ذلك العداء ولا قسوة تضاهي تلك القسوة كما اني لم اسمع بذلك ولم اقرأه . تجد الفريقين من دين واحد وقوم واحد ووطن واحد ويتكلمون بلغة واحدة ومع ذلك ينكل الفريق الواحد بالاخر

بصورة شنيعة همجية

وقد ادى خصام الطرفين – البيض والحمر – الى خراب روسيا المعمورة فتركها اكوام رماد، اذ كان كل منهم ينسف الجسور ويهدم المباني ويحرق القرى ويصادر الاموال ويقتل مئات الالوف من الاسرى التي يقبض عليهم كل طرف من الآخر – وهم من وطن واحد – ويرمونهم بالرصاص بلا رحمة ولا شفقة .

كنت فى الجيش الابيض وكنت من انصار الحكم الملكى وشهدت جميع الحروب التي وقعت هناك منذ نشوب الثورة وبقيت مدة عشر سنوات تقريباً واشتركت فعلا في الحروب في صف القواد الروس الذائعى الصيت الذين لهم نفوذ واسع وحائزين على اوسمة عديدة ومع هذا فاني اعترف هنا ان الجيش الاحمر وان كان لم يتردد في ارتكاب اي جريمة فظيعة او اقتراف اي جناية وحشية كقتل الاسرى البيض والتمثيل بهم الا ان الجيش الابيض كذلك لم يكن دونهم فى ارتكاب الفظايع مع الحمر برغم ان حركاته كانت وفقاً للقوانين والانظمة وغايته انتصار الحق. ولو كنا نحن رؤساء الجيش الابيض وقواده متخذين السياسة شعاراً والعطف دثاراً وسعينا فى جلب قلوب الاهلين الينا بالوسائط الملائمة واحراز ثقة العوام لامكننا قتل البلشفة في مهدها ولمحونا آثارها من روسية فى بدء ظهورها وسابحث فى هذه النظرية بصورة واضحة عندما يأتي محلها فى بحث الحروب الداخلية . وقد ذكرت هذه النبذة من النقد لاقدم للقراء ملاحظة بسيطة عن الحروب الاهلية واضيف الى كلامي هذا الحقيقة الآتية وهي ان السبب فى نجاح البلشفة فى روسية وانتشارها بمثل هذه الدرجة هو رؤساء الجيش

الابيض واو ترك قواد الجيش الابيض المنافع الشخصية والسكر والرقص والمغازلة والدسائس والتمرد والسرقة والهمجية والغزو والمظالم وغيرها وسعينا متحدين متفقين بصورة جدية وقبضنا على مهام امورنا بكلتا يدينا بقصد الوصول الى غايتنا النبيلة لما كنا نسمع للبلشفة خبراً في الحال الحاضرة. واني بصفتي منتسباً الى الجيش الابيض اعترف بدافع الوجدان وحرية الضمير بان القواد والرؤساء البيض هم الذين افسحوا المجال امام الحمر للانتصار وهم الذين اهلكوا الجيش الابيض اني لا انكر وجود عدة اشخاص من الرؤساء البيض بريئين من هذا الخطأ الفاحش واستطيع التصريح بأن الجميع كانوا قد عقدوا النية على القضاء على البلشفة وبذل الهمة لارجاع الحكم النظامي الى روسية ، وارجو ان لا يتسرب الى الذهن ان الرؤساء البيض قد تعمدوا الخيانة للبلاد كلا فانهم استخفوا بالحياة عدة سنوات فقاوموا الحمر بكل شجاعة وخسروا في مدة اربع سنين عدداً كبيراً من الرؤساء الذين لا يدانيهم مدان في الاستعداد والكفاءة العسكريتين والاخلاص للوطن وكذلك خسروا الوفاً من البشر. ولكن الخطأ كان آتياً من الاحوال التي ذكرتها آنفا والاصح ان القواد البيض لم يحسنوا السياسة وسلكوا للظفر طرقاً ضيقة المسالك ولم ينعقد رأيهم على امر ولم يتركوا خطه القوة والاكراه والظلم ولهذا فقد غلبنا على امرنا وتم الظفر للبلاشفة في حين ان روح الاقدام والشجاعة التي تخلق بها رؤساء الجيش الابيض ليس لها مثيل في تاريخ الحروب وسآتي على نبذ من سيرتهم عند سنوح الفرصة.

﴿ البلاشفة واليهود ﴾

ان الاكثرية الساحقة من الرؤساء البلاشفة ومبرزيهم هي من اليهود وان الروس لا يملكون من المناصب الخطيرة في روسية البلشفية، البالغ عددها ٥٠٣ مناصب غير ١١ منصباً وثمانية مناصب منها للاجانب واما الباقي وعددها ٤٨٣ منصباً هو بيد اليهود ومن هذا البيان الموجز يظهر ان اهم المناصب هي في قبضة اليهود . وان مجلس معتمدي الامة [يعني الوزارة البلشفية] تتألف من ١٨ عضواً ليس فيها سوى ثلاثة اعضاء من الروس الحقيقيين و ١٥ من اليهود ولكن هؤلاء اليهود كانوا قد اندمجوا في الجنسية الروسية وقبلوا الدين المسيحي منذ مدة وغيروا اسماءهم الاصلية . والاعضاء الثلاثة الروس هم لينين و شيشرين ريقوف . وقد تربع هؤلاء على المناصب في ابتداء الثورة البلشفية. واما المقامات الثانوية فما دونها فهي بيد اليهود واما الروس فهم يستخدمون فى وظيفة كاتب بسيط او مبيض او فراش [خادم] في الدوائر البلشفية واما المؤسسات المالية التي تحتوي على الاموال فانها برمتها بيد اليهود ولا اثر للعنصر اليهودى في الجيش الاحمر لانهم لا يطيقون ان يتحملوا المشاق والمصاعب . ولكن ضباطهم وقوادهم من اليهود غالباً — بنسبة تسعه اعشار المجموع — واليك مثلا تروتسكى » الذي يقود نحو خمسة ملايين من الجنود الحمر ولا يزال يهدد بهم العالم باسره والذي يكاد ان يكون حاكما مطلقاً « ديكتاتور في عموم روسية فانه من اسفل طبقة بين يهود روسية ولم يكن قد شاهد الجندية حتى ولا فى منامه بل كان محامياً



شعبهٔ الاجراء المركزيهٔ لمؤتمر مشرق الاعظم فى موسقو الحمراء سنهٔ ١٩٢٠

تحت رياسهٔ زينوف بهفاپفءل باوم

بسيطاً ومشوه الخلقه اعرج الرجل ، معوج الفك . وليس هذا الاسم اسمه الحقيقي بل كان اسمه اولا « برونشتين » ولا يبعد عن ذاكرة القراء ان « لنين » هو الذى سبب هـذه الفوضى فى روسيـة والذي كان السبب فى سعادة اليهود وتسنمهم منصات الحكم وقبضهم على زمام الحال ومع كل هذا فان اليهود لا يرتاحون لوجوده على رأس الحكومة لانه روسي الاصل . وقد دبروا له انواع الحيل والمكائد لابعاده عن مقامه واهلاكه فتارة كانوا يشيعون بانه مختل الشعور وطوراً يذكرون انه مبتلي بالصرع كل هذه الدسائس ليجبروا المسكين على الانزواء والانسحاب عن ساحات العمل ليخلوا لهم الجو . وقد تفننوا فى الاساليب التي دبروها لدهورته بدرجة تجعلني لا اشك بانهم سيقضون عليه لا محالة . وقد اضطروه الى ملازمة الفراش وهو صحيح بدعوى انه مريض والحوا عليه حتى ابتلى بداء العطالة والمسكنة فنزعوا السلطة من يده وعيناه تتصلعان اليها وابقوه بمثابة رئيس شرف للبلاشفة وقد اعتزل الاعمال منذ سنة ١٩٢١ ولا يتصور ان لنين كان طاعناً فى السن فقد كان فى سنة ١٩١٧ اي فى بداية الثورة في السابعة والاربعين من عمره وكان رجلا روسياً قوي البنية معتدل البدن وقد ذهب ضحية الاطماع

وقد نال اليهود ما تمنوه اخيراً فقد لفظ « لنين » نفسه الاخير في موسكو الحمراء بين الورد الاحمر وكان امل اليهود ان ينتقل مقام الرياسـة الى « تروتسكى » اليهودي الا ان الدم الصقلبي اخذ يجري فى عروق الروس الذين تاهوا فى وادى الضلالة . فلم يشاؤا ايداع هذا المقام السامى الى اليهـود بل سلموه الى « ريكوف » ذلك القروي الروسى الصميم وكلمة

(لنين) لفظة مستعارة واطلقتها عليه الجمعية فى السابق واصل اسمه « ولادى مير اوليانوف » وقد نزعت السلطة من يده فى السنين الثلاث الاخيرة تماماً واصبح تروتسكى هو الآمر المطلق « ديكتاتور » وهو القائد العام وهو رئيس الحكومة وهو القيصر

وقد سمع لنين يكرر العبارة الآتية وهو محتضر :

« آه ! ماذافعلت؟ دهورت الشعب الروسى الى المهالك ليسعد اليهود.»

فهذه انقلابات الخلقة التى احدثتها البلشفة ...

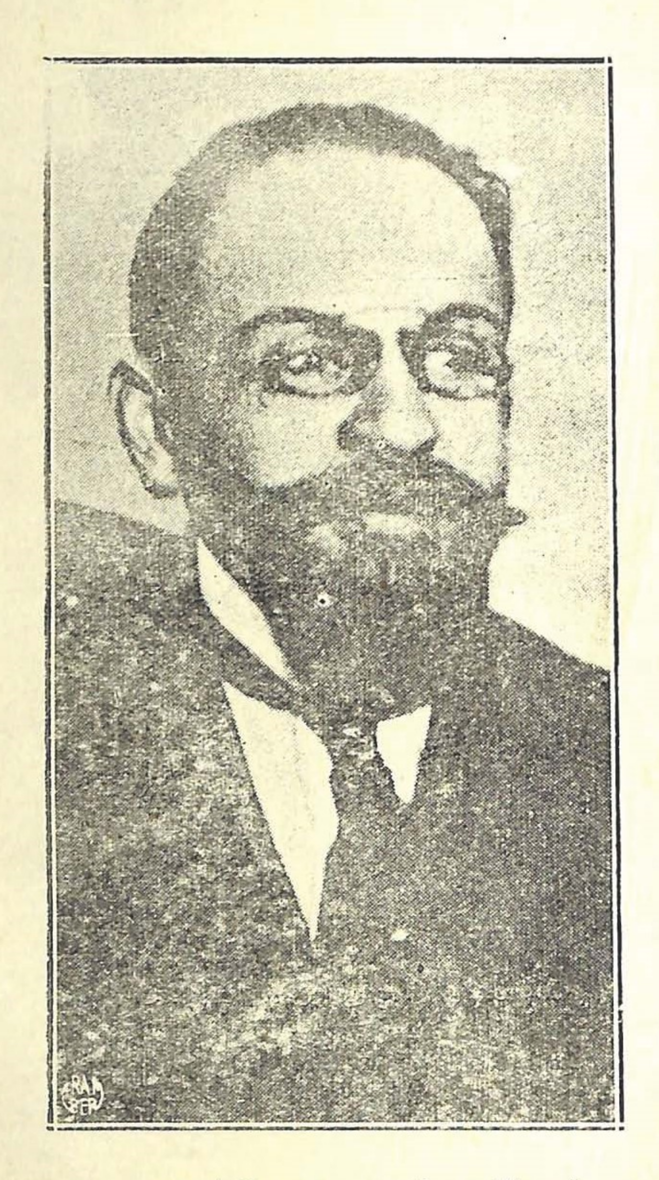
« الاضرار التى الحقتها البلاشفة بالحلفاء »

لاشك في ان جميع حكومات الامم المتمدنة عموماً ودول الحلفاء خصوصاً مخالفة للقوانين البلشفية نظراً لكونها مغايرة على خط مستقيم للحياة الاجتماعية ويفهم من البحث الذي مر بنا ان هذه الفئة اضرت بالانسانية من كل الوجوه واريد أن ابحث الان في الاضرار التى الحقتها هؤلاء بحلفائهم والعداء الذي احكموه بينهم . فان البلاشفة لما استلموا زمام الحكم في روسية كان باكورة اعمالهم الجري على النهج الآتي :

(١) انهم عقدوا صلحاً منفرداً مع الالمان في « برست ليتوفسك » مما اضر مصالح روسية وحلفائها وخالف العهود والمواثيق التي قطعت بينهم.

٢ — الغوا جميع المعاهدات والاتفاقيات التجارية والصناعية والعسكرية والسياسية المنعقدة بين روسية وسائر حكومات العالم — وخاصة الحلفاء — في زمن عائلة (رومانوف)

٣ — اعلنوا عدم الاعتراف بجميع الديون الداخلية والخارجية التي



« يوفي » الذي وقع على معاهدة الصلح المنفرد بين البولشفيك والالمان في « برست ليتوفسك »

عقدت في زمن القيصر مهما كان الغرض من عقدها.

٤ — نظموا الترتيبات والوسائل الخفية لزرع بذور الثورة فى مستعمرات الحلفاء وممتلكاتهم. وارصدوا لذلك مبالغ طائلة فعقدوا لهذا الغرض في بادئ الامر «مؤتمر الشرق الاعظم» وذلك فى موسكو وقد ترأسه «زينوفيف» وزير المعارف البلشفية واصله يهودي واسمه الحقيقي «آبفل ايفه‌ل‌باوم» اي شجرة لتفاح بالالمانية. وفرقوا المؤتمر المذكور الى شعبتين، شرقية وغربية. فالشرقية تنظر فى امور آسيا وافريقا واوستراليا وملحقاتها والغربيــة تنظر في امور اوروبا وامريكا وخصصوا لها سنوياً نحو سبعة ملايين ليرة روسية ذهباً

٥ — انهم افشوا جميع المعاهدات والاتفاقات السرية والعلنية التى عقدتها روسية قبل الثورة مع جميع دول العالم خاصة مع الحلفاء ونشروها فوق الصحف

٦ — الانصراف الى التفنن فى المظاهرات والدعاية بجميع الوسائل المادية والمعنوية الخفية والعلنية لحمل العوام في العالم على القيام على حكوماتهم والقضاء على الحكم النظمى واعلنوا حرباً دائمة على جميع اصحاب رؤوس الاموال في العالم وعلى جميع الحكومات.

٧ — نهب جميع المؤسسات والمخازن العائدة للاجانب وخاصة للحلفاء واحرقوا مبانيها وكذلك فعلوا بالمعامل والمصارف وغيرها سواء كانت رسمية او غير رسمية، تجارية او عسكرية اوصناعية. فدمروها كما دمروا المؤسسات الروسية من قبل. وساقوا اصحابها وسائر المستخدمين الاجانب — بعد ان سلبوهم اموالهم — الى المعسكرات البلشفية بصفة اسرى حرب وعاملوهم معاملة دنيئة جداً

وقد ادخل البلاشفة تعديلات مهمة الى منهاج ادارتهم في سنة ١٩٢٢ الا ان هذه التعديلات لا تختلف عن منطوق المقررات السبعة التي ذكرناها في محلها . الا ما يتعلق بالتملك والاختصاص فانهم اعترفوا بقاعدة « العمل المتقابل » او « العمل المشترك » او بتعبير اخصر « الشركة في العمل » بدون رأس مال ، ورفعوا دفاتر النوبة عن النساء ، وقيدوا نوعاً ما حرية المتزوجات ، واعادوا عقد النكاح في الكنائس ، وارجعوا بعض المعابد الى ما كانت عليه ، وخففوا من غلوائهم في محاربة الاديان وعدائها ، وادخلوا بعض تعديلات ومواد قانونية في المحاكم وقد التفتت اليهم اوروبا بعد هذه الاعمال .

وعندي أن البلشفة لا تتمدين ومتى تمدينت اضمحلت فلا يبقى لها اثر ذلك لان البلشفة هي الفوضى بعينها فاذا وضعت امور كهذه في شكل نظامي [مهما كانت صورته] واتبع فيها مناهج وترتيبات معلومة فانها تدخل في شكل جديد فاذا صح ما نسمعه من تعديل الانظمة البلشفية وربطها بقوانين فاننا نحكم على اضمحلال البلشفة وزوالها ، وحلول ادارة منظمة في محلها .

ولكننا — مع كل اسف — نرى الاشخاص الذين احدثوا القلاقل وسببوا الفوضى في النظام في روسية ؛ لا يزالون متربعين على منصات الحكم في الحكومة التي نسمع بانتظامها وهم الآن اصحاب الحل والعقد في « البلشفة المعدلة » وها نحن نرى الجناة بالامس قضاة اليوم .

يقول المثل « الناقص لا يبنى » وما دام الجوهر باق والاساس ثابت لم يتغير فان البلشفة ثابتة لا تتغير وهي راسخة القدم كما كانت سابقاً وما

هذه الاخبار التي اذاعوها الا بمثابة ذر الرماد فى العيون ونظراً لما اعلمه علم اليقين ان البلاشفة باقية وان اعتورها اي تعديل او تغيير ما دام في رأس الادارة الاشخاص الذين لا تتغذى ارواحهم الا بالقلاقل والفوضى؛ امثال تروتسكى ولوناجارسكى وزينوفيف وكامنيف وكراسين وريكوف وشيشرين وسميرنوف ورادوك وجوفي (١) ودزرجينسكى وطوبنسون وشوميانسكى وغيرهم

[انتهى الفصل الرابع ويليه الفصل الخامس]

---

(١) هو رئيس مندوبي السوفيت فى مؤتمر « برست ليتوفسك » وهو الموقع على المعاهدة البلشفية — الالمانية . واصله يهودي وكذلك زملاؤه في المؤتمر يهود

الفصل الخامس

المندرجات : — خروج الجنرال « كورنيلوف » في قفقاسية مرة اخرى — ظفره — مقتله — تقلد الجنرال « دنيكين » منصب القيادة العامة — الخروج على البلاشفة في سائر انحاء روسية — قضية سيبريا — جيش الجنرال « سمهنوف » في سيبريا الشرقية — قوته — اركانه المهمة — ظفره — الامور التي مرت علي — كيف هربت من البلاشفة — ماذا رأيت وماذا تحملت — دخولي الى جيش الجنرال « سمـهنوف » — اعمالي في الجيش — منطقة مانشوريا — الفرق البيض في الشرق الاقصى — القواد البيض — انتخاب الجنرال « سمـهنوف » الرياسة العامة — الجيش الجيكوسلوفاكي — تاريخه — كيفية اشتراكهم في الحركات ضد البلاشفة — الظفر التام للجيش المعادي للبلشفة — تطهير سيبريا منهم — اتفاق القواد المناوئين للبلاشفة — موقف الاسلام في روسية تجاه البلاشفة — قانون ادارة المليسة لمسلمي روسيا — الفرق الاسلامية — الفيلق المختلط الاسلامي والروسي — تصريحاتي في المجلس الحربي المنعقد في « بورت آرتور » — الادوار التي قام بتمثيلها جيش الاسلام في الحرب ضد البلشفة — نواب المسلمين .

كنا قد كتبنا في عدد سابق كيف خابت اعمال الجنرال « كورنيلوف » في بادئ الثورة وكيف فر متنكراً من بطرس برج الى جنوبي روسية وقد اخذ يعمل فى تدبير حركة اخرى فاتفق مع عدة قواد آخرين واعان القيام على البلاشفة فى (كوبان) فى القفقاس واثار معه القوزاق وقد تمكن

هذا القائد الغيور بعزمه من تطهير تلك المنطقة من البلاشفة بظرف مدة وجيزة وقد اتخذ المقاطعة المذكورة اساساً للحركات الهجومية للشمال والشرق والقفقاس. وقد كانت الحكومة البريطانية التي هي احدى دول الحلفاء قد احتلت ولاية باكو بقصد حماية منابع النفط ومؤسساتها فلذا وجد الجنرال الثائران مؤخرته محفوظة من هجوم البلاشفة فاهتم بالمواقع الامامية وتمكن من طرد البلاشفة من جميع القوقاس. وارجع الادارة القانونية بسرعة لى جميع مدنها كتفليس وباكو وباطوم ولادي قفقاس واستراخان وروستوف وغيرها. وكان الجيش المتطوع آخذاً فى الازدياد كما ان البلاشفة اخذ يداخلهم الخوف والارتباك من جراء هذه الحركة. فكان الجيش الابيض فى تقدم مستمر والجيش الاحمر فى تقهقر دائم. واما الضباط فهم من خيرة ضباط الجيش الروسي فى عهد القيصر ونخص بالذكر الجنرال (الكسه يه ف) رئيس اركان الحرب فقد كان هذا رئيس اركان حرب الجيش الروسي العام فى عهد القيصر. وكذلك الفريق الجنرال (دنيكين) والفريق البارون (فرانكل) والمشير « مارشال » (كوته بوف) والجنرال (ابراموف) والجنرال (فوستيقوف) والاميرال (كدروف) والاميرال (دومنيل) والجنرال (بوكروفسكى) والجنرال (شكورو) وغيرهم من القديرين.

بدأ تقدم هجوم الجنرال « كورنيلوف » في انحاء مدينة (بياتي غورسق) وقد احس البلاشفة بالخطر فاخلوا البلدة فاخذ المتطوعون يدخلون المدينة من جهات مختلفة وكان هذا القائد الجسور في مقدمتهم راكباً فرسه متقلداً سيفه وهو يشجعهم الان الحكمة الالهية قد قضت على روسية

بالبلاء حيث ان هذا القائد الجسور الذي كاد ان ينقذ الامبراطورية من الخطر قد اصيب برصاصة وهو يدير حركات القتال ويشجع الجند فخر صريعاً اما الجنرال (الكسيف) فلم يعبأ بمقتل هذا القائد بل اخذ يواصل الهجوم قائلا « اذا كان كورنيلوف قد مات فان الغاية لم تمت » وكتم خبر موته عن الجند الى ختام الهجوم

سقطت هذه المدينة ، ودخلها المتطوعون ظافرين الا ان هذا الانتصار الذي كان غالي الثمن على الجيش الابيض قد ابكى الجيش اخيراً ؛ لان « كورنيلوف » قد فقد من الجيش ! ...

وقد شيع فى اليوم الثاني نعش هذا القائد الذي لفظ نفسه الاخير فى سبيل انقاذ بلاده ؛ بمهرجان عظيم من قبل جميع الجند واودع فى مرقده الابدي. واعترى اليأس قلوب القواد فلم يتمكنوا من الثبات .

وفى تلك الاونة التي سادت فيها الكآبة والاضطراب الفكري تقدم الجنرال (الكسيف) رئيس اركان الحرب وقال : « ايها القواد والضباط المخلصون ، ايها الجنود البواسل ! ان (كورنيلوف) قد مات ولكن الغاية المقدسة لم تمت بعد . وان اقل يأس او فتور فى هذا الجهاد يعد خيانة عظمى للواجب المقدس ولامنا روسية العزيزة ان قائدكم من الآن فصاعداً هو الجنرال (دنيكين) وقد اعترفت انا له بالطاعة والاخلاص فكونوا انتم كذلك »

فانتبه الحاضرون لهذه الخطبة التاريخية الخطيرة . من الغفلة واليأس وهتفوا للقائد الجديد وادمعتهم تسيل من عيونهم .

ولم ينحرف « دنيكين » عن الخطة التي اتبعها سلفه بل اخذ التوفيق

يمقد بلوائه حتى انقذ جميع جنوبي روسية من الخطر البلشفي واخذ الرعب مأخذه من الجيش الاحمر وبدأرجاله يفرون من القتال زرافات ووحداناً . واستولى جيش (دنيكين) على القريم وجنوبي تاتارستان وتطهرت قفقاسية من البلاشفة تماماً . وسار بعد ذلك يتقدم الى موسكو عاصمة الحمر .

ولما رأى الاوروبيون نجاح (دنيكين) رحبوا به وحبذوا اعماله . ولما رأى الجنرال « كالادين » قائد قوزاق « دون » انتصارات (دنيكين) مال اليه وانضم الى جيشه بمن معه من الرجال البالغ عددهم ٧٦ كتيبة من الخيالة القوزاق وبهذه الصورة بلغ عدد جيش الجنرال (دنيكين) زهاء ٣٠٠،٠٠٠ مقاتل .

ولم يكن الخروج على البلشفة منحصراً في جنوبي روسية وحدها . فقد ظهرت عدة فرق بيض بقيادة قواد قيصريين في اثناء ظفر دنيكين وذلك في سيبريا الشرقية والغربية والوسطى ، وعلى امتداد نهر « آمور » وفي منشوريا ومغولستان وبوريا تستان وباشقرستان وقيرغيزستان واورالستان وتاتارستان وتركستان واوكرانيا وفنلانديا وفي ماوراء بايكال . وسيأتي تفصيل كل ذلك في محله . فلنترك ظفر الجنرال « دنيكين » ولنأت بمسألة سيبريا :

كان في سيبريا الشرقية قائد يسمى الجنرال « سمانوف » وكان منذ ظهور البلشفة يقود جيشه المرابط على طول الخط الحديدي في منشوريا .

ان الجنرال « سمانوف » هو جنرال من قوزاق سيبريا . ويضمر الولاء التام للقيصر وللعائلة المالكة . وقد اودعت اليه مهمة حفظ الخط

الحديدى فى منشوريا من قبل الحكومة الثورية الاولى وذلك نظراً لكونه يحسن اللغة المغولية ولانه احد ابناء امرآء المغول وقد اودع باسمه في المصرف مبلغاً وافراً من الدراهم بقصد تأليف مفرزة قوية (والاصح فيلق قوى) لتحافظ على الخط. وقد بذل جهده وتمكن بظرف بضعة اشهر من تأليف جيش منشوريا المستقل وكان شكله النظامي فى اوائل سنة ١٩١٨ كما يلي:

٥ كتائب مشاة، ٣ كتائب خيالية، ٥ سرايا رشاشة (١) ٥ بطريات مدافع (٢)، [وكتيبة من القوزاق وكتيبة من البوريات وكتيبة من الصينيين. وكل هذه خيالة]، ٥ قطارات مدرعة، ٥ طيارات ٥ سرايا من السيارات،

وكانت مهمة هذه المفرزة: حفظ الخط الحديدى فى منشوريا من النقطة المسماة (جان جون) الى (جيتا). وكان قائد هذا الجيش (جيش منشوريا المستقل) هو الجنرال «سمه نوف» ورئيس اركان حربية الجنرال «تاتبسوالوف» وقد قامت هذه المفرزة بوظيفتها احق القيام من بدء تأليف الحكومة الثورية الى الثورة البلشفية ولنأت على اعمال «سمه نوف» بعد الثورة البلشفية:

لما نشبت الثورة البلشفية اضطر هذا الجنرال الى نقل جيشه وذخائره الى بلدة (منشورية) الكائنة فى حدود الصين. ولما سرت البلشفية الى سيبريا كان هذا القائد محافظاً على جيش قوى لا يقل عن مئة الف جندى مجهزين باحسن العدد وكانت مؤخرته امينة جداً لاستنادها على

(١) ان سرية الرشاشات فى روسية تحتوى على ثمانية رشاشات

(٢) البطارية الروسية ذات ست مدافع

الحلفاء ومساعدتهم له . ولم يدع البلاشفة ان يدخلوا منشوريا بل جرد الداخلين منهم من سلاحهم وساقهم بصفة اسرى حرب .

وقد احس البلاشفة بوجود قوة مخالفة لهم فى الشرق الاقصى ولذا جردوا عليه حملة بلشفية . وقد التقى الجمعان لاول مرة بالقرب من بلدة (دائوريا) وذلك فى ١٣ كانون الاول سنة ١٩١٧ . وبعد حرب دامت عدة ايام تمكن « سمهنوف » من اسر القسم الاعظم من الحملة البلشفية واخذ سلاحهم . واخذ يتقدم بصورة محاذية لخط (دائوريا) الى جهة الغرب فاحس البلاشفة آنئذ بالشر وارسلوا جحافل من الجنود . فاعلن « سمــهنوف » الحرب على البلاشفة بصورة تامة . اما سفرآء الحلفآء فى الشرق الاقصى ، والحكومتان الصينية واليبانية فانهم رحبوا بأعماله واخذوا يساعدونه بصورة مادية وادبية . واخذ جيش « سمهنوف » ينمو بالتدريج واضاف عليه ؛ ثلاث فرق مشاة وسبع بطـاريات من مدافع الصحراء والجبل وبطاريتان من المدافع الثقيلة من عيار ٦ انجات وخمسة قطارات مدرعة ، وسريتين من السيارات المدرعة ، كل سرية متألفة من ثماني سيارات ، وفرقتين من القوزاق ، وقد اطلق على هذا الجيش بعد ذلك : (جيش سيبريا الروسي المستقل) وفي اواسط ١٩١٨ كان يوجد لدى الفريق « سمهنوف » مـا لا يقل عن ١٥٠ الف جندى باسل ومجهز بالعدد .

وكان جيش « سمانوف » يحتوي على الترتيبـات الاتية وذلك فى تموز سنة ١٩١٨ :

١ — الفريق [لفتننت جنرال] « سمانوف » : القائد الاعظم لجيش

سيبريا الشرقية

٢ — اللواء [ميجر جنرال] « ناتسو الوف » Natswaloff رئيس اركان الحرب العامة

٣ — الفريق « سما نوف » [عم القائد الاعظم] قائد فيلق القوزاق في ما وراء بايكال .

٤ — الفريق البارون « فون او نكرن شتارن بركر Von Ungern Stern Berger قائد الفيلق الاسيوى الثالث

٥ — اللواء « ماتسا ييفسكى » Matseievesky « قائد فيلق اعالي آمور

٦ اللواء « شيملين » Shemelin « قائد فرقة قوزاق « نرجينسك Nerchinsk »

٧ — العقيد [كولونيل] « استه بانوف Stopanoff » قائد فرقة القطارات المدرعة

٨ — الفريق « نيكانوف Nikanoff » ؛ قائد مدفعية الجيش .

٩ — الفريق « آفاناسيف Afanasieff » ؛ مدير الامور الداخلية

١٠ — اللواء زا كرجيفسكى Zagrjevsky » ؛ مدير « رمونت »

١١ — اللواء « فوسكريسنسكى Voskresensky » ؛ مدير الذخائر الحربية لعموم الجيش .

١٢ — اللواء « تيرباخ » قائد فيلق البوريات والمونغول

١٣ اللواء « كامنيف » قائد قوى الشرطة والدرك (وهذا غير كامنيف الباشفى .)

١٤ — اللواء « مدي Medi » مدير الطرق والمعابر والسوقيات

العسكرية .

١٥ — الدكتور « فولجين Volgin » دكتور في الحقوق ؛ رئيس المحاكم العسكريه والمدنية.

١٦ — موسيو « تاسكين » عضو في مجلس الدوما سابقاً ؛ مدير الامور الخارجية

١٧ — اللواء « سكبتروف Skipetroff » ؛ مفتش المشاة

١٨ — اللواء « لوفتسوف Lovtsoff مفتش الخيالة .

١٩ — اللواء « زاكوسكين Zagoskin » ؛ مفتش المدفعية .

٢٠ — اللواء « جوكوفسكى » مفتش القطعات الفنية .

٢١ — الزعيم « القادرى » « صاحب هذه المذكرات » ؛ قائد القوى المسلحة من الترك التاتار (١)

٢٢ — اللواء « كلرجه Klerje » ضابط اركان حرب ؛ المشاور العسكرى للقائد الاعظم .

٢٣ — اللواء « سيفوبرسكى Sivoboyarsky » : المشاور الملكى للقائد الاعظم ،

٢٤ — اللواء « فيدوتيف Fedotieff » ؛ مدير التموين

٢٥ — اللواء « بيريوكوف Biryoukoff » ؛ مدير المبايعات الخارجية

٢٦ — الفريق « باكشايف Baksheieff » ؛ رئيس المجلس الوطني القوزاق في شرقي سيبريا .

---

(١) في روسية يطلق اسم الترك التاتار على مسلمي روسية خاصة

فهؤلاء الذوات هم الاركان العامة للجيش الروسي المستقل في الشرق الاقصى .

وكان هؤلاء يديرون الامور الملكية والعسكرية للمناطق الممتدة من (خاربين) الى «جيتا» . ولنترك الان جيش الشرق الاقصى بحالته هذه ولنعد الى ذكر تطور حالتي الخصوصية واتصالي بالروس فاقول . بينما انا احارب الروس وانتقم منهم في ساحة القوقاس بصفة ضابط عثماني واذا بالقدر المشؤوم قد داهمنا بصورة غريبة بتاريخ ١٢ كانون الاول ١٩١٤ ووقعت انا وسريتي في شرك الاسر امام « قره اورغان » وكنت اذذاك مرافقاً رسمياً في السرية المذكورة وهي السرية الاولى من الكتيبة التاسعة والتسعين وقد قطعت عهد الشرف في تفليس واصبحت طليقاً انجول بحرية تامة فانتهزت هذه الفرصة واخذت اتردد الى معاهد التاتار وتأسست بيننا العلاقات ودخلت في بدء سنة ١٩١٧ في ترتيبات التاتار التي كانت آنئذ حديثة العهد .

وقد حصل مسلمو روسيا على ادارة لا مركزية عقيب الثورة وأخذ التاتار في احداث اصلاح وتنظيم في المدارس والجيش على الطراز العثماني فلم يروا انسب مني لهذه المهام وذلك نظراً لاتصالي بهم مدة كافية ولاني كنت ضابطاً في تركيا فندبوني للقيام بمساعدتهم . فلم اربداً من اجابة طلبهم وقبلت تكليفهم بكل سرور لاني لم ار اي محذور قومي او ديني او وجداني في هذا الامر . دخلت معهم وبدأت بالعمل بتأسيس اول كتيبة تألفت من التاتار المسلمين في سيبريا . وبهذه الصورة القيت بنفسي في هذا التيار المدهش بوجه عام . وقد وجهت لي رتبة ملازم أول

في ٧ نيسان سنة ١٩١٧ ورتبة رئيس (يوزباشي) في ٥ حزيران ١٩١٧ ورتبة رئيس تام (١) في ٥ آب ١٩١٧ كل ذلك في عهد الحكومة الموقتة الدمقراطية ونظراً للمهارة التي ابديتها في تأليف الكتيبة المذكورة فقد انعم علي بجميع الحقوق التي يتمتع بها ضباط الروس ؛ مدنية كانت او عسكرية وعينوني قائداً للكتيبة وكانت مرابطة في ولاية « بيرمي » .

وقد حصلت اتفاقيات وعهود بين القيادة العامة الروسية وبين المفتي الاعظم في (اوفا) يعترف بها ارسال جيوش التاتار المسلمة والمؤلفة على النسق الجديد ؛ الى ساحات الحرب ، وكانوا قد عقدوا النية على جعل هذه الجيوش بمثابة حجر اساسي لبنيان جيش حكومة التاتار المستقلة في المستقبل وعلى هذا كنت استند في قولي آنفاً بعدم وجود اي محذور قومي او ديني او وجداني في تكليفهم المذكور .

وبينما كنت ابذل الجهد في هذه الاعمال واذ بفرقعة الثورة العظمى قد دوت في بطرسبرج وموسكو بصورة تعادل مئة ضعف الثورة الاولى ؛ وهي ثورة البلاشفة . فارتبك كل شيء وتفرق شذر مذر . واخذ العقلاء والمفكرون يسعون الواحد تلو الآخر بقصد الحصول على مأمن وقد اختطفتني هذه الامواج بطبيعة الحال . واخذ روح العصيان يدب في

(١) في الجيش الروسي رتبتان للرئيس : احداهما رئيس والثانية رئيس تام ؛ ليس هناك رتبة مقدم (بيكباشي) والذي يترفع من رتبة رئيس تام يصير قائمقام رأساً . ولهذا فان الرئيس التام يعد من القواد [الامراء] ويمكن في اوقات الحرب ان يعين قائد كتيبة .   المؤلف

الكتيبة المسلمة بدساس الافراد البلاشفة اليها . واخيراً قاموا في وجوه الضباط ومزقوا من حاول الوقوف امامهم منهم وحبسوا الآخرين . وتمكنت انا من الفرار .

واني اعترف باللطف الذى اظهره الافراد المسلمون نحوى فانهم والحق يقال لم يمسوني بأذي بل كلفوني نزع الاوسمة والبقاء عندهم فلم يسعني الا اجابتهم وقتئذ وفي احدى الليالي غيرت ملابسي وفررت من هناك بهيأة رثة جداً وصحبني خادم لي امين ، وبقيت اتجرع الغصص في طول البلاد وعرضها مدة شهرين كاملين شاهدت في خلالهما جميع المناظر المخزية وفظايع الثورة المخربة وانحلال الجيش وانهزامه . وقد قذفتني الامواج الهائلة ، امواج الثورة الى بطرس برج وموسكو وعدة مدن اخرى كقازان واوفا واورانبورغ وسامارا وغيرها . وقد ارتسمت على صفحات ذهني المكلوم جميع ما شاهدته من الفجائع والتوحش والاحوال غير الطبيعية ، لكي اعلنها للعالم كافة فى مثل هذا اليوم .

وقد سئمت من الاهوال التى شاهدتها طول هذه المدة واتجهت نحو سيبريا لعلى اجد منفذاً للخلاص من المأزق الذى كنت فيه . وبعد سياحة طويلة ومشاق عظيمة ومهالك ونكبات عديدة اسعدني الحظ بالوصول الى حدود مانجورى (مانشوريا) فتنفست الصعداء ظاناً انني قد نجوت من اهوال المحشر الدنيوى ولكن – ويا للاسف – وقف بنا القطار في المحطة الواقعة عند الحدود . واذا بنا لم نزل فى ارض روسية البلشفية .... اواه ! لم نخلص بعد من البلاء ! ...

لم نشعر الا وبنفر قد صعد الى القطار كالوحش الضاري وقد علق على

ذراعه ثلاثة شرائط حمر تدل على انه من الجيش الاحمر . وباشر بتدقيق تذاكر المرور (باسبورت) وفي الحقيقة يفتش عن الضباط الفارين . ولا حاجة الى اطالة الكلام فقد وقع نظره على قبل كل احد فاخذني الى المحطة وتركني كفداء لدى السفاكين المفترسين وسافر القطار من ساعته فايقنت بالهلاك واضحى الموت محققاً لدى ! واي موت ؟ الموت رجماً بالحجارة !.

والحاصل اخذوا في فحص ثيابي بصورة وحشية وذلك بعد ان اسمعوني من التحقير والازدراء مايعجز عنه الوصف ! فوجدوا عندي نحو الف ليرة ذهباً ومقدار خمسين الف روبل قيصري ورقاً (ولم تكن اوراق الروبل قد سقطت قيمتها في ذلك الحين بل كانت تساوي الليرة الذهب ٥٠٤٥ روبل) .

ولما وجدوا عندي هذه المبالغ من الدراهم صرخوا كلهم قائلين : لقد قبضنا على متمول ، ظالم . وقد دافعت عن نفسي بقولي انني لست روسيا بل اني مسلم ، تتري ، تركي اوعربي فلم يفد ذلك شيئاً والتف حولي جم غفير منهم واخذ الباقون يتواردون افواجاً وبايديهم الحجارة والعصي والفؤوس والمساحي والحراب والبنادق الى غير ذلك من الادوات المهولة اما انا فقد اودعت في غرفة مدير المحطة وكلفوه بحفظي فطفقت اشاهد هذه المناظر المخيفة من شباك الغرفة وقد اظلمت الدنيا في وجهي ويئست من الحياة . وبينما انا انتظر الساعة الاخيرة واذا بمدير المحطة اقبل نحوي وقال لي بتوجع : ايها الرجل البرئ الذي لااعرفه ان خادمك سينجوا ولكنك ستموت لامحالة لاني اراهم كل يوم يمزقون الضباط الذين يهربون بالقطار اذا قبضوا عليهم . فكيف وقد وجدوا معك مقداراً وافراً من الدراهم ؟ ولااظن انه توجد وسيلة لخلاصك . »

ثم اخذ المدير يفكر ويتمشى ولم يبق لي طاقة على الكلام وخمدت انفاسي تماماً وخاصة بعد ان سمعت منه ماسمعت . ثم اقبـل علي ذلك الروسي النجيب وقال : « سأدبر لك حيلة فاما تنجيك واما نذهب نحن الاثنان الى الهاوية ولابأس فقد سئمت الحياة ونفرت من مناظر السفك الموحشة التي اشاهدها كل يوم » ثم خبأني تحت منضدته واسبل عليها وعلي ستارها الاخضر .

واتفق ان وصل في تلك الاثناء الى المحطه قطار تجـاري فخرج المدير ليوقفه واذا به يرى الغوغاء مشغولين بتقسيم دراهمي بينهم والمشاجرات بالغة منتهاها . ثم فاجأ الغرفة عدد من اصحاب الشرائط الحمر فوجدوا المحل فارغاً وللحـال صرخوا « ابن المتمول » وخرجـوا في أثر المدير وارجعوه سحباً ولما وصل الغرفة قالوا له اين « المتمول ؟ نريده منك ! احضره حالا لنمزقه ! » فحملق المدير عينيه وصرخ بهم بجسـارة قائلا : « اما تستحون ! هل انا هنا مدير محطة ام حارس لكم . اني لااعلم اين ذهب المتمول هل سلمه احد الي . وهل وضعتم عليه حارساً . وما يدرينا لعله هرب والتحق بالقطار الذي ذهب الى منشوريا . »

وكانت هذه فرصـة للقطار التجاري فانه لم يقف بل انسـاب واجتاز الحدود الى منشوريا واصحابنا يتشاجرون ولم يزالوا كذلك حتى اظلم الليل واخذ الرعاع والجماهير يتفرقون شيئاً فشيئاً بعد ان اوسعوا المدير شتما وقذفا ولا يعلم الاضطراب الذي كنت فيه عدة دقائق وانا تحت المنضدة الا الله وحده فقد كانت هذه المدة القصيرة تعادل اضعاف السنين التي عمرتها وليست هذه النكبة بدرجة تحيط بها الاقلام او يقوم بوصفها اللسان

والحاصل ان هذا الرجل الطيب القلب ابقاني الى نصف الليل واركبني بقطار العمال الذي سار الى منشوريا وبهذه الصورة امنت على حياتي بعد ان اوشك الرعاع يمزقونني . وبينما انا افكر في كيفية خلاصي وهل انا حي او ميت واذا بالقطار يصفر مبشراً بوصوله قصبة مانشوريا . وهناك تنفست طويلا بعد ان كانت انفاسي منقطعة واشتد بي الفرح .

وقف القطار في ساحة السلامة ونزلت منه ومشيت على الارض باطمئنان تام :

اما قصبة مانشوريا هذه فقد كانت تابعة لروسية ضمن منطقة مانشوريا المترامية الاطراف وقد استولى الروس على هذه المنطقة بموجب المعاهدة التي عقدوها مع الصين في سنة ١٨٩٠ وهذه المعاهدة تقضي باستيلاء الروس على طرفي الخط الحديدي الكبير في منشوريا الى بعد عشرين كيلو متراً عن الخط يميناً ومثلها شمالا وهذا الخط يبلغ نحو ثلاثة آلاف كيلو متر ابتداء من قصبة منشوريا الى قلعة بورآرثر الشهيرة وقد ترك الروس نحو ثلث هذه المنطقة (من بورآرثر الى جان جون) الى اليابان بعد حرب الروس واليابان في سنة ١٩٠٥ فانضمت هذه البقعة الى اليابان بعين الصفة لتي استولى عليها بها الروس وظل القسم الباقي بيد الروس حتى الثورة .

ولما حدثت الثورة العظمى في روسية اخذت حامية لثغور الروسية على عهدتها حفظ هذا القسم وذلك بمساعدة الحلفاء وموافقة حكومة الصين . فلم يدعوا بلشفياً تطأ قدماه ارضها وبناء على ماتقدم فقد بقيت هذه البقاع طاهرة من الرجس واصبحت كأنها اجنبية وقصبة منشوريا ضمنها .

ولا حاجة الى القول بان هذه المقاطعة اصبحت الملجأ الوحيد للجيش القيصري وحاشيته فكان يؤمها جميع الروس الهاربين من مظالم البلاشفة حتي غصت بهم . ولم يظل هؤلاء هناك عاطلين بل اخذوا ينظمون الجيوش ويؤسسون الحملات العسكرية بمساعدة الحلفاء وبعد خلاصي من ذلك الهرج والمرج رأيت نفسي فجأة امام قطعات عسكرية منظمة فظننت اني في العهد القيصري .

وبعد ان استرحت عدة ايام قابلت هناك الجنرال « سمه‌نوف » قائد الجيش الروسي المتطوع ، ورئيس اركان حربه الجنرال « ... تسوالوف » وقد ابرزت لهما بعض اوراق رسمية وشهادات تمكنت من حفظها ولما اطلعوا عليها عرفني وتذكر اعمالي السابقة في روسية واظهر امتنانه لخلاصي سالماً من مخالب الوحوش الحمر ووصولي الى هاتيك الديار . ثم عرض علي الاستخدام في الجيش المتطوع وصرح لي بصفته قائداً عاماً للجيش بانه يحترم العهود التي قطعتها الحكومة الموقتة للتاتار واردف كلامه بقوله « ان الغاية التي نتوخاها هي اعطاء الامم التي تحكمها روسية تسهيلات كثيرة على طريقة توسيم المأذونيات » ثم قال « واذا استأنفتم اعمالكم السابقة في تأسيس قطعات التاتار فان ذلك يعود عليكم بالنفع ولا يضركم شيئا وتزيدوننا امتناناً . ولاشك بانكم قد شاهدتم باعينكم في هذه السياحة ما يعمله البلاشفة وتأكدتم بان هؤلاء ليسوا باعداء الاسلام فقط بل انهم اعداء البشر جميعا » ولم يسعني الا قبول تكليفهم هذا ولكني قلت لهم يجب اولا ان اقابل القنصل الانكليزي في « خاربين » وبعدها ابدأ بالاعمال ولما زرت القنصل مستر « سلاي » اخبرني بصورة قطعية بان الحرب لم ينته بعد وان العودة

الى العراق او الى تركيا امر يكاد ان يكون مستحيلا وارتأى بان اسلم الطرق هو الدخول في جيش « سمه‌نوف » وقد دخلت الى الجيش المذكور بقصد اكمال الاعمال الشريفة التي تقدمت اليها خدمة للتاتار المسلمين وقد عينت بادئ بدء مديراً للمدرسة الحربية الاسلامية التي انشئت للبوريات والمونغول والتاتار في بلدة دائوريا . وبعد ان اكملت تنسيقها وتنظيمها على الاسلوب التركي احيلت الى قيادة الفوج الاسلامي في شرقي سيبريا الذي كان حديث العهد بالاحداث . الا ان هذا الفوج سيق اخيراً الى قتال البلاشفة فاحس القائد الحاذق بان ليس هناك اي خدمة وطنية اشخصي في تلك الحروب ولذا رفعني الى رتبة قائم مقام « عقيد » وعينني مديراً لشعبة الآلات والادوات النارية في دائرة تفتيش الذخائر الحربية للجيش وبعد ان بقيت فى هذا المنصب عدة اشهر ارجعت الى الخدمة في الجيش بقصد اكمال الاستفادة من شجاعة التاتار وبسالتهم الا ان القائد العام قد عهد الى هذه المرة بسلطة قائد لواء وتعينت قائداً للقوى الاسلامية المساحة للجيش الروسي المستقل في شرقى سيبريا .

انتصر الجنرال (سمه نوف) وامتدت فتوحاته الى مدينة (كاريمسكايا Carimscaia) وهذه المدينة مهمة جداً من وجهة سوق الجيش فى جميع سيبريا لانها كائنة على ملتقي السكك الحديدية لشعبتى (آمور Amur) ومانشوريا وقد ادي امتلاك هذه النقطة المهمة الى انتزاع مقاطعات آمور كلها من قبضة البلاشفة في مدة قصيرة وكان هذا التوفيق سبباً عظيماً في اتجاه انظار الحلفاء الى سمه‌نوف وجعلهم يعيرون حركاته اهمية خاصة . وقد امدته حالا كل من حكومات انكلترة وفرنسة واليابان

بالسلاح والذخائر . وقد كنت بصفتي مديراً للآلات النارية استلم جميع ما يرد الى جيش سمه‌نوف من قطارات الاسلحة والمهمات الواردة من الصين او من اليابان . وذلك في شهر ايار (مايس) سنة ١٩١٨

وقد اتسع نفوذ حكم (الجنرال سمه‌نوف) على امتداد سكتي آمور ومانشوريا الكبيرتين وعلى أثر تطهير شرقي سيبريا من الجيوش الحمر نصب الفريق (خوروات Khorwat) احد قواد الروس السابقين ، والياً عاماً لمقاطعة (فلادي فستوك V'adivost‹K) لم يأنف هذا القائد المحترم من الدخول تحت حكم سمه‌نوف الشاب ولم يحسده بل عرض عليه جميع ما في يده من مخزن الذخائر والاسلحة التي كانت سابقاً للجيش الروسي المرابط في الثغور في ما وراء آمور وقد عهد القائد العام الى العقيد (اورلوف Orloff) بتأليف مفرزة لحماية مؤخرته ففعل العقيد ذلك واوجد فى مدة قصيرة مفرزة قوية وكان للجنرال خوروات الفضل الاكبر فى هذه الاعمال . اما العقيد اورلوف فقد كان من الضباط الشجعان الغيورين واخذ يبث قواه على طول سكة جنوبي مانشوريا الكبيرة وطهر تلك المناطق من بعض عصابات البلاشفه بمدة وجيزة . ولم يكتف الجنرال خوروات بهذا بل عهد الى تطهير نواحي سكة آمور ايضاً فاحدث مفرزة اخرى بقيادة الجنرال (كالماكوف Ka'makoff) ومركزها مدينة (خاباروفسك Khabarovsk) الكائنة على نهر آمور وقد اظهر القائد كالماكوف دراية واهتماماً بتنظيم مفرزته هذه واخذ في حفظ مناطق جنوبي آمور وتطهيرها من عصابات البلاشفة وقد دام الظفر له حتى اطلق على مفرزته اخيراً عنوان (فيلق جنوبي آمور) وبعد ان ضبط سمه‌نوف مؤخرته



الجنرال « غايدا » قائد فيلق الجكوسلوواكي في سيبريا

بهذه الصورة صوب هجومه على ما وراء بايكال ، على مدينتي «جيتا Chita و « ورخني اوديندك Verkhni Udinsk » وبينما كانت هذه الانتصارات بصورة متحدة واذا بفرقة من القوزاق قد ظهرت في منطقة آمور الاوسط بقيادة الجنرال «سجوف Sichof » وقد تمكن هذا القائد بمساعدة سمه نوف وخوروات من تأليف فيلق قوي من القوزاق في منطقة «بلاغووج جنسك Blagovesh Chenk » على امتداد آمور وبهذه الصورة قد تطهرت في اواخر سنة ١٩١٨ جميع المناطق الواسعة اعتباراً من ساحل المحيط الهادي حتى منتهى ايالة ما وراء بايكال ولم يبق للبلاشفة اثر فيها وبهذه المناسبة اعترف القواد كالماكوف واورلوف وسجوف وغيرهم وفي مقدمتهم خوروات بحكومة الجنرال سمه نوف وكلهم انضموا بقواتهم الى الجيش الروسي المستقل في الشرق الاقصى . وقد انتقلت اخيراً مفرزة اورلوف الى مقاطعة « اوسوريسك Ussurisk » وهي المنطقة الممتدة من خاربين الى فلادي فستوك .

وقد اجتمع في تشرين الاول سنة ١٩١٨ مجلس شورى اعلا في خاربين برياسة الجنرال خوروات ضم فيه جميع كبار الرجال والمشاهير في سيبريا وقرر ايداع زمام الامور الملكية والعسكرية في سيبريا الى يد الجنرال سمه نوف مكافاة لما قام به من الاعمال وما احرزه من الظفر الخارق للعادة ، وقرر المجلس ايضاً بنصب القائد المشار اليه قائداً عاماً للقوات البرية والبحرية في حكومة شرقي سيبريا واعترف به رئيساً للحكومة المذكورة . وعندما كان سمه نوف يشدد الخناق على البلاشفة في الشرق الاقصى كان الجنرال دنيكين يطاردهم من الجنوب ويسوقهم امامه الى الداخل . وهنا

نريد ان نتكلم عن الجيش الجيك الصقلبي الذي خدم الجيش الابيض في بادئ الامر احسن خدمة ثم انقلب عليه في الايام الاخيرة واظهر بذلك خيانة عظمى.

ونظراً لعلاقة هذا الجيش بالموضوع نذكر الان تاريخه بصورة موجزة فنقول :

الجيش الجيك الصقلبي

هذا الجيش كان سابقاً جيش نمسوي وضباطه كذلك . وقد حاربوا الروس حروباً شديدة في الكاربات وغاليسيا في سنتي ١٩١٤—١٩١٥ وقد تبدلت الايام فاخذ هؤلاء يستأسرون للجيش الروسي افواجاً افواجاً ولما كانوا في الاصل من العنصر الصقلبي ويحسنون اللغة الصقلبية اخذتهم الحمية القومية وصار هؤلاء الاسرى النمسويين يتطوعون في الجيش الروسي بكل سرعة. وكونوا نحو ثماني فرق عسكرية مجهزة باحسن العدد واستخدمهم الروس باعمال طفيفة في مؤخرة الجيوش فهذه حالة الجيش المسمى بـ « الجيك الصقلبي » اعني « جيكو سلوفاك » وقد كلفت خدمات هذا الجيش؛ الروسي مصارف باهظة .

ولما عقد البلاشفة معاهدة « برست ليتوفسك » مع الالمان باشروا في تسريح فلول الجيش ولم يكن ثمة من ملجأ للجيش الجيك الصقلبي . وقد قرر ارسالهم الى بلادهم الا ان ذلك مستحيل لان بلادهم لم تزل في ذلك الحين تابعة للنمسا ولم يعلم بعد مصيرها واذا رجعوا بتلك الصفة لا شك

فانهم يكونون عرضة للعقاب الصارم من حكومتهم السابقة لانهم في نظرها خونة . وكذا فقد عدلوا عن الذهاب الى النمسا وفكروا بالذهاب الى امريكا والبقاء هناك حتى يتم امر مصير بلادهم . ووافق البلاشفة في اول عهدها — ان يبقى في البلاد قوة عظيمة منظمة مخافة ان يكون لها تأثير على سير الثورة . فلذا وافقوا على ذهابهم الى امريكا بطريق سيبريا . وكان الجنرال « غايدا Gaida » قائد الجيش المذكور ورئيس اركان حربه قد اضمر في نفسه الانضمام الى الجيش الابيض ولم يكن تظاهر بالذهاب الى امريكا الا خدعة منه ولم تكن هذه الحيلة لتبعد عن اذهان الثوار الا انهم كانوا يريدون اخراجهم من بين ظهرانيهم باي صورة كانت لانهم كانوا خطراً شديداً على الثورة وليس من المعقول ان تبقى هذه القوة الكبيرة في روسيا في حين ان جميع الجنود قد سرحت .

اجاب البلاشفة مطاليب هذا الجيش واعدوا لهم مايلزم من الوسائط لسفرهم الى سيبريا فامريكا وهكذا انفصل الجيش الجيك الصقلبي من جهة الروس الغربية وجد في سيره بقيادة الجنرال غايدا ومعه سلاحه ومدافعه وذخائره الحربية بعد ان حصل على موافقة زعماء البلاشفة في موسكو وبعد ان عاهدوه بان لايلتحق بالجيش الابيض وقد بذل الروس جهدهم لنزع السلاح من هذا الجيش الا انهم لم يتمكنوا من ذلك لان الجنود ابوا تسليم سلاحهم ولم يكن في وسع الروس ان يجبروا قوة مسلحة يبلغ عددها ثمانين الفاً على تسليم سلاحها بالقوة ولم يكن عند البلاشفة آنئذ القوة الكافية للقيام بهذا العمل الخطير . فضلا عن ان معاهدة برست ليتوفسك تقضي على الروس بتسريح الجنود بدون اخذ سلاحهم ولما كان

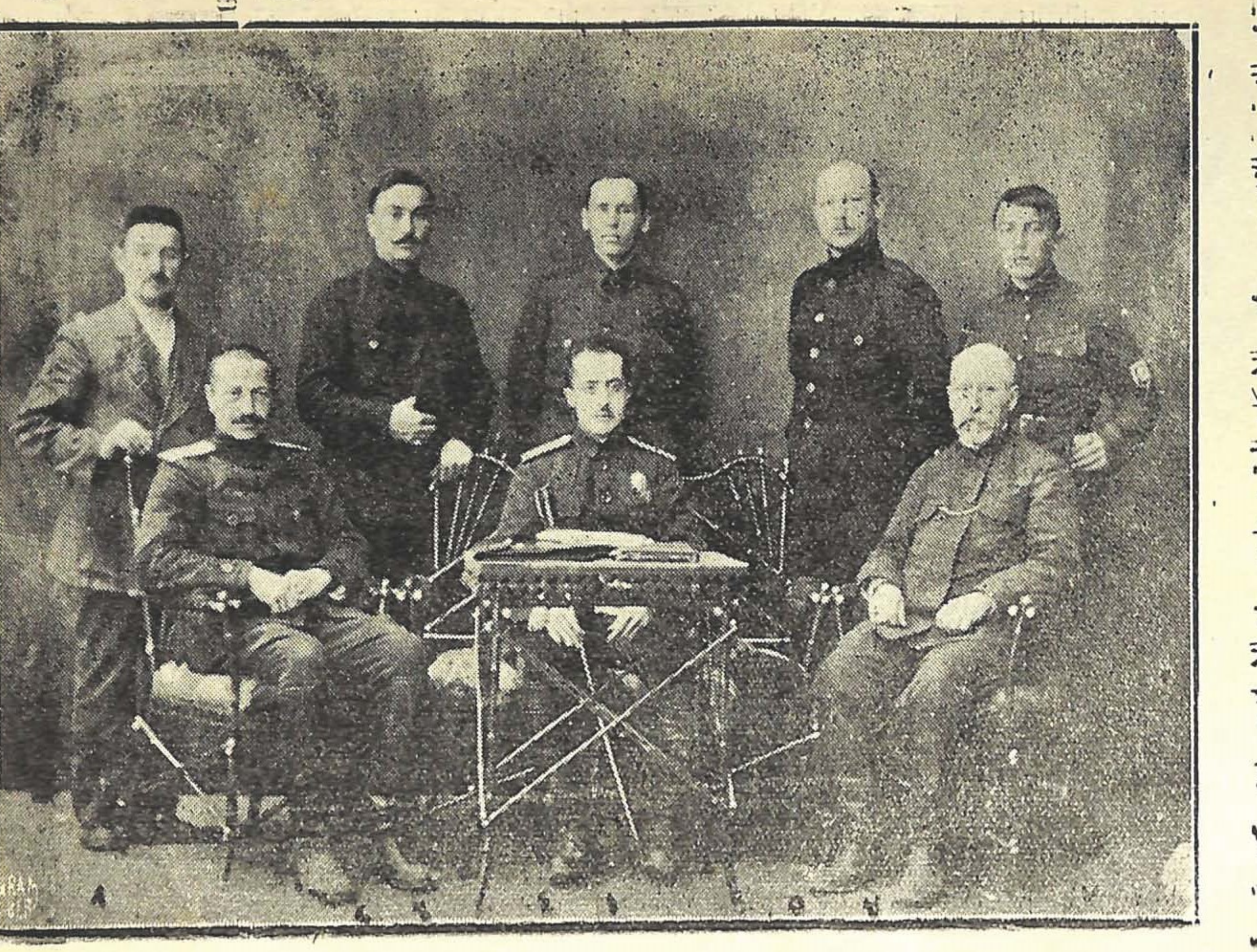
هذا الجيش في ضمن الجيش الروسي في العهد السابق فله ان يتمتع بالحقوق التي للجيش الروسي تماماً . فهذه الاسباب هي التي جعلت الجيش الجيك الصقلبي يأخذ معه سلاحه . ركبت هذه القوات القطارات وسارت بهم الى جهة سيبريا ولما وصلوا الى ولاية « سامارا » وجدوا ان مقاطعات سامار وقازان واورنبورغ وبيرمي واوفا كلها خالية من البولشفيك وكان الاهلون قد طردوا الحمر من بلادهم والفوا حكومات تدار من قبل سلطات اهلية .

فلما رأى الجيش المسافر هذه الحالة توقف هناك وعدل عن السفر وصوب سلاحه ضد البلاشفة واخذ يضرب مؤخرتهم ضربات شديدة وكان لانضمام هذه القوة العظيمة الى الجيش الابيض بصورة فجائية تأثير عظيم فى تحسين الحالة وزاد الامل فى احراز الظفر القطعي والقضاء على البلشفة .

وقد زحف هؤلاء على يكاترين برج Yekatrinburg من الشرق كما قد زحف عليها جيش غربي سيبريا من الغرب وحاصروها وكان فيها القيصر المخلوع وعائلته . اسارى فى قبضة الحراس البلاشفة . وقد كاد يتم الافراج عنهم بسقوط المدينة اولا ان اجهزت عليهم عصابات البلاشفة السفاكون وقتلوا القيصر مع عائلته بصورة شنيعة (وسيأتي تفصيل ذلك) وبعد ان اكملوا هذه الجناية التاريخية العظمى اخلوا المدينة وهربوا الى الغابات الكثيفة الكائنة فى الشمال بعد ان اسر قسم منهم ، واصبح الجيش الجيك الصقلبي داخلا فى عداد الجيوش البيض بصورة قطعية .

ولايخفى ان هذا الظفر الاخير قد ترتب عليه طرد البلاشفة من شرقي اوروبا

قائد الفرقـة القادري . رئيس الاركان العقيد عاهد مفتي الاسلام ايش محمدوف رئيس
شعبة التقدم كان مرافق الرئيس محمد . الملحق الرئيس سلطانسكي الامام اسعد . ملازم اول



القادري واركان حربه في ما وراء بايقال ١٩١٨

ومن سقي نهر اورال تماماً واطلق على جميع وحدات الجيش الابيض عنوان « الجيش الاهلي الروسي » واعلنت حكومة اهلية في مدينة « اوفا »

وبينما كانت هذه الاعمال تجري هنا واذا بعدة قواد روسيين قد قاموا في وجه البلاشفة في بقاع مختلفة فقد ظهر الجنرال « دوتوف Dutoff » في جبال اورال والجنرال ايفانوف رينوف Ivanoff Rinoff في غربي سيبريا والجنرال « رازانوف Razanoff » في مقاطعة « ينيسه ئى » والجنرال « كازه كراندي Kazegrand » في قرغزستان . وقد ثار هؤلاء القواد واتباعهم واشتدت بهم الحمية عند ما ادركوا ان نجم البلشفة مائل للافول وشاهدوا باعينهم النكبات المتوالية التي اصابت الحمر في مناطق سيبريا المختلفة ومناطق شرقي اوروبا . ودبت فيهم النخوة لامحاء العار الذي لحق بالامة الروسية من جراء هؤلاء الوحوش فقاموا في وجوههم وقتلوا من كان بينهم من البلاشفة واعلنوا خروجهم على حكومة موسكو والف كل منهم حكومة موقتة في ارضه . وكان جيش سمنوف في ذلك الوقت مستولياً على الشرق الاقصى من ساحل البحر الهادي حتى بحيرة بايكال . وقد مد هذا القائد يد المؤازرة الى جميع القواد الذين ثاروا ضد البلاشفة في البقاع المختلفة واضحت سيبريا برمتها وقسم مهم من شرقي اوروبا وجنوبي روسية والقفقاس وتركستان وقيرغزستان ومونغولستان وتاتارستان طاهرة مطهرة من رجس البلشفة . وقد ادرك هؤلاء القواد ضرورة الاتحاد والاتفاق في سبيل غايتهم المشتركة وهدفهم الوحيد وهو ارجاع البلاد الروسية الى مجدها الغابر وعزها السابق والقضاء على هذا العدو المشترك الضعيف بكل مالديهم من قوة وهمة .

موقف مسلمي الروس تجاه البلاشفة

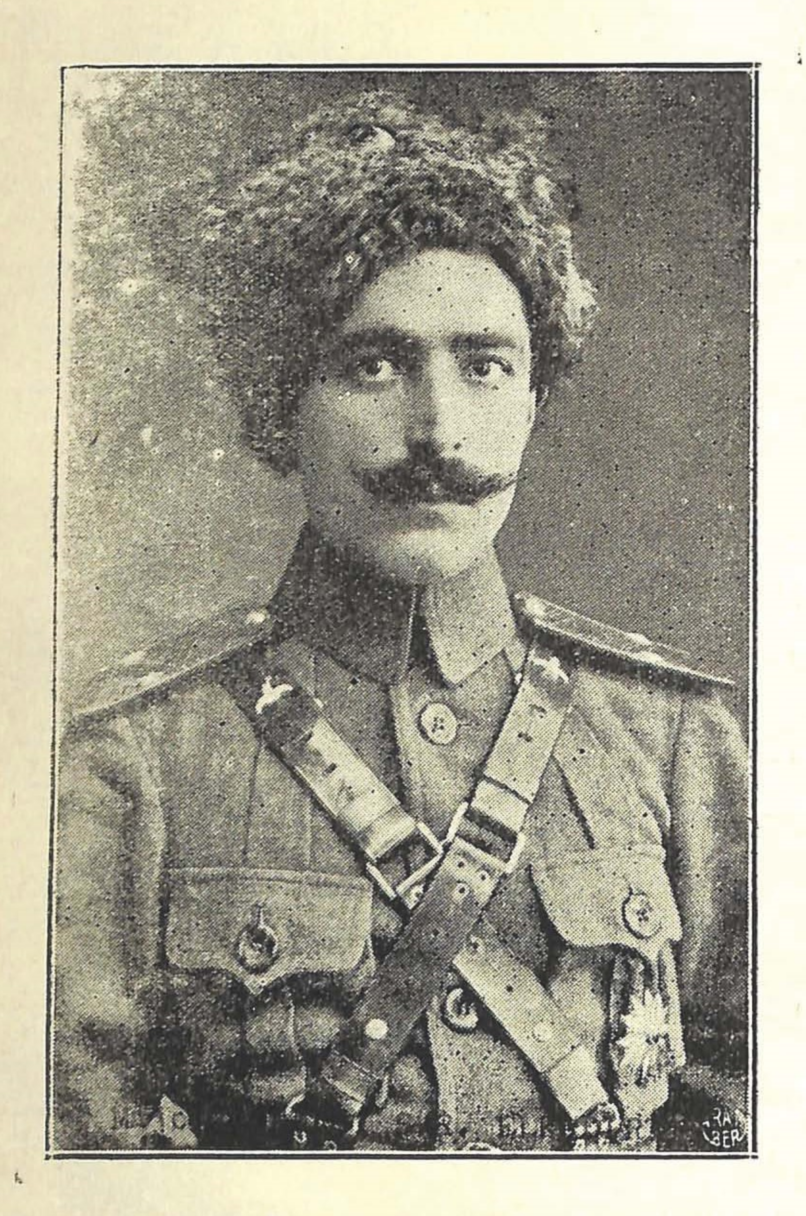
كان المسلمون اكبر عدو للبلشفة منذ ابتداء الثورة البلشفية واول من اظهر الاستياء والاجماع ضد تعرضهم بامور الدين الحنيف وخاصة مايتعلق بامور النساء . واول رصاصة اطلقت على البلاشفة هي من يد المسلمين . وكان من جملة ما قامت به الحكومة الديموقراطية الموقتة انها منحت مسلمي الروس ادارة (لامركزية) وبناء على هذا قد الف المسلمون في مدينة موسكو مجلس شورى اعلا « قوروتاي » مركباً من الف نائب منتخب وسنوا دستوراً يكفل لهم ادارة ممتازة بمقتضى الحقوق الممنوحة لهم . واجبروا الحكومة الموقتة على الاعتراف به . واليك خلاصته :

١ — يكون مسلموا الروس مستقلين في جميع امورهم الداخلية . وتكون مدينة « اوفا » المرجع الاعلى لجميع المسلمين في روسية . وفيها الهيأة الوزارية (كابينه) التي تدبر الامور ، والرئيس الاهلي لهم .

٢ — ينصب هذا الرئيس الاهلي بالتصويت العام لمدة اربع سنين ولايجب ان يقل سنه عن الاربعين ولايزيد عن السبعين . ويرجح كونه من العلماء الدينيين اكثر من السياسيين والضباط وله جميع الحقوق الممنوحة لرؤساء الممالك التي تدار بالشكل المسمى « اوتونومي » وتعين هذه الحقوق بقانون خاص .

٣ — تكون الراية الوطنية لمسلمي الروس حمراء وفيها هلال وكوكب .

٤ — يكون لهذه الحكومة جيش وطني لايتجاوز عدده الثلاثين الفاً في زمن السلم والمئة الف في زمن الحرب . ويعد هذا الجيش من جملة الجيش الروسي في كلا الزمنين .



الجنرال صديق رسول القادري فى مجلس حرب پورت آرتور

٥ — تكون اللغة التترية (التركية القديمة) لغة رسمية لمسلمي روسيا.

٦ — تفتح شعب للادارة الاهلية في جميع المدن التي يربو عدد سكانها على الالف . وتكون الشعب الرئيسية في المدن اورانبورغ ، قازان سامارا ، باكو ، قريم ، تفليس ، ولادي قفقاس ، اودسا ، اومسك ، طومسك كاسك ، چيتا ، ولادي فوستوك ، وغيرها من المدن التي يتجاوز عدد سكانها الخمسين الف نسمة .

٧ — يكون نصب قواد الوحدات العسكرية الكبرى والفيالق ورؤساء شعب الادارة الاهلية واعضاء مجلس الشورى الاعلى (الكابينه) وما شاكلهم ؛ بترشيح المجلس الاعلى (القورولتاي الدائم) وبتصديق حكومة روسية .

٨ — يكون مجلس الشورى الاعلى للادارة الاهلية مستقلا تمام الاستقلال في الامور المتعلقة بالدين والمحاكم الشرعية والاوقاف والمعارف .

٩ — لمسلمي روسيا ملء الحرية في اتخاذ التدابير التي لاتضر بمصالح روسيا السياسية .

١٠ — لمسلمي روسيا ان يجلبوا من تركيا — بعد انتهاء الحرب — مايلزم من الاخصائيين للادارة والجيش والمعارف . وذلك بعد اخذ رأي الحكومة الروسية .

١١ — تكون ميزانية الادارة الاهلية ومصروفاتها داخلة في الخزينة الروسية .

هذه هي العهود التي قطعتها الحكومة الموقتة لمسلمي الروس . وان هذه الحقوق التي منحت لمسلمي الروس قبل كل احد ، قد قربتهم الى

روسية زانفي نظراً الى ما كانوا يقاسونه من الادارة السابقة ولم تشتمل هذه الامتيازات منطقتي خبوه ونجارا بل ظلتا تداران بطريق « الامارة » كما في السابق وبينما كان المسلمون في روسية مشتغلين بهذه الامور اذ فاجأتهم الثورة البلشفية ، التي قلبت الامور رأساً على عقب . فقابل مسلموا روسية الذين دبت فيهم روح الانتباه ، البلشفة بكل خصومة وقبل كل شئ ، وقد كانت الفرق المناوئة للبلشفة متألفة في الاغلب من هؤلاء . ذلك لان القواد البيض لم يزالوا معترفين بالعهود التي قطعتها الحكومة الموقتة للمسلمين ولما طهرت سيبريا من البلاشفة وتألفت حكومة سيبريا القانونية كان باكورة اعمالها ان اعترفت بحقوق المسلمين الروسي وبدأت بتسليح القبائل المسلمة كالمونغول والموريات والقرغيز والباشقير ومطاردة هؤلاء البلاشفة كانت العامل الوحيد لانتصار الجيش الابيض بهذه السرعة . وقد اعاد المسلمون تأسيس الادارة الاهلية في سيبريا ، تلك الادارة التي تعطل سير الثورة البلشفية وتعرقل نهضتها . وانتقل مركز الادارة الاهلية في هذه المرة الى مدينة اورنبورغ . واشترك المسلمون — بناء على ماشاهدوه من المساعدة — مع الجيش الابيض بكل قواهم واعانوهم بقدر استطاعتهم لان مسلمي الروس كانوا يفضلون اللامركزية (توسيع المأذونية) في حكومة منظمة الادارة على الاستقلال في حكومة ادارتها هرج ومرج . والا فان البلاشفة قد منحوا الاستقلال لجميع الشعوب عقيب تسلمهم زمام الادارة في روسيا ولاينكر ان قسما ضئيلا من المسلمين كانوا قد التحقوا بالبلاشفة في ابتداء الحركات ولكن رئيس المفتين في اوفا قد اصدر فتاويه بتكفير كل من يلتحق بالبلاشفة من المسلمين فادى الى ذلك الى رجوع اغلبهم عن البلشفية

ولم يقتصر وجود الوحدات العسكرية المسلمة في جيش المشرق الاقصى بل كانت في جميع الجيوش المقاومة للبلاشفة وحدات مسلمة مستقلة. وقد كان عدد رجال الفرقة الاسلامية التي كنت اقودها في اوائل سنة ١٩٢٠ والتي هي مرتبطة بجيش المشرق الاقصى « وسيأتي تفاصيل حركاته في محله » مايقارب الاثني عشر الف جندي وقد ابلغت هذه القوة بناء على الشجاعة التى ابرزتها؛ الى فيلق مختلط اسلامي — روسي تشجيعاً الوحدات الروسية الاخرى التى انكسرت معنوياتها. وهذه الاعمال اجريت في المحاربات القطعية الاخيرة بمنطقة آمور الاعلا في سنة [١٩٢٠] وقد قدت بنفسي هذا الفيلق البالغ خمسة وعشرين الفاً « ١٨ الفاً من البنادق و ٣ آلاف سيف و ٥٠ رشاشة و ٣٢ مدفعاً » مدة ثلاثة اشهر قضيتها في محاربات الساقة « دمدار » وبهذه الصورة امنت طرق الرجعة للجيش الروسي المنكسر في المشرق الاقصى والبالغ عدده اربعمائة الف مقاتل وجعلته ينسحب بسلامة. وقد كوفئت تلقاء هذه الخدمات الجلي بوسام صليب « غه اوزغ » الابيض المقدس؛ والذي لاينال في روسية الا النادر. وسآتي بتفصيل هذه بقدر الامكان في بحث خاص. ولكن اود هنا ان آتي بنبذة من حركاتي الشخصية والتى شاهدتها بنفسي لابرهن على المقاومة الجدية والتعصب التام الذي اظهره مسلموا الروس ضد البلاشفة. ولا اغالي اذا ما قلت ان انتصارات القواد البيض فى سيبريا قد تأسست على جماجم ابطال مسلمي الروس ولكن — وياللأسف — ان مكائد القواد الروسيين وشقاقهم قد اوديا بكل قوة الى الاضمحلال.

كانت روسية ساقطة مطلقاً. نظراً للمثل الفارسي المشهور:

« فواره بلند شود ، سرنكون شود » او كما يقول المثل العربي « اذا تجاوز الشيء حده ، انعكس الى ضده » .

كان باعتقادي ان روسيا لا بد لها من السقوط ، لان الحكومة كانت قد بلغت الحد الاقصى في جميع الشؤون . نعم لا بد لكل عظمة ودبدبة تبلغ في السمو الى ما فوق الطبيعة ، ان تسقط . وهكذا سقطت روسيا وما البلاشفة الا سبب بسيط لذلك السقوط. وكما رأيته بعيني وقرأته وسمعته وحتى كما عرضته في الفصول المتقدمة . ولنأخذ مثلا امر خلع القيصر فانه حدث بمجرد دور تمثيلي قام به كرنسكى . وقد خلت روسيا من رجل حي الفؤاد ، ومن قائد متين ومن الايدى الحديدية ومن القلوب الفولاذية . ولم يبق فيها امثال بطرس المجنون (الاكبر) . ويعلم الله لو كان هناك قائداً حازماً لاطفأ نيران الثورة الاولى بفوج من الجند النشطاء .

ولست اقصد هنا اظهار اعمالي للعالم ولكن سآتي بنبذة يسيرة لاثبات حقيقة وذلك بايراد قضية من القضايا التي شاهدتها وهذه القضية لها علاقة بالقوى المسلمة المسلحة : كنت عضواً فى المجلس الحربي المنعقد في مدينة (بورارتور) سنة ١٩٢١ برياسة القائد العام المارشال (سمه نوف) وكان المجلس المذكور يضم نحواً من عشرين اميراً (جنرال) من قواد الوحدات المختلفة . وبعد الاخذ والرد الطويلين جاءت نوبة الكلام الي فقمت بصفتي قائداً للفيلق الروسي — الاسلامي المختلط وقلت :

« ان قوة استعداد جيش المشرق الاقصى الحربية قد انكسرت تماماً ولو تتبعنا الحقيقية لوجدنا افراد الروس بل ضباطهم وقوادهم قد ملوا الحرب والضرب ، كل يوم يأتي الى مقر القيادة العامة من رياسة اركان الحرب قائمة باسماء اربع مئة الف جندي

« اخواني معشر القود ! يمكنني باربع مئة الف جندي ان اذهب الى موسكو . وانني قد رأيت فى جميع صفحات الحرب ان ثلاثة فيالق (على اعظم تقدير) قد اشتركت فى المعامع بصورة متمادية واما بقية الجيش البالغ ثلاثة ارباع القوة الكلية فقد اشغل فى المؤخرة بما يسمى (الامن الداخلي)

« ولا ادرى لماذا نحرم الجبهات الحربية من قوة اهلية مهمة كهذه وخاصة بعد وجود فرق يابانية قد جلبت للقيام بتوطيد الامن الداخلي فى هذه البلاد واني انظر الى القطعات التي اشغلت بالامن الداخلي ، والوحدات التي تمارس هذه الوظيفة الوهمية ، نظري الى القطعات الفارة من ميادين الحرب .

« ايها القواد ! اذا اردتم خلاص روسيا فها امامكم ميادين الحرب فاذهبوا اليها . الداخل مأمون . ولا علاقة لنا برؤية (الامن الداخلي) والا فان اشتغال احد فيالقكم باحياء العاهلية المغولية ، والآخر يفر من هذه الحرب الوطنية لحقده على القائد العام ، وآخر يتمارض معظم افراده ويبقى في الاحتياط فهذه ليست خدمات لهذه الامة كانكم تقولون لاعدائكم صريحاً : (تفضلوا وتقدموا !) .

« اني اؤكد لكم بان قوة البلاشفة لا تتجاوز المئتي الف جندي وليس لديهم مثل ما لدينا من المعدات فليس لهم خمس مئة مدفع واربعة آلاف رشاشة وعشرون قطاراً مدرعاً . فاذا استعملت هذه القوة والمعدات فى الجبهات بدلا من حفظها في المستودعات فان النصر حليفنا بلا شك . ولا

فلا ينبغى ان يتصور ان نكسر العدو بالمقررات التي توضع على الورق او بالتواقيع المذهبة !..

« اعترف ولا انكر ان لدينا في مقرات الفيالق الوفامن الضباط الحسنى البزة ؛ وصدورهم ملئى بالاوسمة يميناً وشمالا ولو كانت لي بهم قوة قاهرة لارسلت قبل كل احد ؛ كتائب ضباط الرقص (*) الموجودين في المقرات الى ساحة الحرب ولا يجب ان ننسى ان البلاء الذي حاق بجيش القائد كولشاك كان ناتجاً من خفايا المقرات . والعجيب ان القواد الذين يسأمون العناء يراجعون المقر الاعلى وتجدهم صاروا اركان الاوامر الخاصة » حالا وهذه الوظائف مما لم ارها ولم اسمع بها في جميع جيوش العالم . وقد بلغ عدد القواد الكبار الذين استفدوا من علو جناب القائد العام ما يتجاوز المئة

« ايها الاخوان ! لاتصان الاوطان بهذه الصورة . فقد رأيت العاهلية العثمانية القديمة [عند سفرى الى الشرق الادنى] بهيأة المفلوج . الا ان القائد مصطفى كمال قد التجأ في سنة ١٩٢٠ الى جبال انقرة مع رهط من الضباط واجرى هناك التأسيسات الوطنية وله الآن جيش لا يقل عن المئتين وخمسين الف محارب وكلهم في ساحات الحرب وليس هناك حيل وبقاء في المؤخرة باسم (الامن الداخلي) . وقد عقد هؤلاء لانفسهم ميثاقاً وطنياً وكل من يتقاعس عن الدفاع عن وطنه بروحه وماله يعدم رمياً بالرصاص . وكل فرد منهم يحمل السلاح ؛ من الجندي الى القائد

(*) ضباط الرقص او الضباط الراقصون هم ضباط القاعات الذين يرجحون دائماً الرقص فى حفلات الطرب مع الغوانى على الذهاب الى ساحات الحرب

العظيم . فهؤلاء هم الذين سينقذون وطنهم حقيقة . وانتم اذا جريتم في جهادكم على هذه الطريقة فان الظفر حليفكم وبعكس ذلك فالنجاح محال ايها الاخوان .

« لايمكن لاحد منا ان ينكر ماللقطعات المسلمة من الايادي البيض على حياة جيشنا سواء في زمن غيبوبتي ام فى التقهقر الحالي الرهيب . وايس المسلمون بسائمين من الحرب ولن يسأموا ولاشك بان الشخص الذى لاهم له الا التفكر بحياته المستقبلة وهو فى المتاريس امام العدو ، بل ان القائد الذي يتخيل في عقله الملجأ الذي سيأوي اليه والاشغال التي يتعاطاها ليقضي بقية عمره لايكون نصيبه الا الفشل والهزيمة . وهل يبقى اثر للقوة المعنوية فى جند القائد الذى اكمل عملية التأشير على جوازه (بسابورط) وفلت عزيمته . فمثل هذه القوى المتضائلة لاتقف تجاه صدمة قوية .

« هذا واني اقترح على فخامة القائد العام ان يسرح جميع هؤلاء الافراد الروس وضباطهم ، الذين فقدوا صلابة الايمان وأن يملئ الفراغ الحاصل من جراء ذلك بافراد مسلمين وان فيلقاً مؤلفاً من خمسين الف جندي قوى الادارة ، صلب الايمان هو اولى من الجيش المتفسخ البالغ اربع مئة الف واني معتقد بان موسيو (محمد عبد الحي عبيد الله قربان علي حضرة) رئيس الشورى الاعلى للمسلمين سوف لايقصر عن مديد المساعدة المتعلقة بهذه الامور باى وجه كان . ويمكن جمع المقدار المذكور بظرف شهر اذا نودي بالنفير العام . واني ضامن لذلك . كما نى معتقد بان هذا الجيش

المؤلف من خمسين الف مقاتل يرى من الامور النافعة مالم يره جيشنا المؤلف من اربع مئة الف جندي .

« ايها القواد! لا انكر ان هذا الاقتراح وهذه المطاليب ستكون ثقيلة على مسامعكم ولكن انظروا الى هؤلاء الجنود اليابانية التي اتت لحفظ الامن بزعمهم تجدوهم يحرقون كل يوم عشرات من القرى البائسة مع اهاليها المعصومين بدون جريمة . وعلى كل حال فان الجيش الذي يتألف من المسلمين هو اشفق بكثير على هذه الاوطان من هؤلاء اليابانيين ، ان لم اقل انهم انفع للبلاد من الروس الخاص . ومهما يكن الامر فان مسلمي الروس هم تبعة حكومة روسيا وبهؤلاء يمكننا ان نحرز الظفر في هذه الحروب بصورة مادية . ولا يجب ان ننسى ان عملنا هذا يؤثر التاثير الحسن في قلوب ثلاثين مليوناً من المسلمين الذين هم وراء هذه الساحة ويجلب الينا محبتهم الخالصة وهذه اكبر وسيلة توصلنا الى غايتنا المطلوبة . وربما كان هذا هو التدبير المصيب لخلاص الامة الروسية . . . . »

وما كادت كلماتي تنتهي حتى احتدم الجدال المدهش في المجلس وقد هتف لي معظم القواد وفي مقدمتهم فخامة القائد العام . الا ان الذي اقلق بالهم هو امر تسريح الجنود فقام احد القواد وهو جنرال « باكشه‌يف Bakshefeff »
وقال مخاطباً اياي :

« مع احترامي للاوسمة والاشارات الروسية التي انتم حاملوها اقول لكم بان جميع عباراتكم لم تكن سوى حقائق عارية . وارجوا ان تسمحوا لي



القيصر نقولا الثاني . القيصرة الكساندرا فيودوروفنا ولي العهد الكسي .
الاميرات تاتيانا ، انستاسيا ، اولغا ، ماريا .

قيصر روسيا وافراد اسرته الطيبي الذكر .

ايها القائد لاقول: لعلكم تريدون ان تعيدوا على الامة الروسية اسارة التتر (**) القديمة

فلتعلم جيداً يا حضرة الجنرال اننا معاشر الروس نفضل في كل الاحوال اسارة البلاشفة على اسارة التتر الوحوش الهمج ... »

اما انا فقد انتصبت قائماً بعد ختام هذه الخطبة وقلت: «اما وقد اضحت غايتكم هذه فارجوا اذا كانت هذه فكرة الجميع . ان يسمح لي فخامة القائد العام بتسريح القطعات التي اقودها ايها الجنرال ! »

وبناء على هذه الخطب اشتبك النزاع في المجلس . وقد اضطر القائد العام الى تأخير الجلسة الى اليوم التالي نظراً لما آلت اليه النتائج من الاحوال السيئة . ثم دعاني وخصمي ليلا الى تناول العشاء على مائدته اورجا الينا سد باب الجدال والنزاع لئلا يحدث من ذلك ما يؤول الى الاضرار بالغاية العامة.

ولامراء في ان القوة التي دفعتني الى قول ما قلت في المجلس هي قوة حراب المسلمين الذين كانوا بقيادتي . فهذه الادوار التي مثلها مسلمو الروس في حروب البلاشفة .

انتهى الفصل الخامس ويليه الفصل السادس

(**) يتذكر من له المام بالتاريخ اسارة التتر فقد كان الحكم في البلاد الروسية قبل عائلة رومانوف بيد الحكومات التترية التي كانت آنئذ قوية الشكيمة . وكان الروس جميعاً تحت سيطرة التتر وكانوا يباعون في الاسواق بيد النخاسين كعبيد . فهذه العبارة كناية عن هذه الادوار التي تؤلف فصلا مظلماً في تاريخ روسيا .

وما جنكيز خان وهلاكو ودمير لنك وقره خان واوغوزخان الا ملوك التتر ولهذا فان (اسارة التتر) امر مشهور في روسيا

الفصل السادس

الجناية العظمى — اتلاف البلاشفة بصورة شنيعة لكل من جلالة امبراطور روسيا وجار الصقالبة جمعاء « نيقولا » الثاني سليل آل « رومانوف » وجلالة الامبراطورة [الجاريجة] « علكساندر افة اوذوروفنا » وولي العهد الامير علكسي نيقولايه ويج، والاميرات « آناستاسييا تاتيانا » « واولغا » و « ماريا » — الادوار الحياتية التي مرت على هذه العائلة المحترمة التي يقدسها ويجلها العنصر الصقلبي البالغ ما ئتي مليون نسمة ، وبيان النكبات التي اصابتها منذ ابتداء الثورة حتى الجناية العظمى .

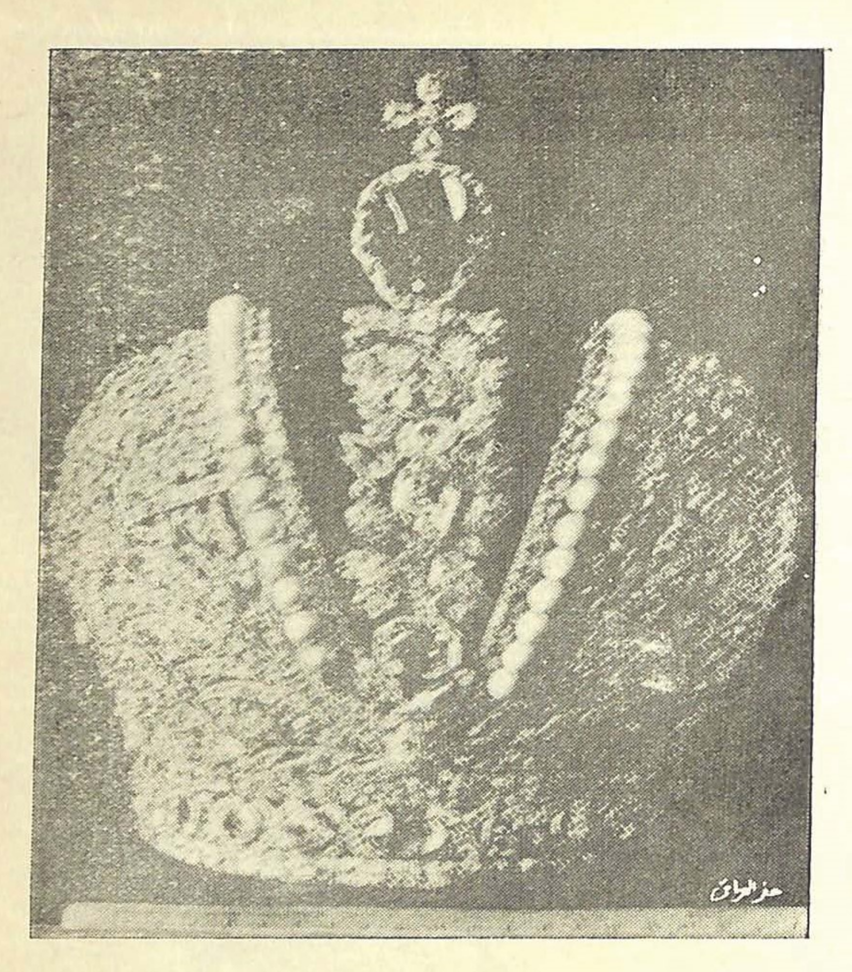
* * *

كنا قد ذكرنا في الفصل الثاني عما جرى للقيصر مع كرنسكي وكيف اعطى الاول للثاني تعهداً في القصر الشتوي، يقضي عليه بالتنازل عن عرش روسيا هو ونجله الامير « علكسي Aleksey » وظل بعد ذلك كل من القيصر المخلوع وافراد عائلته مسجونين في برج بطرس ردهة من الزمن . وكان سجنهم في بادئ الامر انهم منعوا من الخروج الى خارج القصر . وانتزعت منهم الخدم والحاشية بصورة تدريجية ومنع اختلاطهم مع الناس وامتد هذا الامر حتى اصبح بعد الثورة الديمقراطية بشهر او بشهرين عبارة عن سجن قلعوي (قلعه بند) تماماً وقد فصلوا القيصر عن عائلته حيناً وسجنوه وحده في محل آخر واذاقوه انواع العذاب والجفاء وظلت القيصرة مع اولادها ثم فرقوا بعد ذلك بين القيصرة واولادها ايضاً وذلك لان البلاشفة آنئذ كانوا يسعون جهاراً في ترتيب الشعب ؛ باسم

الثوار الاشتراكيين ولم يبق للمشاغبين حائل يحول دون مقاصدهم وبهذه الكيفية تمكنوا من استمالة الحكومة والجيش والمجلس الى جانبهم. وكانوا يخشون جداً رجوع القيصر وعائلته الى منصة الحكم فلذلك كان همهم الوحيد ملاحظة القيصر وآله وكانوا يصدرون من حين لآخر انواع القوانين والانظمة المتعلقة بالقيصر ومراقبته في السجن وهذه كلها مؤدية طبعاً الى تشديد الخناق على آل رومانوف واضطهادهم في السجن حتى بلغ الضيق الى حد انهم يدفعون اليهم الاقوات كالحليب والبيض واللحم والشكر بالحساب الدقيق والوزن بالمثاقيل. ثم غيروا محل سجنهم بعد ذلك واخرجوهم من قصورهم التي كانوا فيها وادخلوهم في القلاع والثكنات لانه كان يجب شن الغارة على القصور التي يسكنونها ونهب ما فيها من التحف فاخرج القيصر وعائلته من القصر الشتوى الفخم وابعدوا الى القلاع الكائنة في قمم الجبال الموحشة وسجنوا هناك سوية في محل واحد وذلك بناء على رجاء القيصر والحاحه لان القيصر والقيصرة كانا يحبان فلذة كبدهما الامير « علكسي » بدرجة الجنون والعبادة. ويجب ان يكون القيصر قد احس لاول وهلة ما يكيده له الدساسون وما يضمروه من المظالم فلذا خاطب كرنسكى عند خلعه قائلا: « ارجو ان لا يفرق بيني وبين عائلتي بل اجمعونا في محل واحد، وادعو الله ان يرشد روسيا الى طريق الصواب » وهكذا جمع الجناة اخيراً بين القيصر وآله بعد الرجاء الشديد والالتماس والالحاح وبعد ذلك اخذت امور حياتهم تزداد صعوبة حيث ان هذه العائلة العزيزة صارت تتناول ارزاقاً ومخصصات كارزاق الجنود الاعتياديين فيعطى لهم الاكل من المطابخ العسكرية ولكل فرد منهم رزق جندي واحد لا يزيد ولا

ينقص . ولم تدم هذه الحالة بصورة مطردة بل نقصت كثيراً حتى اضطر القيصر والقيصرة وولدهما الظريف وبنتاهما اللطيفتان الى شرب الشاى الخالي من السكر والحليب ، واكل خبز الدخن الاسود المنتن الخاص للجنود . ولم يكن في وسعهم تدارك المواد الغدائية من الخارج حيث لا دراهم عندهم ، وقد ذهبت جميع مجوهراتهم سلباً ونهباً بتوالي الايام ولم يبق لديهم شيء ثمين ، وفوق كل هذا فان الرقابة عليهم شديدة فلا يمكن والحالة هذه ايصال الهدايا اليهم من احبائهم ومواليهم بصورة من الصور وكان القيصر راضياً بهذه الحالة الا ان هذه ايضاً قد تغيرت .

ومعلوم ان القيصر في روسيا له سلطة دينية عظمى فانه للارثذوكس بمثابة قداسة البابا للكاثوليك ، فضلاً عن سلطته الجسمانية المدهشة ولذلك كان القرويون المتدينون يحبون القيصر بدرجة العبادة وكذلك عائلته برمتها فكانوا يتجمهرون كل يوم حول محبس القيصر ويذرفون الدموع ويصرخون باعلى صوتهم قائلين : « ربنا انعم علينا بوالدنا القيصر ! » ولم تكن الحكومة الديموقراطية لتجرأ على منع هذه الحالة على خطورتها لانها لم تر من الاصلاح ان تضيق على رأى السواد الاعظم الذي كان يهمها جداً رضاؤه وربما ابدت بعض التساهل بايصال الهدايا التي يقدمها القرويون الى القيصر وعائلته وقد اتسع نطاق هذه الحوادث حتى صارت الجماهير تأتى صباح كل يوم وتتجمهر حول المحبس وترك الناس الذهاب الى الكنائس وقد يبلغ عدد المتجمهرين الالوف بل عشرات الالوف وكلهم يصيحون بلسان واحد : « ربنا انعم علينا بوالدنا القيصر ، اننا نريد ابانا القيصر ! » ويرتفع الصراخ والضجيج والبكاء وقد اخذت هذه المظاهرات



﴿ التاج التاريخي الثمين الوحيد في العالم هو التاج القيصري الروسي لآل رومانوف ﴾
قيمة المادية ١٢٠٠٠٠٠٠ ليرة روسية عاقبة التاج ، في سنة ١٩١٨ استولى عليه البولشفيك مع سائر الجوهرات التاريخية في القصر الشتوى في بترسبورغ . وزعماء البولشفيك قسموه في ما بينهم . اخيراً باعوا قسم الاعظم منه في اسواق اوروبا .

اما الدرة الثمينة ذات ٩٥ قيراط المشهورة في العالم فهو عند «تروتسكي» ويوجد في التاج الماسات من سبعة الوان ولآلئ كثيرة .

البولشهويك ايضاً صادروا ونهبوا ١٢٠ صندوق حديد من الجوهرات في القصر الشتوى اثناء الثورة الثانية. وغدا هذا التاج التاريخي الثمين قد صادروا ومزقوا ٢٧ تاجاً منها للرجال ومنها للنساء

تؤثر حتى بين نفوس الحراس الجنود فصاروا يشتركون مع الاهلين في العزاء وهذا بلاشك يدعو الحكومة الديمقراطية الى الخوف والتشوش فاجتمعت العصابات الثورية وفكروا في ايجاد حل لهذه المشكلة . واخيراً قرروا تحريك بعض قطعات الجند للمطالبة بابعاد القيصر الى جهة مجهولة وامطروا الحكومة الديمقراطية وابلا من الاحتجاج والتهديد . وبناء على هذا ارسل القيصر وعائلته الى مقاطعة « طوبولسق » في سيبريا وسجنوا في قلعة تترية قديمة ، مبنية في جبال بعيدة عن العمران وضاقت عليهم هناك سبل المعيشة تماماً . ولم يهتد القرويون في بادئ الامر الى هذا المحل الا انهم اهتدوا اليه اخيراً فاخذوا يشدون الرحال اليه كأنهم يؤمون بيت المقدس للزيارة . فتراهم يسيرون الايام والليالي على خيولهم اوعرباتهم ويأتون هذه القلعة ويلتفون حولها واضحت تلك البقعة القفرة التي لااظن انها رأت وجه البشر منذ مئات من السنين ؛ آهلة بالزائرين من كل فج عميق ولم يكن القيصر راضياً عن هذه الاحوال لانه يعلم انها ستجر عليه الويلات اخيراً فلذلك طلب مراراً ان يسمح له بالذهاب الى احدى البلاد الاجنبية هو وعائلته وقد قابله السياسي المعروف « سازانوف Sazanoff » (وكان وزيراً للخارجية في الحكومة الديمقراطية) في محبسه عدة دفعات وتذاكر معه بشأن ذهابه الى لندن مع عائلته وجرت مذاكرات في مجلس وزراء الحكومة الديمقراطية في هذا الصدد . وكان الوزراء راضين باجمعهم لان الوزارة كانت متألفة من رجال القيصر السابقين ؛ الا ان القوة والارادة كانتا في قبضة عصابات القوى التنفيذية التي كان يرأسها كرنسكي ولهذه العلة فان رضاء الوزارة وموافقتها لم يكونا

كافيين لانجاز هذا المشروع . ولا عجب اذا ما تعنتت عصابات القوى الاجرائية لان الاكثرية فيها لليهود المتقمصين بقميص الروس ولا يروق لهم خروج القيصر من روسيا ولو خطوة واحدة ، وهم يضمرون له شراً حيث ان معظمهم كانوا من الجناة المبعدين الى سيبريا وغيرها وقد قدموا من المنفى بعد سقوط القيصر واستلموا زمام الادارة . وكان املهم الوحيد القضاء على آل رومانوف بطريقة الاغتيال فهل يسمحون بذهابهم الى انكلترا او غيرها من بلاد اوروبا ؟ هيهات ! . . . والحاصل ان هؤلاء احتجوا بشدة على قرار مجلس الوزراء هذا . واثاروا حالا عاصفة شعواء واشاعوا للعمال والجنود والرعاع بان القيصر سيبارح البلاد الى انكلترا وسيعمل هناك على ارجاع الاستبداد الى روسية وسيقضي على الثورة الديموقراطية الى غير ذلك وجعلوا انحاء روسيا في هرج ومرج بدون ان يبدوا اي شيء من هذا القبيل. واوعزوا الى جميع الفروع بان يقوم الناس بمظاهرات واحتجاجات واجتماعات ضد فكر الوزارة بخصوص السماح باخراج القيصر وعائلته . كل هذه الامور تجري والقيصر وعائلته البؤساء فى القلاع القديمة ، بين الجدران والصخور يلفظون انفاسهم الاخيرة . وكانت حالتهم الاخيرة بصورة يرثى لها فالامير علكسي في مرض دائم والقيصرة وبناتها مدنفات تمر عليهم الساعات وهم على غاية ما يكون من السفالة والتعاسة ولو وقع بصركم على هذه الفتيات الحوريات ، اللائي تربين في الدبدبة والاحتشام لما وجدتم فرقاً بينهن وبين احقر المتسولين في الازقة وارثهم ، لرأيتموهن ممزقات ، مرضى ، مصفرات الوجوه ، نحاف الابدان ، تعبسات جائعات ، يفتتن الاكباد . كما ان لحية القيصر البيضاء قد نزلت الى صدره

وتراخى شعر رأسه على كتفيه ، واضحى كالشيخ الهرم . وان القيصرة التي كانت بمثابة اله الجمال وربة الدلال في وقتها امست ذايلة منكسرة الفؤاد ، وقد ابيض شعرها ، وخارت قواها . وصفوة القول ان جميع اتعاب سازانوف فيما يتعلق بذهاب القيصر الى انكلترا وسعيه العلني قد ذهب ادراج الرياح . ولكنه لم تفل له عزيمة فاخذ بعد ذلك في مواصلة الجهاد بصورة سرية. وقابل عدة دفعات ، اللورد « بيوكه‌نن السفير Biyoukenen » المفوض السامي لحكومة انكلترا في بطرس برج وقد اظهر فخامة اللورد عطفاً شديداً على هذه الفكرة ومما قال له « ان الدولة البريطانية ترحب بمجيء جلالة القيصر وعائلته المحترمة وهذه غايتنا المثلى . واننا نعد انفسنا سعداء اذا تمكنا من انقاذ حياة القيصر وآله »

وبعد ان اطمأن سازانوف بهذه الوعود اخذ يفكر في حيلة لتهريب القيصر وعائلته وبدأ في تمهيد السبل لذلك وكان زملاؤه الوزراء متحدين معه في الرأي ولم يتجنبوا ما يجب اجراؤه من التضحيات في هذا الباب الا انه — وياللاسف — لم يتمكنوا من كتم هذه التدابير بل تمكن شياطين الانس من عصابات القوى التنفيذية من الاطلاع على خفايا الامور بسهولة وبادروا حالا الى اخذ امر حفظ القيصر وعائلته على عهدتهم وكان اول عمل لهم انهم غيروا محبسهم . ونقلوهم في هذه المرة الى قلعة تترية قديمة كائنة في قمة جبل يبعد نحو اربع ساعات عن ولاية « اورنبورغ Urenbourg » وضيقوا عليهم سبل الحياة من جميع الوجوه وابدلوا الحراس واقاموا فوجاً الفوه بصورة فوق العادة من اليهود الروس ومن الاسرى الالمان والمجر المتطوعين وزودوهم بالاسلحة المختلفة كبنادق ورشاشات ومدافع

وعهدوا اليهم امر حراسة القيصر وعائلته . ثم اعلنت عصابات القوى التنفيذية بصورة متحدة البيانات الآتية :

١ - كل فرد يذهب الى زيارة القيصر وآله فجزاؤه الاعدام بدون استثناء .

٢ - واذا تمكن آل رومانوف من الخروج من ارض روسية بصورة من الصور فاننا نخرب جميع السكك الحديدية وننسف جميع الجسور ونهدم جميع الارصفة والمواني ونغرق جميع المراكب والسفن ونعلن اضراباً عاماً في جميع الاعمال .

٣ - نبادر باعلان الحرب حالا على اي امة او مملكة يذهب اليها القيصر واله بدون قيد او شرط .

وقد استولى الرعب على سازانوف ورفقائه عقيب نشر هذه البيانات المدهشة . ونظراً لهذه الحركات ولحركات اخرى تماثلها فقد اظهرت القوى التنفيذية عدم الثقة بالوزارة . وكانت البلشفة قد انتشرت آنئذ في طول البلاد وعرضها . وبدأت الثورة البلشفية العظمى كما مر في محله فسقطت الحكومة الديموقراطية الموقتة وقبض البلاشفة على اعنة الحكم فالفوا الوزارة من العوام ومن عصابات القوى التنفيذية . فامسى امر القيصر بعد هذا تحت رحمة الله . فغير محبسه دفعة اخرى ونقل الى قلعة « يه كاترين برج » (برج كاترين) وكانت اول حملة للبلاشفة هي ضد آل رومانوف . فغيروا محبسه دفعة اخرى ونقلوه الى قلعة قديمة على راس جبل يعلو نحو الف متر عن البحر وهذه القلعة القديمة هي من آثار احد ملوك التتر القدماء وقد اهملت عدة قرون فاصبحت موحشة يأوي اليها الدببة

والذئاب وغيرها من السباع فكانت عيشة القيصر وآله في عهد الحكومة الموقتة طيبة بالقياس مع حالتهم الاخيرة . حيث ان القوت الضروري اصبح ضئيلا سيئاً ، اصبح قوت آل رومانوف (وعددهم سبعة اشخاص) عبارة عن ربع رغيف من الخبز الاسود ودلو من الماء ويعطونهم كل مساء دلوا من شوربة معمولة من ورقتين او ثلاثة من اللهانة اليابسة المتعفنة ومن ماء سخن. واما الخبز فطريه ما كان قد عمل منذ شهرين او ثلاثة . وربما اعطوهم جرعة من اقراص الشاي وهى اقراص تعمل من فضلات الشاى بهيأة قطع الآجر ويعطونهم ايضاً كل صباح دلواً من الماء الحار .

فهذا هو القوت اليومي لآل رومانوف!.. . وهي نفس الواقع . وهناك حوادث اخرى وشناعات ورذائل يخجل قلمي عن تسطيرها . . . فقد بلغ الجفاء بالحراس الى درجة انهم يبولون بعضاً ـ اذا شاءت اهواؤهم ـ فى سائل الشوربة او الشاى . وفضلا عن ذلك فقد كانوا يسوقون القيصر وعائلته الى الاشغال الشاقة ويستخدمونهم من الصباح الى المساء فى كسر الاحجار وتمهيد الطرق والجادات فكنت تجد الفتيات الناعمات ، اللاتي صرف على تربية كل شعرة ذهبية منهن ملايين من الذهب ، وكنت تشاهد الامير اللطيف ، بل كل فرد من تلك العائلة الزكية وهم يزاولون الاعمال الشاقة فهذا فأسه فى يده وتلك مسحاتها على عاتقها واخرى تحمل التراب واخرى تكسر الاحجار . واذا كلت احداهن او تعبت او تكاسلت فان مؤخرات البنادق تتلاعب على رأسها وظهرها بكل قسوة وخشونة . تنهال الشتائم والالفاظ البذيئة عليها ! . . .

وقد يقال اذا كان القرويون ، بل والامة الروسية جمعاء تقدس آل

رومانوف ، وهؤلاء الحراس من القرويين ومن الامة الروسية فلم يعاملونهم بهذه المعاملة السيئة وبماذا يمكن تبرير ذلك ؟..

والجواب ان البلاشفة عند اول استلامهم الحكم افرجوا عن جميع المجرمين والمنفيين والجناة ومن على هذه الشاكلة واصعدوهم الى المناصب المختلفة وجندوا بالدراهم قسماً عظيماً من الاسرى الالمان والمجر والنمسا وخاصة لما كانت الامور الداخلية فى عهد البلاشفة تدار من قبل هذه الزمر فلا يمكن ان يتصور وجود فرد منهم يعطف على القيصر وآله واذا كان الحراس من هؤلاء فلماذا يترددون عن ارتكاب اى فظيعة . وعلاوة على ذلك فان الحرب العظمى قد اذهبت جميع الناس الذين يتعلقون بهذه العائلة واصبح الجيش الروسي الجديد من هؤلاء المنفيين والجناة .

وصفوة القول ان نجم آل رومانوف قد افل تماماً ولم يكن القيصر وآله مفتونين بهذه العيشة السفيلة بل كانوا يتمنون الموت وكم قد تشبثوا بالانتحار بالحبال او بالحجارة او بأى واسطة اخرى. ولكن الحراس كانوا يراقبونهم شديداً ولم يغفلوا عنهم لحظة واحدة

وكم من شناعة ووحشة وقعت في رؤوس هذه العائلة المقدسة وهذه القدود الرشيقة ويعلم الله ان القلم ليحجم عن كتابتها ويخجل !... ولا بد من ان التاريخ سيلعن روسيا ابداً لهذه الوقائع المخزية . وقد يقال ان الروس لم يفعلوا ذلك!.. ولكن لماذا سمحت نفوسهم به ؟ لماذا يرقد ١٨٠ مليوناً من الروس في مهد الغفلة والذلة ويسلمون امورهم ومقدراتهم بيد عشرات من اليهود ؟ يبلغ عدد الروس الصقالبة من هذا المجموع نحو ١٣٠ مليوناً . وكلهم كانوا يسجدون قبل مدة وجيزة للقيصر ويعبدونه

من دون الله ويقدسون هذه العائلة تقديساً لا يقل عن تقديسهم للسيد المسيح . فهل كانوا عاجزين حتى عن حفظ حياتها ؟ وهذه الشائبة لم تدنس (عادة) تاريخ اي امة غير الامة الروسية . ولا يتمكن الروس من امحائها ابد الآبدين فأسف ثم الف اسف ! . . .

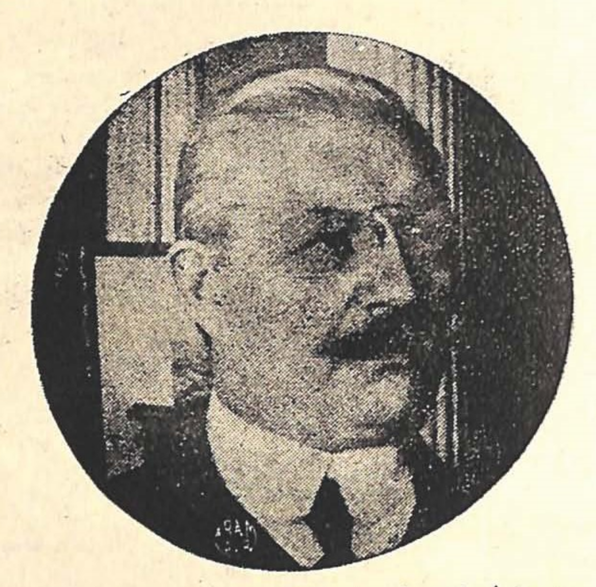
هؤلاء الصينيون الذين يعدهم العالم المتمدين من احط الامم ! فانهم لما خلعوا عاهلهم « يفان شيكاي Ivan Shikay » لم يتعرضوا الحقوقه الملكية بقدر الذرة ، فضلا عن ان يتعرضوا الحياته فانهم نصبوه (رئيس جمهور) طول حياته وقد رأيت بعين رأسي ولي عهد الصين السابق في مدينة (بكين Pekin) وشاهدت غيره من افراد العائلة المالكة وهم يتمتعون بعين الحقوق التى كانت لهم سابقاً بدون اي فرق او نقص ورأيت حتى كتائب الحرس الملكية القديمة باقية كما كانت في قصر الملك وكانت المراسم المطنطنة تجرى فى الاعياد بصورة لا تقل عن حالتها السابقة . وقد اكتفت الامة الصينية برفع الحقوق السياسية فقط من الملك وآله .

وهذه الامة التركية التى يعدها الاوروبيون — بل والروس انفسهم — من احقر الامم الشرقية واوحشها فانها لما خلعت سلطانها المستبد « عبد الحميد » تركته يعيش فى دعة وامان حتى آخر نفس من حياته وقضي بقية عمره فى عز وشرف وحافظوه من كل طارئ . فهل يمكن بعد هذا ان نقيس الامة الروسية الاوروبية المتمدينة بهذه الامم الشرقية المنحطة وما اظهرته من الشهامة وعلو النفس ومكارم الاخلاق تجاه سلاطينها وملوكها ؟ . . . حتى لقد كان القيصر وآله يتمنون الموت فى كل آن ولكنهم لم يتمكنوا من شرب كأسه لسوء حظهم ! . . .

بدأت الحركات ضد البلاشفة تظهر في سيبريا وفى سائر انحاء روسية وانضم الى هذه الحركات الجيش الجيك الصقلبي الذى اراد الرجوع الى وطنه بطريق سيبريا والبحر، وصوب اسلحته ضد البلاشفة كما ورد ذلك في محله فاصبح محبس القيصر وآله فى خطر مهلك . وحوصرت مدينة « برج كاترينه » وضيق المسالك عليها جيش سيبريا من الشرق والجيش الجيك الصقلبي من الغرب واصبح الجيش المحب للقيصر على مقربة من آل رومانوف، على مسافة لاتزيد عن ١٥ — ٢٠ ميلا، محاصراً للمحبس من جميع جهاته وكانت البرقيات تتوارد تترى من العاصمة الى حكومة الجند والرعاع في (برج كاترينا) بالسهر على القيصر وآله والايدعو مجالا لخلاصه . وتكاثرت التوصيات والاخطارات ثم انقطعت طرق الاتصال بالبلدة . وقبل سقوطها بعدة ايام عقد الرعاع والاوباش مجلساً عالياً (!) وقرروا فيه وجوب اتلاف آل رومانوف برمتهم . وكان هذا المجلس متألفاً من ١٨ عضواً؛ ١٥ منهم من صميم يهود الروس وواحد اسير مجرى واحد بولوني وواحد روسى لاغيره وقد دلت التحقيقات على ان هذا الاخير ايضاً مشتبه فى روسيته .

وقد جلب القيصر الى المجلس في تلك الليلة واستجوب على الطرز الآتي:

لماحضر القيصر الى قاعة المجلس كان قد تضعضع جسمه من خضخضة العربة الرديئة التى ركب بها من المحبس الى المجلس مدة ساعتين فاضطر الى الجلوس على احد الكراسي الموضوعة هناك ليستريح وهو شيخ فان فلم يشعر الا وصوت فظيع قد ادهشه قائلا:



« سازانوف » السياسي الشهير ووزير الخارجية
للحكومة القيصرية

« وقعدت ايضاً !!.. هل سمح لك المجلس بذلك ؟...» ثم جرى الاستجواب كما يلي :

س — هل انت نيقولا بن علكساندر آل رومانوف ؟

ج — (بصوت خافت ومتألم) نعم قد اكون ذلك الرجل !

س — ان مجلسنا الذى يمثل الامة قد قرر اعدامك انت وعائلتك فهل لديك ما تقوله ؟

ج — قد كنت انتظر هذا القرار من مدة طويلة . وقد تأخرتم جداً!.

قال القيصر هذه الكلمات بكل تؤدة واعتدال . وعند ذلك انفض المجلس وارجع القيصر الى محبسه فى القلعة . ولما دخل القيصر الى المحبس تلقاه ولده علكسي باكيا

ثم عانقه وقال له هل رجعت حياً يا والدى . ثم ركضت القيصرة وبناتها نحو القيصر وقالوا له خيراً ان شاء الله ماذا اراد وامنك وما قيل لك ؟ فاجابهم القيصر برباط جأش (سوف لا يكون الا الخير ان شاء الله. انقذ الله روسيا !) فقالت له احدى بناته (تاتيانا) يا ابت قد سمعت الحراس يتهامسون بان قد تأسست في سيبريا حكومة قانونية وان البلدة هذه قد حوصرت من جميع اطرافها . وكان القيصر منصت الى هذه الكلمات بكل سكون ووقار . وبعد ذلك التفت الى بناته الاخر وخاطبهم قائلا: وانتن يابناتى اولكا ، نستاسيا ، ماريا ! ماذا تقولن ؟ قال ذلك وسقطت من عينيه دمعتان كاللؤلؤ الرطب حيث تخيل امامه مصير هؤلاء الفتيات الناعمات ، ربات الدلال والجمال وكيف انهن سيقتلن في تلك الليلة بعد ساعة او ساعتين بصورة وحشية فظيعة .

ولما رأى الامير علكسي دموع والده تتحدر من عينيه ، اخذه الهياج والاضطراب وصاح : ويلاه ! هل تراهم اهانوك يا ابت ! فصبر جميل ! وثق يا والدي بأن روسيا المقدسة لا تنسانا) فاجابه القيصر (واي نسيان يا ولدي ؟) ... وبينما هم في هذه الحالة واذا بالموت الاحمر قد داهمهم وذلك ان دخلت القلعة قطعة من الجند المسلحين وعلى رأسهم القاتل (يوروفسكى Yourov kiy) اليهودى وعند ذلك نادى الملعون بصوت عال وبتهكم شديد : (نيقولا ازل !) فقام القيصر وقبل اولاده وودعهم واراد النزول فتعلق به الامير علكسي محاولا منعه واغمي على القيصرة فقال له القيصر بوقاره المعلوم ، « ارجوك يا حبيبي اليوشه (مصغر علكسي) ان لا تجزع وكن جلداً صبوراً واذهب فسلي والدتك فاني سأنزل وارجع بعد قليل » فلم يكترث علكسى بهذه الكلمات بل اتبع والده . ولما نزل القيصر الى اسفل القلعة سمع النداء من القاتل : (اسرع وانزل ! فليس فى وسعنا ان ننتظرك اكثر من هذا) ولما وصل القيصر الى ناحية القطعة المسلحة تلقاه اللعين يوروفسكى وقال له : (هات حسابك نيقولا . فأن اليوم يوم الحساب) ثم قال له (ارجع نيقولا) ولما رجع سحب اللعين مسدسه واطلق عليه الرصاص فارداه قتيلا يتخبط في دمه . ولما وقع على الارض كان آخر ما لفظه : (آخ ؛ انقذ الله روسيا ،) ثم قضى نحبه . اما الامير علكسي فانه ارتمى على والده المسكين وجعل يقبله من وجهه ولحيته وبينما هو كذلك واذا باللعين يوروفسكى قد انقض عليه انقضاض النسر على فريسته وصوب المسدس اليه فقتله . وقد احست القيصرة والبنات بهذه الفاجعة وبقين مبهوتات ينتظرن الاجل المحتوم : ثم صعد هؤلاء

الوحوش الهمج الى القلعة ووصلوا الى المحل التي تقيم فيه هؤلاء المسكينات وحرابهم على بنادقهم فنفرت منهم البنات بدون شعور، من حلاوة الروح وكانت القيصرة ملقاة على الارض مغشياً عليها فتضرعت اليهم ثانياناً قائلة : (إنناشدكم الله والمقدسات دعونا نلقى النظرة الاخيرة الى ابينا واخينا ثم افعلوا ما انتم فاعلون)فقابل الوحوش تضرعهن واسترحامهن هذا بالشتم والقذف والاهانة والتهكم . وعندذلك هجم اللعين بوروفسكي واعوانه بحرابهم على هؤلاء الحور وكل واحدة منهن أصف ميتة تقريباً واخذوا يطاردوهن في تلك القلعة القديمة الخاوية وتلطخت الجدران والارض وغيرها بالدماء وانطبعت اثار الايدى والارجل والرؤوس وغيرها الملونة بالدم هنا وهناك . ولاتسل عن الضجيج والصياح والانين والعويل والاستغاثات المحزنة والاصوات المزعجة فقد بلغ صداها الى العيوق .واخلت بالسكون الذي ساد على تلك القلعة مئآت من السنين فاصبحت مسرحاً تمثل فيه انواع الفجائع وتسفك فيه الدماء الزكية ويتردد بين جدرانها صدى انين المظلومات وصراخ البائسات . واخيراً فقد سلمت هاته الحوريات انفاسهن على يد هؤلاء الزبانية السفاكين . فساد السكون وانقطعت الأصوات وخمدت الانفاس . وانتهى الانين واعيد الى تلك القلعة الموحشة سكونها الاول ولم تعد تسمع سوى وقع اقدام هؤلاء الفجرة وقعقعة سلاحهم وحرابهم، ونشيد المظالم الذى يخرج من افواههم ! . . .

ثم صاح اللعين يوروفسكى : اسحبوا هؤلاء الى اسفل القلعة ! وعندئذ اخذوا يسحبون هذه الجثث الناعمة المتخبطة بالدماء من الارجل بشكل تحقير وجروهن على وجوههن حتى انزلوهن الى اسفل وادخلوهن في

الاكياس ثم نقلوا الجميع بعربات القطار الى مركز البلدة ثم اخرجوهم صباح الغد سراً الى خارج المدينة وسكبوا عليهم الزيوت واحرقوهم جميعاً وبهذه الصورة فقد لطخ ناموس روسيا القومي بوصمة لا تمحيها العصور. وهذه هي المأساة التاريخية العظمى لروسية . فهي منذ ١٨ تموز ١٩١٨ ميتة لاحياة لها بعد ذلك . وقد سقط نجم سعدها لدى الدول بصورة ابدية. ولابد من ان ستبقى هذه الشائبة المشينة في جبـاه الروسيين الى يوم النشور ، ولا يمكن تلافيها ابداً وقد انتقمت القدرة الالهية من الروس شر انتقام فقد سلط عليهم الجوع والقحط وابتلوا بحروب اهلية سفكت فيها دماؤهم انهاراً مما لم يسمع بمثله في احدي الامم . فان موت ١٨ مليوناً من الجوع في قلب قارة اوروبا وفي عصر التمدن الحالي الذي كثرت فيه وسائط النقل لدليل قوى على غضب الباري عز وجل على هذه الامـة وما تسلط البعض على حياة الآخر وعرضه وماله والكل تتدين بدين واحد وتنتمي الى عنصر واحد ، وتاريخهم وعنعناتهم ولغـاتهم كلها متحدة : الا حجة واضحة للانتقام الالهي للدماء الزكية التي اريقت ظلماً وعدواناً .

ان هذه السطور التي كتبناها بخصوص مصير القيصر وعائلته هي خلاصة حقائق ملموسة لاغبار عليها فاني جمعتها في عهد حكومة سيبريا الموقتة من تقارير الهيأة التى عهد اليها البحث عن مصير القيصر وآله ، في زمن القائد « كولشاك » وقد نشرت هذه التقارير في صحف المشرق الاقصى . واضفت اليه مانشره الجنرال « ايوانوف Iwanoff » صديقى الحميم في كتابه المسمى (مصير العاهلية) وكان هذا الجنرال عضواً فى الهيأة المذكورة وكذلك اضفت عليه ماجاء فى المحاضرات التى القيت فى معـاهد المشرق

الاقصى ، علاوة على ماتتبعته بنفسي هناك اثنـاء اشتراكي في الحركات الحربية وماشاهدته بعيني . واوردته هنا ملخصاً .

اما الهيأة المشار اليها آنفاً فانها استندت في اكثر قراراتها على خواطر الاميرة « تاتيانا » لانها قد حافظت على الاعتدال وحررت خواطرها الى حين قتل اخيها علكسي وصعود القاتل واعوانه الى فوق . وقد تمكنت من أن تخبأ هذه الخواطر بين احجار القلعة بدون ان يعلم بها الملاعين وقد عثرت الهيأة عليها اثناء البحث في المحبس المذكور . اما آثار الدم فلم تزل باقية في القلعة حتى يومنا هذا وقد ايدت هذه الاخبار باعتراف اعوان القاتل يوروفسكي وبعض اعضاء هيـأة مجلس الرعاع الذي حكم باعدام القيصر ؛ وقد القى القبض عليهم في سيبريا في عهد حكومتي كولشـاك وسمه نوف . وسيقوا الى المحاكم فاعترفوا بهذه الفظائع ومما يدل على احراقهم عثور الهيأة على حجر ثمين في حفرة خارج المدينة قيل انهم احرقوا فيها . وقد تحقق ان هذا الحجر الثمين كان في عقد القيصرة وجميع الروس تعلم ذلك ولاتجهله . وجل قصدي من ايراد هذه الدلائل ان اجعـل القراء الكرام في اطمئنان تام مما اوردته . ولايجب ان تكون لهم ادنى شبهة في ذلك .

ومما يجدر بالذكر عن وفاء القيصر وشدة تعلقه بامته هو ان الالمان قد ارسلوا وفداً الى محبسه في (برج كاترينا) يوم كان يقـاسي من الضيق اشجاناً ومن العذاب الواناً وكان يترأس الوفد المذكور مرافق ولي عهد المانيا السابق وطلبوا من القيصر التصديق على معـاهدة (برست ليتوفسك) المعلومة واوعدوه بارجاعه الى عرشه كما كان في السـابق وعداً قوياً . وكلفوه حالا بنقله الى المانيا هو وعائلته اذا اقر لهم بذلك بشرط ان

يوقع على المعاهدة وهو طليق فى بلاد الالمان . ولكن ذلك الرجل العظيم لم يشأ ان ينقض العهد الذي قطعه لحلفائه ورد تكليفهم هذا بشدة مع انه يعلم يقيناً انه سيتلف هو وعائلته اذا بقي فى ذلك المحبس . ففضل الموت بالشرف على الحياة بالذل والخيانة . وهذا الوفاء هو الوفاء الروسي بعينه ويمكننى القول بعدم وجود امثال هذا الوفاء وهذا الصدق المحض فى الدنيا جميعا . ولاشئ ادل من هذا على شدة تعلق القيصر بعهوده واحترامه للكلام الذي يلفظه ، وكثرة محبته لامته .

وقد تكرر مجئ هذه الهيأة الى محبس القيصر بمساعدة البلاشفة الا انهم رجعوا خائبين مأيوسين . فهذه عاقبة آل رومانوف البؤساء باختصار .

تنبيه

لا يخفى على اللبيب ان جميع النقدات والتذمرات التي اوردتها في خاطراتي فيما يخص اليهود ، هي تتعلق بيهود روسيا دون غيرهم وقدظهر للعالم عياناً ان العامل الاساسي في الثورة الروسية العظمى هم اليهود الروسيون . فقد كان اليهود في عهد القياصرة مضطهدين للغاية فقد كانوا محرومين من جميع الحقوق المدنية والاجتماعية حتى من حق الحياة تقريباً ، فقد وصل الذل بهم الى درجة ان المحاكم الجزائية والمدنية لا تكتفي بشهادة يهوديين في قضية اذا اقتضى شهادة اليهود بل يشترط شهادة ستة شهود لاستكمال النصاب القانوني في حين انها تكتفي بشهادة رجلين من غير اليهود في جميع الاحوال الاعتيادية .

هذا من جهة العدل واما من جهة المعارف فلم يكن لليهود حق الدخول فيما فوق المدارس الابتدائية من المدارس الرسمية واما الجندية فلم يكن لهم فيها نصيب البتة . وعلاوة على ذلك فقد وضعت قيود ثقيلة وشروط مجحفة على يهود روسيا . ومع كل هذه الاعتسافات والاضطهادات فقدكان في روسيا ما يقارب الثلاثة ملايين من اليهود (غير الذين فى بولونيا) وكانت هذه الشرذمة الذليلة المسكينة من اغنى جماعات روسيا واثراها بدرجة انك لا تجد ملاكا روسياً او اميراً او تاجراً الا وترى بعض ثروته واملاكه او كلها مرهونة عند اليهود

وقد كان من الضروري لليهود الاذلاء ان يتنصروا حفظاً لحقوقهم وصيانة لارواحهم واموالهم واملاكهم . ولذا فان بعض اذكيائهم طمحوا الى نيل المقامات العليا وطمعوا في المناصب والمراتب فنبذوا الديانة اليهودية ، وبين

آبائهم واجدادهم، واعتنقوا الديانة النصرانية منذ القديم وقد اندمجوا في الشعب الروسي وتمثلوا تماماً حتى لم يبق بينهم وبين صميم الروس اي فرق.

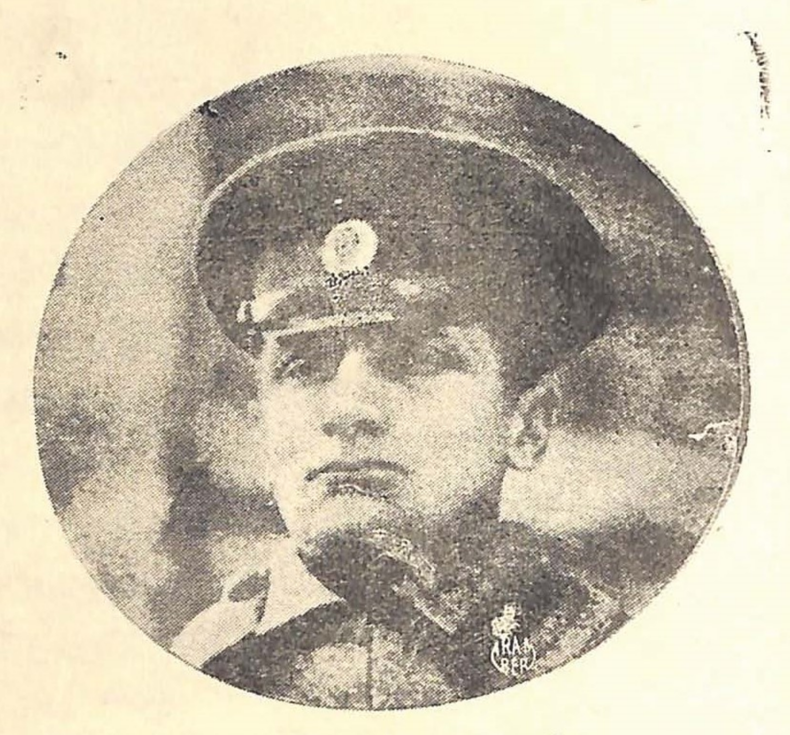
انتهز هؤلاء شياطين الانس فرصة من بساطة الشعب الروسي المشهورة وتمكنوا بظرف نصف عصر من القبض على العقدة الحياتية لروسيا وجعلوا يتصرفون بذلك الشعب المخلص، السليم القلب كما يشتهون. ولم يخل مجلس الدوما والشوري الاعلا، والوزارة والولاة والقواد والبلاط القيصري من عدد كبير من هؤلاء اليهود المتنصرين.

وان مرماي في مطالعاتي وبياناتي هم هؤلاء اليهود الذين صبوا البلاء على رؤوس الشعب الروسي ولو اردنا تفصيل ذلك لطال بنا البحث. والا فلا اقصد البتة اليهود المسالمين المشهورين بالحلم وسلامة القلب كاليهود الساكنين في الشورجة وسوق حنون والبصرة والعمارة والموصل والشام وفي محلة بلاط بالاستانة فان هؤلاء مشغولون بكدهم وكسبهم. وان الفرق ما بين هؤلاء واولئك كما بين السماء والارض.

ولو جمعنا يهود العالم قاطبة وقارنا بينهم وبين «تروتسكى» [برونشتين] اليهودي المذبذب، المعوج الفك والذي يقود الآن نحو خمسة ملايين جندي ولا يزال يهدد بهم الشرق والغرب واصبح الحاكم المطلق على ١٨٠ مليوناً من البشر؛ لما ساووا شعرة من جسده بالفتك واهراق الدماء فاين ظل يا ترى يهود العراق الذين لا يتمكنون من اضرار نملة.

ولهذا فلا اظن ان يهود العراق يتألمون بقدر الذرة من مطالعاتي ومقاصدي الواضحة كالشمس في رائعة النهار.

[انتهى الفصل السادس ويليه الفصل السابع]



الاميرال « قولجاق » القائد الاعظم الاول لحكومة سيبريا

الفصل السابع

المندرجات:

التئام المجلس الشورى الاعلا فى «اومسك» – مقررات المجلس – انتخاب الاميرال « كولشاك » رئيساً شرعياً لحكومة سيبريا القانونية . وقائداً عاماً لجيوشها – بيان الرئيس – الترتيبات السياسية للحكومة القانونية – وزارة سيبريا – الادوار التي مثلها الرئيس الشرعي – رياسة الوكلاء – اوضاع سازانوف وزير الخارجية اثناء الحركات الوطنية – مجلس الدوما ومجلس الشورى الاعلا فى اومسك – اعتراف الحلفاء بحكومة كولشاك – حكومة كولشاك في نظر اوروبا – اوضاع البلاشفة – الحروب البلشفية البولونية – حركات الجنرال « دنيكين » – حركات الجنرال « يوده نيج » – ثورة قلاع « كرونشتات » المستحكم: – انتصارات البيض فى حركاتهم – مضايقة « موسكو » و « برج بطرس » – جيش الجنرال « غايدا » – جيش الجنرال « خانجين » – جيش الجنرال « ساخاروف » – جيوش الجنرال « سمه نوف » – موقف الجنرال « سمه نوف » – اعتراف الجنرال « سمه نوف » بحكومة الاميرال « كولشاك » وبيعته له – ارسال الحلفاء الفرق العسكرية الى سيبريا بقصد المساعدة – البلاشفة على شفا جرف هار – مقابلتي الرئيس الشرعى فى « اومسك » – كلمات للرئيس الشرعي – نصبي لقيادة اللواء المسلم – العساكر المسلمة فى سيبريا – نصبي لرياسة امور التجهيزات العسكرية فى جيش سيبريا الشرقية المستقل – سفرى الى اليابان لاول دفعة – اعمالي في اليابان – الشورى

الجنرال « نوكس » قائد قطعات الامداد الانكليزية — حشد البلاشفة ٢١ فيلقاً مجهزاً في جبهة سيبريا — اخلاء اومسك — اخلاء نيونيقولايفسك — نقل الحكومة الى « طومسك » — اسباب الهزيمة وعواملها الحربية — الفظائع التي ارتكبها الجيش الجيك الصقلي اثناء رجعته — احرنجام الجيش الجيك الصقلي في مدينة « ايركوتسك » لسبب مجهول — الاوضاع الحربية للجيش الروسي — احوال النقليات العسكرية — الجوع وفقدان الذخائر في الجيش — سقوط « اومسك » مقابلة الرئيس الشرعي في طومسك مرة اخرى — المكالمات المؤثرة للرئيس الشرعي استيلاء اليأس والفتور على الرئيس — تشوش الارتباط في الجيش — ترك الجيش الى الاقدار — الهزيمة الكلية — سقوط « طومسك » و« نيونيقولايفسك » — قدوم الاميرال « كولشاك » الى مدينة ينجفي اودينسك — ترك الاميرال كولشاك زمام الامر الى الجنرال « سمه نوف » — الرئيس الشرعي وقطار الذهب — رسم خطط الرجعة للرئيس الشرعي من قبل الجنرال « جانان » القائد الافرنسي — الثورة في ايركوتسك — قبض ال « جه » على زمام الامور في ايركوتسك — رجوع كولشاك بقطار الذهب الى المشرق الاقصى — الحبائل التي نصبت لكولشاك في ايركوتسك — ارسال القائد سمه نوف مفرزة عسكرية الى ايركوتسك بقيادة الجنرال « سيكي تروف » — اشتباك الحرب بين المفرزة وبين ال« جه» — وقوع المفرزة اسيرة بايدي ال « جه » — وصول كولشاك مع قطار الذهب الى ايركوتسك — نهب قطار الذهب — القبض على كولشاك في ايركوتسك من قبل الثوار — نكبة جيش سيبريا — وصول البلاشفة الى ايركوتسك — استيلاء الجيش الحديدي الباشفي الثالث على مدينة

ايركوتسك – اصطدام البلاشفة مع ال « جه » – طرد ال « جه » من المدينة – نهب اموال ال « جه » من قبل البلاشفة في ايركوتسك – استيلاء البلاشفة على قطار الذهب وقبضهم على كولشاك وعائلته – اسراع جيش القائد سمه نوف الى ساحل بحيرة « بايكال » – اعدام الاميرال كولشاك وعائلته في ايركوتسك من قبل البلاشفة – المناداة بالجنرال سمه نوف رئيساً شرعياً – اشتباك الحروب بين البلاشفة وبين جيوش سمه نوف في سواحل بايكال وفي مولغولستان – جيش الجنرال « قابيل » – الرجعة على الثلوج – خضوع جميع الجيوش للجنرال سمه نوف واعترافهم به .

☆ ☆ ☆

كنا قد بحثنا في الفصل الخامس عن اتحاد رؤساء الحركات الوطنية . ولذا فقد التأم مجلس شورى اعلا في مدينـة اومسك في شهر اغسطوس سنة ١٩١٨ ، ويتألف هذا المجلس من قواد الفيالق والمفارز المستقلة للجيوش المناهضة للبلشفك ، ومن اشراف سيبريا ومن الامراء والوزراء والقواد السابقين الذين التجأوا الى سيبريا ، وذلك بناء على طلب قواد الوحدات البيضاء وتنسيب المندوبين السامين للحلفاء في سيبريا . وقد قرر في هذا المجلس: اولا – توحيد الادارة ، ثانياً – انتخاب الاميرال « كولشاك Kolchak » بالاجماع رئيساً شرعياً لعموم حكومة روسيا القانونيـة ونصبه قائداً عاماً للقوات البرية والبحرية والجوية . ثالثاً – الدوام على الحرب حتى تمحى البلشفة وتطهر روسيا جمعاء من ايدي البلاشفة رابعاً – تخليص روسيا من الهرج والمرج . وادارة البلاد بالقوانين التي كانت نافذة سابقاً حتى يتعين شكل الادارة لروسيا من قبل المجلس التشريعي الذي سيلتئم بالانتخابات العمومية .

وقد اكتفى المجلس المذكور بتقرير هذه المواد الاربع وسلم زمام الامور الى الاميرال كولشاك حسب المراسم الاعتيادية وانفض بعد ذلك .

قبض الآن الاميرال كولشاك على زمام الادارة ولم يلبث ان اعلن البيان الرئيسي الآتي واليك خلاصته :

بيان الرئيس

« ايتها الامة الروسية ! ايها الفلاح الروسي ! ايها العامل الروسي ! ايها الاقوام التترية والقرغيزية والباشقردية والقفقاسية التي تفيأت ظل العلم الروسي وعاشت عيشة الاخوان عدة قرون، متحدة بدون نزاع او خصام يا اهالي سيبريا وريفا واستونيا ولاتويا واوكرانيا وبولونيا وروسيا البيضاء وروسيا الصغيرة وروسيا الكبيرة ومقاطعات آمور ومونغولستان ومانشوريا وغيرهم وغيرهم من الملل والنحل !

« ان النار قد شبت بصورة مهولة ومريعة في امكم روسيا ، في وطنكم الذي عشتم فيه مشتركين . فان لم تكونوا يداً واحدة للاسراع باطفاء هذه النار المدهشة التي نفذت الى قلب وطننا المشترك، فان النكبة العظمى ستكون نصيبنا لا محالة . وكلكم تعلمون الجهود التي بذلناها والمشاق التي تكبدناها في سبيل أنقاذ هذه البقعة من امنا الوطن ولي اعتقاد تام باننا سننشر الادارة القانونية في جميع انحاء روسيا . ولست ارى نفسي حاكماً اورئيساً اوقائداً تجاهكم اصلا بل اني الاخ الصادق لكل منكم من الفلاح الى الامير وخادم غايتكم المقدسة . واست اتطلب الالقاب والفخفخات كما لا نريد القصرية والاستبداد بل جل غايتنا تحقيق حياة سعيدة ابدية بصلح وسلام

الا انه يجب علينا - مع كل اسف - ان نتحمل اعباء تأديب بعض مواطنينا البسطاء وتزكيتهم لأنهم انخدعوا بتسويلات اعدائنا وانحرفوا عن المصلحة وليست هذه الاعمال الا بمثابة تأديب والد رحيم لاولاده الاغرار. وها انا اعلن اني سوف لا اقدم على اي حركة عدائية ضد البلاشفة ما لم يقع منهم تعد، من اليوم لمرور شهر كامل وقصدي من هذه التدابير، امهال مواطنينا البؤساء الذين استحوذ عليهم الشيطان واغوتهم مكائد الاعداء لكى يفكروا فى الامر ملياً لعلهم يدركون الضرر الذي يحيق بهم فيرجعون الى الصواب ويلتحقون بنا.

كما اني اريد ان ابرهن للعالم اجمع بان الجيش الابيض لا يميل الى سفك الدماء البتة، ويمكننا ان نتفاوض مع الطرف المقابل لنا فى ظرف هذه المدة بشرط ان ينزلوا على مبادينا واننا بعد ذلك مستعدون لتأسيس حكومة قانونية وادارة ديموقراطية مستندة على الرأي العام وننهي جميع هذه الاختلافات بصورة قطعية. ولا مانع من ائتلافنا مع جميع افراد الامة الروسية وتفاهمنا معهم بشرط ايداع الاشخاص الذين سببوا التخريبات المدهشة والفوضي في طول البلاد وعرضها الى محكمة عليا وبعكس ذلك فلا نلقى سيوفنا واسلحتنا من ايدينا حتى نطهر جميع روسيا من هذه الجراثيم الفتاكة ونتأصلهم بكل قسوة. ولا يمكنني ان اقول الآن شيئاً بحق ادارتنا المقبلة مع ذلك يجب ان يعلم ان آخر نتيجة لظفرنا هي جمع المجلس التشريعي. وان اعلان حرية الانتخابات وجمع التشريعي سيكونان باكورة اعمالنا بعد ازالة الادارة البلشفية من روسيا جمعاء وهذا المجلس هو الذى يقرر شكل الحكومة الدائم لروسيا الجديدة.

الا اني اصرح لكم بان الشكل المقبل لا يشابه ابداً الشكل الاستبدادى الماضي . بل سنوزع تبعة ادارة شؤون البلاد بصورة متساوية على الامم الاخرى الداخلة فى الاتحاد الروسي . ومعناه اننا سنمنح الحكم الذاتي التام للامم الاخرى التى تعيش معنا ويجب علينا الآن ان ننهي الاعمال التي بين ايدينا وبعد ذلك سنقتسم الثمرات بيننا بصورة عادلة ولهذا ينبغي علينا ان نتحد ونتفق في جميع اعمالنا ! اليوم يوم الغيرة والاهتمام ! ولا اريد التساهل والتسامح ابداً . لان اقل اهمال يبدوا منا اليوم سيجر علينا الويل والثبور .

« فالى العمل ! الى التعاضد ! الى تكبد المشاق ! فمنا الغيرة ومن الله التوفيق ! . . » « كولشاك »

وبعد ذلك اتخذ الاميرال كولشاك مدينة « اومسك » عاصمة له واحدث هيأة وزارية مؤلفة من وزارة العدلية ، والحربية ، والبحرية ، والداخلية والخارجية والطرق والمعابر ، والغابات والمعادن ، والمعارف والاديان ، والتجارة والصناعة ، والبرق والبريد ، والاسكان والهجرة ، وقد اودعت رياسة الوزارة الى « لبەدف L b deff » العضو سابقاً فى مجلس الدوما . وعهدت الوزارة الحربية الى الجنرال « ايوانوف رينوف Ivanoff Rin ff والخارجية الى الرجل العظيم « سازانوف Sazanoff » ناظر خارجية الامبراطورية الروسية القيصرية سابقاً . وقد اظل هذا الداهية بصفة جندي متطوع في الجيش طول هذه المدة حتى تألفت حكومة سيبريا هذه ومثل هذه الاثار الحماسية كثيرة التصادف في ادوار الثورة في روسيا . وقد كان فى سيبريا فرقة كاملة يتألف جميع افرادها من الضباط السابقين وكانت هذه

هي الوحدة الفعالة فى الجيش وتختلف رتب هؤلاء الضباط ففيهم من الملازم الى العقيد ورؤساء اقسامها من رتبة لوآء فما فوقها . ولا شك بان امثال هذه المفاداة نادرة الوقوع جداً وهذه هي التضحية بعينها ! ...

وبعد ان تالفت الوزارة جمع كولشاك في اومسك كلا من مجلس الدوما والشورى الاعلا وبدأ هذا القائد بتمثيل الادوار القيصرية تماماً . فقد كان المرجع الاعلا لجميع المقامات ولم يكن لينفذ اى قرار بدون ان يصادق عليه الرئيس الشرعي وقد كانت منزلة كولشاك رفيعة جداً فى اوائل سنة ١٩١٩ مما ادى الى اعتراف حكومات الحلفاء بحكومته في ذلك الحين واعتبرت حكومته حكومة روسيا الرسمية القانونية لدى عموم دول اوربا واضحت مجارى السياسية الخارجية لحكومة سيبريا كما كانت على العهد القيصري تماماً .

هذا وان السفارات والقناصل الروسية الخارجية نشطت فى العمل نشاطاً شديداً وكانت لها مكانة لا تقل عن مكانتها السابقة كما ان (الروبلة) الروسية راجت آنئذ رواجاً لا يستهان به فكانت الليرة الانكليزية تساوي ٨٠ الى ١٣٠ روبلة يعنى ان قيمتها لم تنحط عن اكثر من ١٠ اضعاف بالنظر الى قيمتها الاصلية . وفضلا عن ذلك فقد كانت حالة الروبلة آخذة في التحسن . واصدر مصرف حكومة كولشاك اعتمادات مالية كباراً وصغاراً حتى ذوات الخمسة آلاف من النقود . وليس لاحد من الروس ان يخرج من حدود البلاد بدون جواز من حكومة سيبريا كما انه لا يقبل في اى مملكة بدون ذلك لان جميع الامم كانت لا تعترف بوارث شرعي لحكومة روسيا السابقة سوى حكومة سيبريا . ولم تعترف اى حكومة بالوثائق البلشفية مهما كان نوعها

ولما كان كولشاك يقود جيشاً لا يقل عدد افراده عن نصف مليون، كان القائد دنيكين (الذي اعترف بحكومة سيبريا) يتقدم من الجنوب بجيوشه الجرارة نحو مدينة موسكو وصادف فى ذلك الحين ان اعلن البولونيون الحرب على البلاشفة بمناسبة النزاع القائم حول ولاية (مينسك Minsk) وكانت هذه الحكومة تشد ازر جيش دنيكين من خلفه هى ومملكة اوكرانيا بصورة متحدة ومن جهة اخرى كانت مقاطعة (فنلا ديا Finlandia) متهيئة للخصومة مع البلاشفة وثار الجنرال (يوده نيج Youdenich) المشهور في وجوههم ايضاً في حوالى « برج بطرس » واخذ يهدد العاصمة بقوة عظيمة وعصت قلاع « كرون شتات Kron Stat » المستحكمة الكائنة عند مدخل ميناء العاصمة واعلنت الثورة على البلاشفة وصوبت مدافعها الجهنمية نحو مباني برج بطرس الشاهقة في الهواء.

ولما ضاقت السبل على البلاشفة نقلوا حكومتهم الى موسكو وزحف جيش كولشاك على برج بطرس من استقامة (آرخانكل Arkhangel) وطرد امامه البلاشفة من جميع الجبهات. واستمر تقدم دنيكين وسائر الجيوش البيض الى جهة موسكو حتى صار دنيكين على مسافة ١٢٥ (ورست) عن البلدة المذكورة وكولشاك على بعد ٢٥٠ (ورست) عن برج بطرس. وارتفعت حينذاك ضجة صحف البيض واظهرت مسراتها وقد اتصلت قوة دنيكين بقوة كولشاك فى جهة تركستان.

وكانت قوات الـ « جه » فى الجيش الشمالى بقيادة الفريق « غايدا Gaida » وقد احتل هذا الجيش ولاية « پرمى » من جهة الشمال وتقدم نحو « برج

بطرس » من انجاه « آرخانكل » اما الجيش الشرقى الكبير فؤلف من سبعة فيالق ويقوده الماريشال « خانجين Khanjin » وكان يتقدم نحو موسكو من الوسط . واحتل الجيش الجنوبي بقيادة الجنرال «ساخاروف Sakhar‹ ff » جميع مناطق تركستان واتصل جيشه بجيش دنيكين وكان في موقف الفائز الظافر .

اما الجنرال « سمه نوف » قائد الجيش المستقل في المشرق الاقصى فقد كانت مهمته تأمين مؤخرة الجبهة الطويلة الممتدة من البحر المنجمد الشمالى حتى بحيرة قازوين « بحر الخزر » وحفظها مادياً ومعنوياً ومن هنا يتضح ان حياة جيش سيبريا العظيم مودعة لعهدة الجنرال سمه نوف بلا شك او شبهة .

وكانت بين كولشاك وسمه نوف بعض وقائع سابقة اوجبت النفرة بينهما ولذلك فلم يكن سمه نوف معترفاً بعد بحكومة كولشاك الا انه كان يساعده بكل قواه ولا يضن عليه باي معونة نظراً لاتحاد الغاية الشريفة التي يتوخاها الاثنان بصورة مشتركة . على ان سمه نوف لم يكن دون كولشاك منزلة او نفوذاً فقد انتخب سمه نوف حاكما سياراً باجماع قوزاق سيبريا قاطبة من جبال اورال حتى المحيط الهادى (الباسيفيكى) ونصبوه آمراً مطاعاً لجميع فرق القوزاق المستقلة فى سيبريا وبهذه الكيفية اصبح موقع سمه نوف لا يقل عن موقع كولشاك حيث ان عنصر القوزاق هو العنصر الفعال الوحيد في جميع بلاد سيبريا . ولكن هذا القائد الوطنى لم يتأخر عن اداء الواجب . واعترف بحكومة كولشاك ومقامه فى تموز سنة ١٩١٩

بصورة رسمية حباً بالوفاق، وهرباً مما عسى ان تحدثه الاختلافات الشخصية من العواقب الوخيمة فى تلك الظروف الحرجة. وقد قوبل اعترافه هذا بالاهتمام الزائد من قبل الاندية السياسية فى المشرق الاقصى. وانعم عليه القائد كولشاك برتبة مارشال [مشير] مكافاة لاخلاصه هذا

ولا نريد ان نمر من هذه المباحث دون ان نوضح ما للجنرال سمه نوف من الهمم المشكورة فى هذه الحركات الوطنية. وذلك انه لو لم يحارب البلاشفة قبل كل احد ولولم يطهر بلاد سيبريا منهم، ولو لم يدخر السلاح والكراع والذخائر الحربية الوافرة في المستودعات. ولولم يؤسس الصلات الودية بينه وبين دول المشرق الاقصى؛ لما نجحت اي حركة وطنية فى غربى سيبريا بل فى جميع ارض روسيا. نعم! قد كان فى وسع الجيش الجيك الصقلبى ان يصل الى سواحل بحيرة بايكال لاعظم تقدير «وذلك محال» الا انهم كانوا يضطرون للاشتباك مع البلاشفة وهم على غاية ما يكون من التعب والعناء والتشتت. ونتيجة ذلك الاشتباك هو الحزن والقهر بلامراء. وبتعبير اوجز ان جميع رؤساء جيوش البيض في غربي سيبريا او شرقى اوروبا لم تكن لتتوفق في حركاتها لو لم تكن مطمئنة من الوضعية في المشرق الاقصى.

وصفوة القول ان المشرق الاقصى كان الملجأ الاحتياطي الحصين لجيش كولشاك البالغ عدده ٨٠٠ الف جندى.

تكاثر الظفر. وشدد النكير على البلاشفة وحوصروا من كل جهة بصورة سيئة. وبدأت النجدات تتوارد من دول الحلفاء كانكلترة وفرنسة وامريكا

واليابان وايطاليا والبلجيك والصرب والرومان والصين كل بنسبة قوته من مفارزاو فرق. كل ذلك بقصد الاشتراك بتأسيس الحكومة القانونية في روسيا وحشرهامن قبرها. وقد سميت هذه النجدات الاجنبية بـ[القوى المساعدة] وبأضافة جيوش [الجيك الصقالبة] والا [جه] البالغ نحو ٨٠ الفاً يصبح مجموع هذه القوى المساعدة نحو ١٥٠ الف جندى منظم ومجهز باحسن العدد. ومهمة القوة المذكورة توطيد الامن الداخلي وقد عهد بقيادتهم الى الجنرال [جانان Janan]الافرنسى. وفى تلك الاثناء كنت قد ذهبت الى ثغر [ولادي فستوك] المستحكم لجلب الذخائر الحربية الى جيش المشرق الاقصى من مستودعات الثغر. وعند رجوعي من هناك رأيت الحالة قد اصبحت على تلك الصورة. وكنت قبل سفري ارسلت تقريراً مفصلا الى مقام القيادة العليا. فلما وصلت الى مقر الجيش آتياً من ولادي فستوك وجدت امامي امراً سامياً بوجوب شخوصى الى المقر الاعلافي مدينة اومسك فاستأذنت من الجنرال سمه نوف وركبت القطار السريع فوصلت اومسك بعد ثلاثة ايام ونودبت على الفور الى المثول. وقابلتني حضرة السيدة كولشاك باديء بدء فى قاعة الانتظار الكائنة في قصر الرئيس الشرعى. وكانت السيدة لا تقل فى الحشمة والدبدبة عن القيصرة. ثم خرج بعد ذلك الرئيس الشرعي فقابلني وصافحنى بكل حرارة وصميمية ثم وجه الي الكلمات التالية:

« اشكركم على فكرتكم وتشبثكم. وقد اصدرت ارادتي لوزير الحربية بأن يساعدكم لاستكمال ما يلزم لهذه التأسيسات حسبما تشتهون. فابدأوابذلك

حالا ! ولا شك بانكم ناجحون . وقد وجهت اليكم وسام [القديسة آننا] من الدرجة الثانية . مكافأة لخدماتكم الجلى في جيش المشرق الاقصى . ويمكنكم مقابلتى متى اردتم . وبوسعكم اجراء المخابرات معي بدون واسطة وهذه وظيفة مقدسة فالبلاشفة اعداء لكل دين وقوم ولهذه العلة فأني أؤكد لكم بان حكومتكم الاصلية ستقدر لكم هذه الخدمات فيما بعد وانى لاشاهد على سيما كم اثار النبوغ وثقوا بانكم ستحققون اكبر الفوائد لشرفكم استناداً على المقام الذي تنالونه هنا استودعكم الله !»

وكان التقرير الذي قدمته يتضمن وجوب توسيع التأسيسات فى الجيش الاسلامي وترقيتها وقد صدرت الاوامر حالا بتأليف اللواء الاسلامي المستقل في شرقى سيبريا وصدرت الارادة من كولشك بالاعتراف بالرتبة التى كنت حائزها وهى (قائم مقام) ونصبت قائداً للواء الاسلامي المستقل في شرقى سيبريا واخذت معي من اومسك مقداراً وافراً من المال . وزودت من هناك بملاك الضباط المسلمين والافراد فى اللواء وقد استكمل اللواء المذكور عدده في مدة وجيزة جداً نظراً لتقاطر افواج المتطوعين اليه.

وبناء على اكمالي لتأسيسات اللواء بسرعة ، ولنجاحى المهم في بعض خصوصات اخرى فقد انعمت على الحكومة القانونية مكافأة لخدماتي ووجهت الي وسام (صليب ولادى مير) المقدس من الدرجة الثالثة . وقد كانت معاملتي للجنود حسنة جداً وكنت اطبق القوانين الاسلامية تطبيقاً تاماً وكان هذا اللواء اول قطعة مسلحة مسلمة رآها التاتار منذ تقلص ظل حكمهم فى التاريخ . ونظراً لكوني السبب الاوحد فى تأسيس اللواء المذكور ولحسن سيرتي فقد اخذ التاتار ينظرون الي بنظر الحرمة والعناية واهدوا

لي الكوكب التتري التاريخي المشهور وهو من ذهب، مرصع بالحجارة الكريمة . وقد كان هذا اللواء موضع حرمة اهالي البلاد التي يمر بها اثناء الحركات الحربية لانه كان يجاملهم المجاملة التامة . واشتهر بحسن سلوكه حتى اصبح يشار اليه بالبنان وصارت له مكانة عظمى في عموم سيبريا. وغدا في مقدمة وحدات جيش المشرق الاقصى .

ولم ازل ابذل الجهود في سبيل تحسين حالة اللواء، وتوطيد الامن والسكون بصورة تقدمت فيها على سائر الوحدات مما ادى الى ارتياح الاهلين وجلب قلوبهم نحوي. وهذه الاحوال لم تخف طبعاً عن القائد كولشاك فوجه الى في ايلول سنة ١٩١٩ رتبة زعيم (كولونيل) ومنحني جميع الحقوق والصيانات التى يتمتع بها امرآء الروس . وانعمت علي القيادة العليا لجيش المشرق الاقصى، مكافاة لخدماتي، بوسام (صليب غه اورغ) المقدس من الدرجة الثالثة ووسام (مانشوريا) الروسي ايضاً .

وقد بحثنا هنا في ذكر الترفيعات والتلطيفات؛ لان مبحثنا هذا عام وموجز ولا يساعد المقام على ذكر تفاصيل الصفحات الحربية لحركات اللواء والفرقة . ولذا فلم اتمكن ان اذكر عن حركات اعمال المسلمين في سيبريا اكثر من هذه الخلاصة .

وبعد ذلك نصبت رئيساً للتجهيزات والذخائر العسكرية لجيوش سيبريا الشرقية؛ بناء على تنسيب القيادة العليا. ثم انتدبت -بناءعلى صدقى واماني- لرقابة لجنة المبايعات التي ذهبت الى بلاد اليابان فى تشرين الثاني سنة ١٩١٩ . وفى اثناء وجودي هناك، وبصفتى شرقى وضابط تركي قديم؛ فقد القيت محاضرات كثيرة في النوادي العسكرية اليابانية المهمة حول

امور المشرق الادني وكانت محاضراتي هذه خارج المهمة التي انتدبت لاجلها وقد استفدت من مرتبتي ومقامي في الجيش الروسي . وقد رددت محافل المشرق الاقصى صدى محاضراتي هذه ردحاً من الزمن . وبادرت حكومة اليابان حالا وارسلت جناب غراف (اوجيدا Uchida) بصفة وزير مفوض الى الاستانة . وينبغي ان يكون هذا العمل ناشئ عن تأثير محاضراتي السابقة الذكر .

وقد احب « اوجيدا » مواجهتي ليسألني عن احوال تركيا الاجتماعية واوضاعها السياسية ليتزود بالمعلومات الكافية ، ولكن لسوء الحظ كنت آنئذ قد فارقت جزر اليابان . الا اني لما وصلت الى مدينة « جيتا Chita » في سيبريا ابلغتني الدائرة العسكرية اليابانية هناك برغائب وزير اليابان المفوض . وكنت اذ ذاك مشغولا جداً بامور الحرب فاضطررت الى ارسال برقية الى رئيس الشورى الاعلى لمسلمي سيبريا وهو موسيو « محمد عبدالحي عبيد الله قربان على حضرت » الذي كان حسب الصدفة في بلاد اليابان ورجوت منه ان ينوب عني في اعطاء المومى اليه ما يجب من المعلومات وقد اخبرني الرئيس المشار اليه اخيراً بانه قابل غراف « اوجيدا » عدة دفعات وزوده بما اراد من المعلومات الكافية .

وعند عودتي من بلاد اليابان سعينا الى احداث فروع للجمعية الاسلامية بواسطة رئيس الشورى الاعلا في امهات مدن المشرق الاقصى وما نشوريا مثل « جيتا » و « خاربين » و « موقدن » و « شانخاي » و « خاباروفسك » و « ولادي فستوك » و « بلاغووه شجينسك » وغيرها من البلدان . وربطنا

الجميع بالشورى الاعلا للادارة الوطنية الاسلامية الكائن فى « جيتا » ولم يتوقف الروس الذين شاهدوا حسن خدمات اللواء الاسلامي لهم واعماله الباهرة ، عن الاعتراف بهذه المطالب والتأسيسات . ولم يتردد القائد العام من ان يتبرع لاول وهلة بعشرة آلاف ليرة روسية ذهباً فى سبيل تقوية هذه التأسيسات وربطها ببعضها ربطا محكما .

والجنرال سمه نوف ينتمي الى سلالة البيت المالك في المنغول والغالب على الظن انه من عائلة تركية مسلمة نزيهة قديمة ولهذا السبب نراه يعطف اشد العطف على الاسلام وبالخلاصة على الاتراك . ولا يحجم عن اى مساعدة تجاههم والصحيح ان اكثر عوامل نجاحى كان متأتياً من وجود هذا القائد ووقوفه أمامى وقفة المساعد المؤيد . هذا وان الشعور القومي والنشاط السياسي قد اخذ ينميان في التاتار القاطنين في المشرق الاقصى . وقد منح القائد « سمه نوف » لامركزية ادارية واسعة الى جميع المسلمين في سيبريا الشرقية . ولذلك احيلت جميع الشؤون الداخلية للترك والتاتار الى مجلس الشورى الاسلامى الاعلا . وقد قرر هذا المجلس ان يبلغ اللواء المسلم الى فرقة ونصبت انا لقيادتها بامر القائد العام . وكوفئت بوسام [ستانيسلاو] الصليبي المقدس من الدرجة الثالثة .

ولما استلمت قيادة الفرقة خطر ببالي قبل كل شيء ضرورة وجود علم اسلامى اخضر ، خاص بالفرقة المذكورة . واوضحت ذلك للحكومة فلم يسعها الا المصادقة على هذا الاقتراح ودَنت سعة هذا العلم اربعة اذرع مربعة ومعمول من الاطلس الاخضر وقد نقش على احد وجهه بالتطريز الفضي

الاصفر (صرمة) صورة تاج اسلامي قديم « يشابه تيجان آل عثمان » وعلى الوجه الاخر عبارة : « لا اله الا الله الملك الحق المبين محمد رسول الله الصادق الوعد الامين » وفي زوايا وجهيه نقشت كلمات « الله » « محمد » « دين » « وطن » وحلي طرف عامود العلم المذكور بالذهب الابريز . ولما تم عمل هذا العلم اقيمت حفلة شائقة في جيتا حضرها جميع رؤساء الدوائر الاسلامية واشترك فيها كل الوحدات وسلم القائد العام بيده العلم الى الفرقة بمهرجان عظيم فكان الشعور الاسلامي الذي افل منذ سنين عديدة اخذت شمسه تبزغ من جديد وارتجت جميع انحاء المشرق الاقصى بالاذان في الاوقات الخمسة — وكذلك خطب الجوامع وادعية الاسلام العلنية وصلاتهم وتسبيحهم ، وتراويح رمضان والاضاحي ؛ بعد ان اعتورتها سكتة عميقة في تلك الاقاليم الثلجية العذراء وقد افتتن الجميع بهذه المعاملات الحرة في حكومة روسيا التي عرفت بتقيداتها المشهورة

واهدى الشورى التتري الاعلا الى الجنرال سمه نوف وساماً اسلامياً مرصعاً واهدى لي ايضاً حمائل اسلامية خضرآء . ولاشك بان الرجل الذي عاش في الادوار القيصرية ويشاهد هذه الادوار يظن نفسه في تركيا تقريباً .

والاغرب من ذلك كله ان هذه الاعمال قد فتن بها الروس انفسهم . ولا اريد بذكر هذه الحوادث من مقصد سوى اظهار حقائق اوشكت ان يسدل عليها ستائر الخفآء ويسحب عليها اذيال النسيان ولدي مقادير وافرة من الادلة والحقائق الراهنة بهذا الصدد ، لاأرى حاجة الى ذكرها تفصيلا لانها

خارجة عن موضوعنا . ولهذا قد اكتفيت بايراد هذه النبـذة لتبقى في ذاكرة القرآء الكرام .

اخذت الحالة تتحسن شيئاً فشيئاً بنسبة ما ينال الجيش الروسي من الانتصارات الباهرة بتوالي الايام . وابتسمت ثغور الامة ولمعت اعينهـا بالآمال السعيدة . وبدأت الاشاعات تدور فى جميع مدن روسيا الرئيسية بل وفى اوربا كلها حول وراثة التاج القيصرى الروسي بصورة جدية . واجمع الكل تقريباً على ترشيح الغراندوق « نيقولا نيقولايه ويج » للعرش الروسي . واصبح من المحقق سقوط الحكم البلشفى في روسيا . وصار الجميع ينتظرون بكل شوق اعلان تتويج عاهل ديمقراطى لحكومة روسيا الدستورية

بلغت انتصارات الجيوش الروسية البيضآء الى هذا الحد والقائد كولشاك وغيره من الامرآء الروس باقون عند عهدهم الذي قطعوه لشعوب روسيا عند تأسيس الحكومة القانونية . وهو منح الادارة اللامركزية الواسعة لجميع الاقوام التابعة للقيصرية السابقة . وكانت جميع تصريحات القائد كولشاك في مجلس الامة تؤيد هذه العهود بصورة لاتقبل الشك . ولهذه الاسباب فقد كان جميع الاقوام التي تتفيأ ظل العلم الروسي يساندون حركات الجيش الابيض بكل قواهم ، مادة ومعنى . واشدهم فى هذه المؤازرة هم التاتار فقد كانت لهم همم تشكر ، واعمال باهرة تذكر ، وبينما كانت الافكار فى هذا الاتجاه ، وبينما كان الجميع يترقبون حصـول الظفر النهائى ، واذا بالجنرال دنيكين قائد الجيش الجنوبي والذي صار على ابواب موسكو ينشر منشوره السياسي المشؤوم فى احرج الاوقات . وكان ثملا بخمرة



الجنرال بارون « ورانكل » القائد العام للجيوش الروسية الجنوبية

النصر . فذكر فيه ان الحكم فى روسيا المستقبلة يكون كالسابق . ولا يسمح لاي احد بادارة ممتازة او لامركزية او غيرها . وانه متحد مع جيشه ويسعون جميعاً لاحياء روسية المطلقة المعظمة وتثبيت اركانها ، وان رفقاءه القواد البيض هم في الحقيقة على هذا الفكر تماماً الا انهم لم يصرحوا به . . . الى غير ذلك من العبارات التي وقعت وقع الصاعقة على الملل غير الروسية ، التي كانت تحارب مع الجيش الروسي ضد البلاشفة والتي كانت تؤيد حركات الجيش الابيض تأييداً كاملا . وقد انتج هذا البيان المؤلم اضطراباً عظيما فى الجيوش وبدأ الشقاق والتفرقة . فاول من خرج على الجيش الابيض هو القائد « بتلورا Petlur » الاوكرانى الذي كان يحمي مؤخرة جيوش القائد دنيكين ، فانه صوب سلاح جنده الى جيش دنيكين واخذ يضربه من خلفه وثارت جميع مقاطعة اوكرانيا على دنيكين بناء على هذا البيان . وصادف فى ذلك الحين عقد الصلح بين البلاشفة وبولونيا . وبحدوث هذا الاختلال فى الداخل انقطع أخط الرجعة على دنيكين وجنوده من قبل « بتلورا » اما البلاشفة فانهم نقلوا على جناح السرعة جميع جيوشهم من جبهة بولونيا الى جبهتي سيبريا وجنوبي روسية فادى ذلك الى انقلاب تلك الانتصارات الباهرة الى انكسارات شنيعة باقرب وقت . فافلتت موسكو من الايدي واستولى البلاشفة على جميع المناطق الواسعة التي احتلها البيض بجهود عظيمة وتضحيات مدهشة واضاع جيش دنيكين بهذه الخطيئة السياسية المؤلمة جميع ما احرزه من الظفر وتقهقر الى القريم والقفقاس كما كان في اول عهده فاضطر دنيكين

الى تسليم زمام القيادة الى الجنرال بارون «فرانكل Wrange» وذهب الى لندن ليقيم هناك .

اما هذا القائد المشهور بالدهاء والدراية فانه سعى الى الائتلاف مع بتلورا قبل كل شيء . وبهذه الواسطة تمكن من ايقاف حركات البلاشفة نوعاً ما وكانت العلائق بين روسيا البلشفية وبين بولونيا قد توترت واصبحت الحرب بينهما قاب قوسين او ادنى فانتهز فرانكل هذه الفرصة واعاد الانكسار الى انتصار بمدة قصيرة وبدأت الآمال الذهبية تنمى من جديد . ولكن البلاشفة قد اتكأوا باكثر قواهم على جبهة سيبريا وصمموا على استحصال النتيجة القطعية منها ولم يرجعوا القطعات الحمر التي كانوا نقلوها من جبهة بولونيا وعبوها في جبهة سيبريا بل انهم قاموا بالهجوم على طول الجبهة باسرع مايمكن . ولكي تخف الوطأة على جيش سيبريا فان فرانسة ساعدت الجنرال فرانكل مساعدات كلية ليقوم بحركات حربية من الجنوب فيساعد قوات كولشاك فضلاً عن مساعداتها العظيمة لكولشاك مباشرة . وكانت الغاية من مساعدات فرانسة هذه منحصرة في حماية بولونيا وحفظها من غارات البولشفيك والدليل على ذلك ان المعاونة الافرنسية انقطعت عن فرانكل على اثر عقد الصلح بين البلاشفة وبولونيا .

دخلت سنة ١٩٢٠ وكانت اوضاعنا الحربية بصورة لانحسد عليها فقد اخذ الفساد يظهر في القلب (المركز) وينتشر الى الميمنة والميسرة وتكاثرت الرزايا والنحوس ؛ منهاـ هيان القائد دنيكين ومنها ظهور احوال سيئة جعلت حكومة كولشاك المركزية بهيأة العوبة ، اضف الى ذلك

حشد الجيوش البلشفية بكثرة في جبهة سيبريا فان جميع هذه المصائب جعلت جيش كولشاك في موقف رهيب . ولم يكن لينقطع دابر التشاحن والتنابذ بين الرؤساء حتى في هذه الاوقات الحرجة فقد كان احدهم ينظر الى الآخر شزراً وكل منهم يرى نفسه ارفع من غيره واكبر من سواه واود ان آتي بمسألة جوهرية كانت السبب الاوحد في فشل الحركات الحربية في سيبريا واليك هي :

كانت بعض اغراض وحزازات سابقة بين الجنرال « لبه‌ده‌ف Lebedef » رئيس اركان الحربية العام لجيش سيبريا (وهو غير لبه‌دف رئيس الوكلاء) وبين الجنرال « غايدا Gaida » قائد الجيش الشمالي فلم تطب نفس لبه‌دف من الانتصارات التي احرزها غايدا فاخذ يسعى لدى القائد العام لاسقاطه وجعل يبحث دائما عن ظلمه وقسوته واتهمه بالاشتراكية المفرطة والح بوجوب عزله وابداله بغيره فلم يسع كولشاك الا الاذعان لمطالب لبه دف نظراً لاعتماده الشديد عليه . فطلب حالا من القائد غايدا ان يحضر الى مقر القيادة العليا ولما حضر الى هناك صدرت الاوامر بعزله ونصب قائد روسي آخر بدلا منه . والحال ان الجنود التي كان يقودها غايدا متألفة في الغالب من قطعات القوم المسمى بالـ (چه) ولما طرق سمع غايدا هذا الخبر في المقر الاعلا ؛ عدل عن مقابلة كولشاك ورجع على الفور الى رأس جيشه ولما اتاه القائد الجديد اهانه اهانة شديدة وارجعه من حيث اتى فازداد الامر اشكالا وتعقيداً وغضب القائد الاعظم من هذه الاحوال وركب بقطاره الخاص من ساعته وذهب الى مقر قيادة الجيش الشمالي واجتمع بغايدا فاوضح له

الاخير تطورات المسألة بتمامها ولكن القائد لم يزل مصراً على رأيه السابق . وغايدا مصر على عدم ترك قيادة الجيش !... وكان آخر كلام لغايدا انه قال مخاطباً القائد العام : ان ورائي ٨٠ الفاً من الحراب تؤيدني بصدق ايها القائد المحترم ! ولكم ان تعملوا ما تشاؤون !) ولو كان غايدا يقبل الانفصال بطيب خاطر . لاختل النظام في الجيش الشمالي تماماً . لان الجنود الـ (جه) لا يرضون بأن يقودهم رجل روسي . اما القائد العام فلم يكن يعبأ بهذه الحالة الخطيرة . بل انه رجع الى مقره فى اومسك واصدر امراً عالياً بطرد الفريق غايدا من الجيش الروسي الابيض وحرمانه من الرتب والاوسمة نظراً لعدم اطاعته لاوامر القيادة العليا . كل ذلك لكى يرضى (لبه دف) ولا تسل عن التأثير السىء الذي احدثه هذا الامر في نفوس افراد الجيش الشمالى من الـ (جه) وضباطهم وقوادهم . اما القائد غايدا فلم يشأ ان يستمر فى البقاء في منصبه بل تركه الى جنرال آخر من الـ (جه) يدعى الجنرال (صيره فوي Sirowoy) واستصحب معه مفرزة من جيشه وركب قطاراً مدرعاً اقله الى ثغر ولادي فستوك بعد ان مرمس مدينة اومسك . بقصد الذهاب الى امريكا . وبعد ان اصيب غايدا بهذه النكبة بدون حق بدأت خيانة جنود الـ (جه) للجيش الابيض . فسلمت ولاية بيرمي التي زهقت لاجلها الوف من النفوس والاموال ؛ الى البلاشفة بمثابة اول قسط من الاعمال وبهذه الصورة اصبحت ميمنة الجيش الروسي في سيبريا تحت الخطر الشديد ..

اما غايدا فانه التقى اثناء سياحته هذه بقسم مهم من الاشتراكيين المعتدلين ودبر معهم المكائد ضد كولشاك . ولما وصل الى ولادي فستوك اخذ ينشر المناشير العديدة ضد كولشاك ولم ينزع الاوسمة الروسية ولم يكترث بأوامر كولشاك .

وقد ابلغ والي البلدة وقائدها الجنرال « رازانوف Razanoff »نص اوامر كولشاك التي مر ذكرها الى غايدا ولكن غايدا حنق على هذه الاعمال واحدث ثورة في المدينة بمساعدة افراد ال « جه » الاحتياطية . ودامت القلاقل نحو ٤٨ ساعة . الا ان السكون اعيد الى نصابه بعد هذه المدة بهمة الوالي « رازانوف » وقائد الاستحكامات الجنرال « وريكو Werigo »فاضطر غايدا الى ترك اراضي روسيا والالتجاء الى احد السفن الحربية الاجنبية الراسية في الميناء ، وقد نكل بالثائرين وساد الهدوء في البلدة . ثم توارد الاخبار بان غايدا وصل الى امريكا ومعه مقدار كلي من الليرات الروسية . ثم اعلن ديوان الحرب العرفي لحكومة سيبريا انه اتهم الجنرال غايدا بسرقة اموال عظيمة وانه هرب الى امريكا واخذ معه ٨٦ الف ايمبريال[imperail] [وهي سكة ذهبية تساوي ١٥ روبلة اونحو ٢٨ روبية] .

اعلنوا هذا ولكن بعد خراب البصرة وفوات الفرصة . ولنعد الان الى ذكر حركات الجيش الشمالي فنقول :

اظهر الـ « جه »المستاؤون من هذه الاحوال ،وقطعات الجيك الصقالبة عدم رغبتهم في الحرب بصورة قطعية وطلبوا ارجاعهم الى اوطانهم لان

حكومة « جهستان » كانت آنئذ متأسسة . وقد وافق كولشـاك بناء على تنسيب المندوبين السامين المحلفاء على سفر هؤلاء القطعات وذهابهم الى اوطانهم بطريق البحر . وبدأت القطارات بنقلهم الى خلف الجبهة. وعبي فى الجبهة الشمالية فيلقا احتياطيا ضعيفاً للغـاية وتوقفت بعد هذا جميع الحركات التعرضية لجيش سيبريا . اما البلاشفة فانهم انتهزوا فرصة هذا التوقف وحشدوا جميع ما باستطاعتهم من قوة فى هذه الجبهة . وقد احدث نقل الجنود الـ « جه » فى هـذه السـاعات الخطيرة الى مؤخرة الجيش الابيض تأثيراً سيئاً فى معنويات المحاربين البيض . وقام البلاشفة على اثر ذلك بمانورات عسكرية مدهشة فى تلك المنطقة الضعيفة وتمكنوا بسهولة من اجراء عملية الالتفاف حول ميمنة جيش كولشاك وقلموها من ارض اوروبا ورموا بها الى آسيا وتسنموا ذرى جبال اورال الشهيرة فاحدث عملهم هذا الهرج والمرج في جميع دوائر حكومة كولشاك . وفي تلك الاثناء كانت الحالة السياسية للبلاشفة آخذة في التحسن تدريجاً فقد تمكنوا من عقد اتفاقيات منفردة مع كل من حكومة بولونيا وفنلانديا واوكرانيا ولتيوانيا ولاتوياواستونيا تلك الحكومات المنفصلة عن روسيا القيصرية السابقة ثم اعلنوا « العتق العام » لمسلمي روسيا قاطبة وصرحوا باعطاء الاستقلال التـام الناجز ـ لا اللامركزية ـ لجميع الامم. وقدصودق على هذه البيانات والقرارات من قبل المؤتمر الاشتراكي الدولي الثالث الذي عقد في موسكـو وهـذه المقررات والتصريحات هي التي اوقعت الحكومة القانونية فى سيبريا في ورطة يصعب النجاة منها وشوشت عليها اوضاعها السياسية والحربية .

ثم اعقب ذلك قيام كولشاك فى المجلس الوطنى فى اومسك وقد قال فى خطبته هناك انه سيمنح اللامركزية (مختارية الادارة) لجميع شعوب حكومة روسيا ولكن هذا المنح يكون بعد ان تطهر البلاد الروسية من البلاشفة تماماً . فلم يكد يكمل كلامه هذا حتى قام ٣٣ نائباً من النواب المسلمين وتركوا المجلس وصاح احدز عمائهم المدعو « ذاكروليدى » نائب باشقردستان وقال مخاطباً كولشاك :

« عزيزى الاميرال : ان البلاشفة يعطونا الاستقلال وقد اعطونا اياه الآن نقداً . واصبحنا نحن الامم الضعيفة فى اسواق المزايدة السياسية ، فكل من يدفع لنا ثمناً اكثر نذهب الى جانبه . وان الجنرال دنيكين قد باغتنا بتصريحاته المعلومة قبل ان يحرز الظفر النهائى وقبل ان تعاد القيصرية لروسيا فماذا تكون حالنا ياترى اذا تم الامر غداً ونصب لروسيا قيصراً دستورياً او مستبداً ؟ هل ترى يعلقنا بالحبال ام يغلنا بالسلاسل ؟ ومن يضمن لنا بان افكار دينكين وتصريحاته ليست مقتبسة من هنا ؟

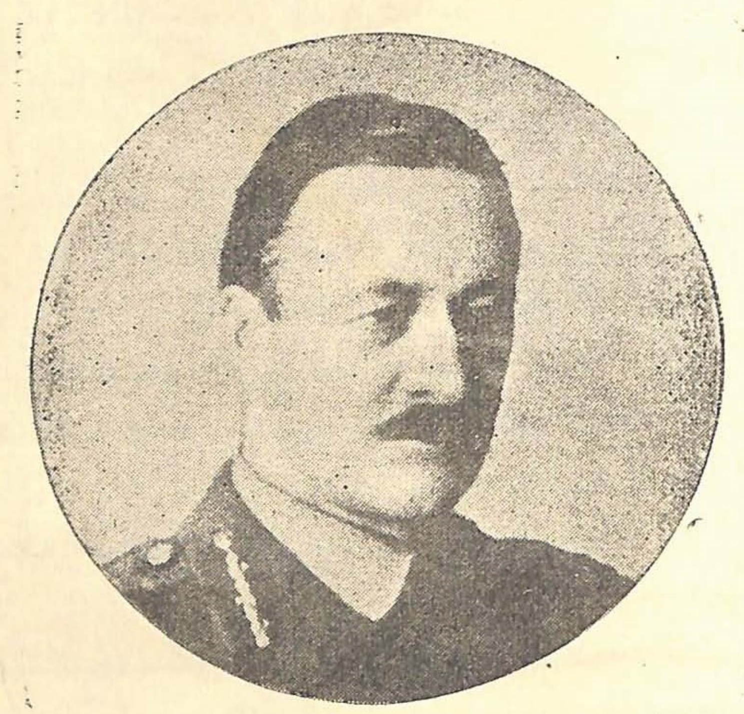
والسبب فى ذلك ان جيوشنا وان كانت قد احرزت بعض الظفر فى طريقها الى موسكو وبرج بطرس الا اننا لم نصل بعد الى الظفر النهائى . فقبل ان نصل الى النتيجة القطعية اخذتم تعلنون فى مجلسنا وانتم ثملون بخمرة النصر بانكم سميتم الاستانة بـ « جارغراد » بدون ان تراعوا عواطف النواب المسلمين الذين هم فى المجلس وعددهم ثلاثة وثلاثون شخصاً وبدون ان تجتنبوا ما يمس بشعائرهم الدينية . ولم تقف بكم القضية عند هذا الحد بل تجاوزتم الى التصريح بانها ستكون عاصمة لروسيا فى المستقبل القريب لا محالة . فكيف يسوغ لنا نحن المسلمون ان نثق بكم وباقوالكم .

« ايها القائد ! اننا لسنا عثمانيين . ولكنا وان كنا مرتبطين بكم رسمياً الا انى اصرح لزملائى النواب الكرام بكل جسارة وفخر باننا معاشر مسلمى روسيا من تتر وقيرغيز وباشقيرد وغيرهم نود من صميم قلوبنا نجاح الحكومة العثمانية وفوزها وبعد ذلك نطلب لانفسنا الاستقلال . لاننا على يقين تام بان نجاحنا هنا وظفرنا نحن المسلمون متناسب طردياً مع قوة حراب العثمانيين وشدتها .

« ايها القائد ! من المحال ان يتفق الاسد والقط يوماً من الايام ويذهبا الى الصيد بصورة مشتركة . لان الاسد اذا كان شبعاناً فانه يستخدم الهر المسكين فى قضاء حوائجه بصفة خادم حقير واذا جاع الاسد فان الهر سيكون اول لقمة تدخل فى فم سيده الاسد ولذلك فانى استميحكم العذر ايها القائد ! » ...

وبعد ان اكمل الخطيب كلماته هذه قام ايضاً خمسة عشر نائباً من المونغول والبوريات وخرجوا من المجلس وذهبوا تواً الى البلاشفة وقد صار ذاكر وليدى رئيساً لجمهورية باشقردستان السوفيتية فيما بعد . ولما احس الحلفاء — الذين يراقبون الامور عن كثب — بادبار كولشاك وتقهقره مادياً وادبياً اعلنوا قطع الامداد عنه بصورة رسمية وقرروا الجلاء عن الارض الروسية بطريق المشرق الاقصى هم وجنود الـ « جه » .

وهكذا اخذ الجيش بالتقهقر والانسحاب فى جميع النقاط بناء على عوامل واسباب شائنة منها خطيئات قوادنا السياسية ونزقهم وطيشهم ، ومنها ركض الامراء والرؤساء خلف المنافع الذاتية والاغراض الشخصية ، ومنها اشتغال رؤساء الوحدات الكبيرة بنصب الحيل والدسائس بعضهم لبعض وعدم اطاعتهم وانقيادهم لاوامر مافوقهم ، ومنها الاعتراضات التى تقاطرت من الخارج ، ومنها واهمها انقطاع الامداد والمساعدة من الحلفاء الذين يئسوا من صلاح



الجنرال « نوقس » قائد القوات المعاونة الانكليزية فى
سيبريا والمندوب السامى لبريطانيا العظمى في « اومسق »

الحالة فسافروا بقضهم وقضيضهم وتركوا الديار خاوية على عروشها ، ومنها ترك النواب المسلمين لمجلس كولشاك وارتمائهم فى احضان البلاشفة ...الخ .

ترك جيش سيبريا جميع ارض اوروبا الروسية وتراجع الى قارة آسيا اما الجيش الجيك الصقلبي الذى امتلأت صدور افراده غيظاً وحقداً فانه قد تواطأ اثناء رجعته مع البلاشفة على ان يهدد خط الرجعة لجيش سيبريا بان يسيطر على سكة سيبريا العظمى التى هى للجيش بمثابة الروح من الجسدوقد فعلوا ذلك . ولهذا فأن جبهة الحرب لم تقف عند جبال اورال اوفى حدود آسيا بل صارت على مقربة من مدينة اومسك . فاخذ الهياج والخوف من الاهالى مأخذها وبدأت سيول المهاجرة والجلاء تتدفق علىالسكك الحديدية والطرقبصورة تهدد حركات الجيش ونقلياته . فاضطر كولشاك الى التصريح فى مجلس الامة بانه سيقاوم العدو دون اومسك اشد المقاومة . وانه سوف لايقصر فى مساعدة الامة ومنحها حرياتها كاملة . وانه سيجمع المجالس التشريعية الروسية باسرع مايمكن . واذا لم ينل ثقة الامة فانه مستعد للتنازل لمن يرون فيه الكفاءة اياً كان . وانه سيدحر البلاشفة ويكسرهم شر كسرة وانحي باللائمة علىجيوش الحلفاء الذين قطعوا عنه المساعدة واخذ ينسحبون بقصد الجلاء عن سيبريا والرجوع الى بلادهم ...الى غير ذلك وارادكولشاك فى تصريحاته هذه عطف هزيمة جيشه الى الحلفاء ضمناً ولهذا بادر الجنرال « نوكس » قائد الحملة الانكليزية ورئيس المجلس الحربى الى‌ان يعلن فى‌جرائد اومسك مايأتى :

« ايها الشعب الروسى ! ان الحلفاء اليوم لا يزالوا ثابتين على الغاية التى من اجلها قصدت جيوشهم هذه البلاد فان سياستنا تجاه روسيا لم تتبدل ولن

تتبدل ابداً . ولا يجب ان تفتروا بل اطلبوا المعونة لانفسكم من انفسكم ، وها نحن نعلن الان كما اعلنا سابقاً بان لا علاقة لنا البتة بحروب روسيا الداخلية وثوراتها . واننا نعلم ان هناك روسيا واحدة . وانتم المكلفون برفع الاختلافات السياسية من بينكم وبتأليف حكومة يرتضيها العموم ! وليس لاى دولة اجنبية ان تتداخل بشؤونكم الداخلية ونحن لم نأت الى هنا لامحاء البلاشفة وتقويتكم عليهم . ولا يجب ان تعتقدوا ذلك . وانما اتينا الى هنا لتأمين الحق والعدل بصفة كوننا حلفاءكم . واليوم فقد قضت الظروف السياسية بان نترك هذه الديار ونترككم احراراً فى امر البت بمصيركم ونسأل الله ان يهديكم الى مافيه الخير والصواب . فهذه كانت امانينا تجاهكم سابقاً ولاحقاً واولاً واخراً . ونهدى تحياتنا العاطرة الى جميع الامة الروسية ، ونشكرها باسم القوى المساعدة على ما اظهرت تجاهنا من رقيق المجاملة واكرام الضيف ! » .

وقد اثرت هذه البيانات المهيجة تأثيراً مدهشاً فى الجمهور فاشتدت الفوضى والقلاقل اما الجنرال نوكس فانه ترك اومسك عقيب هذه الاذاعة وسافر هو وهيأة اركان حربه الى المقر الاعلى للحلفاء فى مدينة ولادى فستوك .

ولما كانت معاهدة الصلح بين البلاشفة وبولونيا قد تم التوقيع عليها ، فقد باشر البلاشفة فى نقل جيوشهم الى جبهة سيبريا وتمكنوا فى خلال الاربعة اشهر التى انقضت بالتشويش والاضطراب ؛ من حشد ٢١ فيلقاً مجهزاً فى جبهة سيبريا وحدها ثم بدأوا بالهجوم التام من جميع النقاط وكانت الشدة فى جهة الخط الحديدى وباستقامة مدينة اومسك . فلم تصبر جيوش كولشاك على هجوم البلاشفة . فحوصرت اومسك وشدد النكير عليها فاضطرت حكومة كولشاك

الى اخلائها ونقلت الحكومة الى « نيونيقولايه فسك » ولما قهر الجيش من جهة الشمال بصورة شنيعة نقل المقر الاعلى الى طومسك . اما الجيش الاحمر فانه يتقدم دائماً ويسوق امامه جيش كولشاك من جميع النقاط . وقد ذكرنا قبل هذا الاسباب والعوامل الجوهرية لتدهور البيض ونريد ان نذكر الان بعض العوامل الحربية للانكسار فنقول :

ان هذا الانكسار ناشئ عن تشوش ميمنة الجيش من الشمال حيث كان الجنرال « يوده نيج » وعلى الاخص ما كان من امر غايدا . وعن تقهقر دنيكين من الجنوب . وانكسار الجنرال « كالهدين » على امتداد نهر دون . وعن هزيمة الجنرال « دوتوف » فى مناطق اوزال . وغير ذلك من الجيوش المغلوبة ولا يجب ان نهمل حركة البولونيين وعقدهم الصلح مع البلاشفة بقصد انزال الضربة على الجيوش البيض لانهم احسوا بقرب الزمن الذى تبعث فيه روسيا من مرقدها وتحيا من جديد وهذا الامر يضر بمصالح بولونيا اشد الضرر .

وقد احس بالشر قواد جيوش الحلفاء المساعدة ومندوبوهم السامون لدى حكومة سيبريا ففكروا قبل كل شئ فى امر جلاء جيوشهم ورعاياهم فقرروا النزوح الى سواحل المحيط الهادى بكل سرعة وليس لهم من طريق سوى سكة حديد سيبريا العظمى وكان عددهم من ملكيين وعسكريين — باضافة مقادير الجيش الجيك الصقلبى — ما يربوا على ٢٠٠ الف . وكانت جبهة الحرب آنئذٍ ممتدة من السفح الشرقى لجبال اورال الى استقامة نهر اورال ونهر اوبى . وكان طول خط سيبريا العظيم من اورال الى ثغر ولادى فستوك اكثر من سبعة آلاف كيلو متر وهو مثنى من الغرب حتى ايركوتسك . ومن هنا

الى ولادى فستوك مفرد . فيجب هنا ان نلاحظ الصعوبات التى تعتور النقليات المستعجلة على هذا الخط ولو بصورة اجمالية :

نرى فى الجبهة جيشاً قوياً منتقماً يطارد جيشاً مفلولاً بكل قواه ويسوقه الى الوراء بصورة مستمرة . ونرى من جهة اخرى مايزيد على ٢٠٠ الف رجل مابين ملكى وعسكرى يحاولون الاسراع بالذهاب الى ثغور المشرق الاقصى بقضهم وقضيضهم ومع ذلك فكان من الضرورى نقل الارزاق والذخائر الى افراد الجيش المفلول الذين لايقلون عن ٥٠٠ الف ، من جهة المشرق الاقصى ولهذا فكنت تشاهد المحطات الملكية والعسكرية الكائنة على سيبريا مملوءة بالقطارت الآتية من المشرق الاقصى والذاهبة الى هناك وكلها مشحونة بالسلاح او بالذخيرة او بالحيوانات او بالارزاق او بالبشر . كما انك تشاهد فى كل محطة مقداراً غير قليل من الموظفين المنسوبين لجيوش مختلفة من المديرين الى القواد الى مأمورى السوق وغيرهم . وترى كل فرد منهم مهتماً بما يخص وظيفته وكل منهم يسعى فى تسفير قطاراته قبل غيره ويصر على ذلك .

ونجد افواج القطارات ممتدة على طول السكة ، من قطارات المهاجرين الى قطارات المرضى والجرحى ، الى قطارات الجنود الاحتياطية الى قطارات الارزاق والذخائر ... الى ... الى ... وكلها ذاهبة آيبة بلا انقطاع . ومع كون الارض ارض روسيا والسكة والقطارات ملكها فان قطارات روسيا كانت تسير بارداً حالة . حتى كأن التعاسة لم تكفهم حتى اضيفت لهم قطارات الاسرى الحربيين من المان ونمساويين وعثمانيين فان هذه القوافل تنضم الى كراديس البشر والحيوانات فى مختلف المحطات وتختلط بهم — (الا انى لم اقصر فى معاملة قطارات الاسرى العثمانيين فانها بعد ان تجتاز اومسك كنت اوصلها بسرعة

وسلامة — بناءً على منزلتى فى المشرق الاقصى وقوة الفرقة التى اقودها — الى ثغور المشرق الاقصى ومن هناك تسافر الى بلاد اليابان برفاه وامان تامين واظن بان خدماتى هذه منقوشة فى قلب كل اسير عثمانى مر من تلك الديار) —

وفى تلك الاثناء قلت الارزاق والمواد الغذائية فى المحطات واصبح الاهلون على ابواب القحط والمجاعة فكأن جيوش الحلفاء قدوضعوا برجوعهم حجراً فى اساس القحط فى روسيا . وقد آلت حالة التكاليف الحربية الى الضرب والنهب والجبر والغصب . اما جيوش الحلفاء فلم تأت بما يضر الروسيين ابداً اثناء رجوعهم ولم يأخذوا شيئاً بدون ان يدفعوا ثمنه تماماً وكانوا يؤمون المشرق الاقصى بسرعة وسكون تامين . ولم يسمع بانهم تسلطوا على الاعراض ابداً . وكانت اطوار الجيش الانكليزى فى هذا الباب مما يشكر عليها فقد احرز الاولية فى هذه الشؤون . هذا ما كان من امر هؤلاء .

واما ما كان من امر قطعات الجيش الجيك الصقلبي فان شناعاتهم لا ينساها الروس ويتذكرونها بعد الف عام . لا رأت العيون فان القطارات التى تحمل جيوش الـ « جه » التى ملئت قلوبها بالحقد والانتقام بناء على الحوادث المعلومة لم تقصر فى اجراء ما تشمئز منه النفوس من الرذائل فقد ارتكبوا ضد امهم روسيا انواع الشناعات والجنايات . ودنسوا الشرف الروسى بانواع الشوائب ولطخوا مجده بوصمات لا تمحى مدى الدهر .

وكل روسى يرى هذه الشناعات او يسمع بها فانه لا ينساها الى يوم الحشر . وبصفتى ذا علاقة بهذه الامور وكونى قائداً مطاع الكلمة اقول : لو لم يكن الجيش الجيك الصقلبي لكنا غلبنا البلاشفة منذ زمن بعيد . فان الـ « جه » كانوا العامل الاوحد فى تقهقر الجيش الابيض وانكساره ، وسقوط كولشاك واعدامه ، وجعل

الحكومة الروسية عرضة للنهب والتمزق .

واني اشبه روسية القديمة هنا بعقرب هزمة سامة . والمشهور لدى العوام ان العقرب اذا حملت وآن اوان ولادتها فان افراخها يأكلون ما في بطنها من الاحشاء بصورة تدريجية حتى اذا اكملوا عملهم هذا يبقرون بطن امهم ويظهرون الى الخارج وبهذه الصورة يقضون على حياة امهم ليحيوا هم : فكذلك روسيا ؛ فانها بينما كانت تسعى لاستقلال العناصر الصقلبية الاخرى واذا بها ذهبت ضحية لها : ولذلك فليت العيون ترى ماذا فعل الـ « جه » الذين هم احد العناصر الصقلبية التي كانت روسيا تسعى لاستقلالهم ؛ بامهم الحنون ؛ بروسيا التي ذهبت فداءً في سبيل سعادتهم . لبت العيون تنظر ما فعل الجيش الجيك الصقلبي بالشعب الروسي الذي اضحى منهوك القوى ، معلول الجسد ؟ فلقد مزقوا جلده وارتكبوا من الشناعات والفضايح . واقترفوا من الذنوب والمآثم بصورة لا يكاد يصدقها العقل !

لم تكن قطارات الـ « جه » لتعبأ باوامر القيادة الروسية في المحطات وغيرها او ان تكترث بالنظم الروسية او ان تهتم بتعاليم موظفي الامن وغيرهم . وعندما يصل القطار الى محطة ينزلون منه ويجمعون الاهالي ويكلفونهم باحضار الطعام والشراب كأنهم في بيوتهم او ان الارض ارضهم والرعايا رعاياهم ! وقد وصل بهم الجشع الى درجة انهم اخذوا ينهبون جميع ما في المخازن العسكرية من الذخيره العائدة الى الجيش المحارب ان وجدوا الى ذلك سبيلا . وليتهم اخذوا ما يكفيهم وتركوا الباقي للمحاربين المساكين ولكنهم كانوا يأخذون كفايتهم ويحرقون الباقي لكيلا ينتفع به الافراد الذين يتقهقرون من ساحات القتال بصورة تتفتت لها الاكباد وتبكي لها القلوب دماً . اتريدون اكثر من ذلك ؟

ولا اظن ان وجدان البشر يتحمل ذلك : ان القطارات التى تقل هذه الطبقات الشريرة اذا وقفت فى محطة او بلدة فانهم يختطفون قسما غير قليل من الفتيات الروسيات ويقودونهن مكرهات صارخات -- بهيأة السبي — الى عربات الركوب ويصعدونهن بقوة السلاح الى القطار واذا ماتبعهم اولياؤهن عمدوا اليهم وربطوهم خارج العربات واذا تحرك القطار فلا تسل عن حالة هؤلاء المربوطين البائسين فانهم يظلون تحت العجلات ويموتون شر موتة عرفها البشر . اما هذه الفتيات المسكينات فانهن ينقلن من عربة الى عربة وبعد ان يقضى الجميع وطراً منهن ترمى جثثهن بصورة وحشية من القطار الى الارض وقد ثبت بالاحصائيات الصحيحة ان ما يربو على عشرة آلاف جثة امرأة قد جمعت من الطرق التى رجع منها الجيش الجيك الصقلبى فى مدة لا تتجاوز الخمسة اشهر ! ! ... وهذا مالا يجب ان يعمله الاشخاص الذين ينتمون الى دين واحد وعنصر واحد ويتكلمون بلغة واحدة تقريباً . مهما كان بين الطرفين من الاحقاد والضغائن والخلاف .

لا يزال البعض يطلق كلمة (الوحوش) على بعض اقوام آسيا او افريقية وعلى الاخص على الاقوام غير الاوروبية . ولكن الذى رأيته بعين رأسى من الجنايات التى يتقطع لها القلب اسىً والاعمال الوحشية التى تقشعر منها الابدان لا تقدم على ارتكابها حتى الوحوش الكاسرة والسباع الضارية فضلا عن الامم المتمدينة او غير المتمدينة . ولهذا فلا ادرى باى صحيفة او فصل نقيد اعمال الـ « جه » الاوروبيين ؟ افى صحف الهمجية ام فى فصول المدنية ام فى غيرها ؟ اسف ثم الف اسف ... وقد كان البوليس الروسى والشرطة الروسية تمانع ضد هذه الاعمال فى كل حدب وصوب . الا ان ممانعاتهم هذه لم تجد نفعاً واذا

اصروا على ذلك فان سلاحهم ينزع من ايديهم ويوجعون ضرباً ، لان رجال الامن فى جميع الممالك محدودو العدد . وكان يرد كل يوم مالا يقل عن خمسة قطارات عسكرية الى كل محطة وتحمل ٢٠٠٠ الى ٣٠٠٠ جندى على اقل تقدير وكلهم مجهزون بالسلاح والعتاد فهل يا ترى يمكن ان يردعوا عن شهواتهم بقوة من البوليس متألفة من ٥٠ او ٦٠ رجلا ؟ لا بل هل تؤثر عليهم سرية من الشرطة ؟ مع ملاحظة ان جميع رجال الامن كانوا من الافراد المستحفظة الذين يتراوح سنهم بين ٥٠ و ٦٠ سنة . ولهذا فلم يكن فى وسع الروس ردع الـ « جه » عن ارتكاب المظالم عند الحاجة .

نعم ! انهم كتبوا الى كولشاك وابرقوا الى وزير الحربية ولكن هيهات ... من يقرأ ومن يسمع فى مثل ذلك الزمن الرهيب ؟ ؟

وكان يمر كل يوم افواج من القطارات الى جهة الشرق بدون ان يعلم لها رقم او اسم او ترتيب والاهم من ذلك كله هو وجود جبهات الحرب الا انها — ويا للاسف — كانت بالنسبة الى هذه الاعمال الوحشية والهمجية تعد فى الدرجة الثانية او الثالثة .

ولم يكن فى وسع الحلفاء الوقوف امام هذه الشناعات وصد تيارها لانه يجب لاسعاف اى شكاية ضد قطار عسكرى ؛ ان يستشار فى ذلك قائد الجند الذى يعود اليه ذلك القطار . اذن فاسعاف امثال هذه الشكايات يستدعى زمناً غير قليل وحيث انه لا يمكن ان ينتظر القطار طول هذه المدة فى محطة واحدة فلذلك اصبح من المستحيل اتخاذ اى تدبير عقابى تجاه القطارات وراكبيها . ولم يلاق المشتكى غير التوجع والتألم ! .

وهنا يصح المثل السائر « الربان من انقذ سفينته » فما اشبه تلك الاهوال

ماهوال المحشر ؟ من يسمع الشكاوى ومن يتالم للفظائع ؟ وكل مشغول بنفسه ويود الحصول على جهة مأمونة بسرعة .

واذا تجاوزت القطارات منطقة بايكال الى الشرق فلم تكن لتتمكن من ان تأتى اى شناعة او فظاعة . ذلك لان تلك المناطق يسود فيها حكم الماريشال « سمه نوف » ذلك الحازم المدبر . وقد طرق سمعه ما يقوم به البغاة من الاعمال المنكرة فاتخذ التدابير الحقيقية فى حينها وبث الجند والحرس على طول المحطات والخطوط الحديدية لمنع اى تعد او منكر .

واذا القيتم نظرة على جميع المحطات الكائنة بين جبهة الحرب وبين مدينة ايركوتسك لما وجدتم موخز ابرة من كثرة ازدحام البشر . وكان اكبر ضربة على حركات الجيش ان القطارات التى كانت تسير الى جهة الشرق لم ترجع ثانية بل كانوا يعطلونها عمداً . وكان الانكليز اول من اخلى القطارات والعربات وسلمها الى ادارة السكك الحديدية . وهنا اذكر استطراداً ان الجنود البريطانية تركت ارض روسيا ولم يكن فى ذمة احدهم دانقاً واحداً لاى رجل . كما انه لم يسمع بانهم آذوا اى فرد مع انهم اقاموا فى سيبريا نحو سنتين ولم تقع اى شكاية ضد جندى انكليزى . على ان جيوش سائر الحلفاء لم ينسحبوا ويتركوا بذممهم ديناً لاحد ولم يؤذوا احداً اذية تذكر الا ان افراد الانكليز وضباطهم كانوا فى الطبقة العليا من كل الوجوه . وهكذا اعمال الجيش الشريف تذكر دائماً فتشكر . اما الذين تضررت منهم روسيا ضرراً فاحشاً فهم افراد الجيش الجيك الصقلبى خاصة . فان هؤلاء قد اشغلوا الوفاً من العربات ومئات من القاطرات (الساحبات) وعطلوها عدة اشهر عمداً لكيلا ينتفع منها الجيش المحارب ولكى يصعب على الجيش المتقهقر ان يتراجع بامان وراحة . وهؤلاء قد

انتقموا بعملهم هذا لقائدهم غايدا من الجيش الروسى شر انتقام ؟ وقد سودوا بذلك صحائفهم البيض ولطخوا اعمالهم الشريفة التى ادوها لروسيا فى بادىء الامر بشوائب يصعب رفعها وامحاؤها . والانكى من ذلك كله انهم لما فارقوا ثغر ولادى فستوك وركبوا البواخر لتنقلهم الى امريكا كانوا قد نقلوا معهم الوفاً من الفتيات المعصومات اللائى اختطفوهن من المحطات قسراً وكانوا قد وضعوهن فى الصناديق والاقفاص وبعد ان قضوا منهن وطراً بصورة وحشية ، وبعد ان نال الجميع منهن الكفاية رموهن فى البحر وهن حيات . ولو اردنا تفصيل هذه الفظائع لطال بنا المقام ولكننا اكتفينا بنقل هذه الفقرات المؤلمة .

كانت قطارات الحلفاء تعود الى الشرق بدون فاصلة او توقف ولكن قطارات الجيش الجيك الصقلبى كانت تتأخر هنا وهناك وربما توقفت عن السير عدة اسابيع او اشهر لاشتغال الجيش المذكور بالنهب والسلب . والذى يسترعى النظر والتفكر ان القطارات المذكورة لم تكن لتتجاوز مدينة ايركوتسك الى جهة الشرق ! بل كانت جميعها تتأخر فى ايركوتسك بدواع مختلفة . وهكذا احتشد فى ايركوتسك فى مدة قليلة ما يتجاوز ٣٠ الفاً من الـ « جه » بعدتهم وذخائرهم . وكان الجميع فى القطارات كانهم ينتظرون شيئاً . وهكذا اصبحت ترى فى محطة ايركوتسك ما يتجاوز ٢٠٥ من القطارات العسكرية وقد اشغلت جميع السكك الاحتياطية الكائنة فى المحطة .

لنترك هؤلاء بهذه الحالة ولنعد الى ذكر حالة الجيش الاصلى ؛ فان حالته الحربية واوضاعه اخذت تزداد سوءاً يوماً فيوماً ولم تصل اليه القطارات التى تنقل له الذخائر والارزاق من ثغور المشرق الاقصى بل كانت تهمل فى الطريق فيتناولها النهابون من الجيك الصقالبة او الاهالى الجياع او كانت تعتورها الاخطار



خاطرات القادري في ما وراء امور ١٩١٩ وكان برتبة زعيم حينذاك

فتصطدم ببعضها — سهواً او عمداً — وتتلف . وقد كان يجيء الى اومسك من الشرق اربع قطارات كل يوم ولكن فى الايام الاخيرة لم تعد تجيء اربع قطارات حتى ولا فى الشهر . ولهذه العوامل اخذت المؤن والذخائر تتناقص فى الجيش بصورة محسوسة ونفدت الانابير والمستودعات الاحتياطية بدرجة ان البلاشفة اذا اطلقوا علينا مئة طلقة فلم يكن فى وسعنا ان نطلق عليهم عشر طلقات . ودخلت القضية فى دور وخيم جداً . وارتفع الضجيج من قبل وزير الحربية . وقد اهتم لذلك الرئيس الشرعى وجمع فى مقر القيادة الاعلى جميع المندوبين السامين للحلفاء وشاورهم فى الامر وطلب منهم الامور التالية :

« افرغوا لنا الطرق والسكك ، وارجعو لنا العربات والقاطرات وافسحوا المجال لسير قطارات الذخائر الآتية من ثغور المشرق الاقصى هذا جل مقاصدى واذا لم تحل هذه المشاكل الثلاث فان جيشنا سيتمزق لامحالة . وفى وسعكم القيام بهذه الاعمال التى اقترحتها »

فاجابه المندوبون السامون للحلفاء بكل برودة واعتدال :

« اننا قد سحبنا جنودنا واودعنا القطارات والعربات لعهدة ادارة السكك الحديدية الروسية ولم يبق لنا اى ضغط على حكومتكم اما الذين عطلوا الطرق فهم الذين تقولون عنهم انهم يعرقلون حركاتكم الوطنية الا وهم ال « جه » فانهم هم الذين اشغلوا قسماً مهماً من ادوات النقل وعطلوها سهواً اوعمداً وسببوا اضراراً جسيمة للجيش الروسى وخاصة فى مثل هذه الاوقات الحرجة . وهؤلاء الجيك الصقالبة هم من عنصركم ولا نظن بانهم يطيعون كلامنا اكثر من اطاعتهم لكلامكم . وعلى الاخص فى هذه الادوار العصيبة » .

هذا ماقوبل به استغاثة الاميرال كولشاك فى ذلك الموقف الحرج . وهذا

هو الجواب البارد الذي رد به المندوبون السامون على صراخ الرئيس الشرعي وندبه . ولا شك بان من يطلع على هذه الاحوال يصدق بمنطوق المثل المعروف « لاصديق للمتدهور » .

هذا وقد تقطعت شرايين الجيش المبعثر وتمزقت اوردته ولم يعد الجيش العديم الذخائر يقاوم العدو . فاخذ يتقهقر من جميع نقاط الجبهة . وسقطت مدينة اومسك بيد البلاشفة اما الاميرال كولشاك فانه اعتراه اليأس والفتور وملت نفسه من هذه الاحوال المتعرجة المتعوجة . حيث انه لم تبق في الجيش لاقوة معنوية ولا قوة مادية . فالقوى الامدادية رحلت من سيبريا . ورجال الحكومة واعضاء المجلس التشريعي اخذوا ينسلون الواحد تلو الاخر ويفرون الى بلاد المشرق . وكل يفكر في مستقبله ويحاول انقاذ روحه . وتجد الناس يختلقون المعاذير لكي يذهبوا الى الشرق ساعة اقدم .

وقد سرت هذه الاحوال بصورة هائلة الى الجيش المحارب اضف الى ذلك مدافع العدو الجهنمية ، الامر الذي ادى الى اضمحلال الجيوش برمتها .

وفي هذه الادوار المحزنة كنت قد ارسلت الى المقر الاعلا من قبل القائد سمه‌نوف لرؤية بعض مصالح جيش المشرق الاقصى المستقل . وقابلت الرئيس الشرعي ثاني دفعة في بلدة « طومسك » فرأيت ذلك القائد الذي شاهدته قبل سنتين نشيطاً هماماً ؛ قد بات في حالة مؤلمة ؛ رأيته في هذه المرة هرماً فانياً بعينين ذابلتين وتلوح على محياه علائم اليأس والضجر فقعدنا وتذاكرنا برهة ومما قال لي في خلال كلامه :

« ولدي ! اوصيك ان لا تفكر في الزعامة ، ولا تمل الى الباشوية لان الميل الى الصعود هو استعداد الى السقوط . وها اني اساعدك فارجع الى وطنك .

ولا يمكن ان يستحصل الانسان نتيجة حسنة من هذه الاعمال . فانك لجدير بهذه الرتبة التى على كتفك وهذه الاوسمة التى فى صدرك وهى دائماً تمثل الخدمات الشريفة التى قمت بها تجاهنا وتجاه العالم المتمدين . »

وبعد ان تلقيت بعض اوامر وتعليمات تعود الى جيشى رجعت فوراً الى جيتا فلم اصلها الا بسبعة وعشرين يوماً مع انى كنت راكباً بقطار خاص يسحب اربع عربات فقط ولا يحمل غير ٣٥ جندياً مسلماً ورشاشتين . وكانت هذه المسافة تقطع قبلا بثلاثة ايام ! . . ،

هذا وقد ترك حبل الجيش على غاربه وصار قائد كل وحدة مستقلا برأيه ويتحرك حسب رغبة نفسه وارتبكت الجيوش والوحدات الكبار بعضها ببعض وسادت الفوضى بجميع معانيها وخيالةالجيش الاحمر تطارد فلول الجيش بدون انصاف وربما سبقت الجيش المتقهقر وخربت الطرق والسكك وطيارات العدو محلقة فوق الجماهير المنهزمة فتلقى عليهم القنابل وتجعل تلك الساحات المستورة بالثلوج اشبه شئ بجهنم .

ولم تقو مدينتاطومسك ونيونيقولا ينسك على المقاومة فسقطتا وانتقل الرئيس الشرعى الى مدينة « نيجنى اودينسك » وقداحس هناك بان حكم القيادة العليا قدتلاشى تماماً ولذلك فقد اضطر الى ان يترك منصبه للماريشال سمه نوف . وقد اصدر امره بذلك ووزعت نسخ منه بالطيارات الى جميع الوحدات. وبعد ان اتم هذه الاعمـال اخذ يفكر فى كيفية وصوله الى المشرق الاقصى سالماً وجمع مندوبى الحلفاء السامين وعرض عليهم الكيفية وطلب منهم ايجاد طريقة لوصوله الى ماوراء بايكال سـالماً . ولم يكن كولشاك مهتماً بامر خلاص روحه لانه كان — على الاقل — يمكنه ان يركب هو وعائلته بطيـارة ويذهب الى

حيث يشاء . ولكنه كان يفكر فى انقاذ خزينة حكومته وكانت هذه الخزينة مودعة فى خمسين عربة من عربات القطار . فقد كان فيها من الذهب الوهاج ثلاثين الف بود « ٦٠ ميليوناً من الايرات » ولهذا اشتهر هذا القطار باسم « قطار الذهب » . وكان من الممكن تأسيس حكومة بيضاء قوية فى المشرق الاقصى بهذه المقادير العظيمة . ولهذافان غاية كولشاك هوايصال هذهالاموال سالمة الى المشرق الاقصى ليسنى له القيام باعمال نافعة ولم يجسر على العودة بنفسه بدون اتخاذ الحيطة وقد قر قرارقواد الحلفاء ومندوبيهم السامين فىهذه الجلسة على ان يسير قطار كولشاك الخاص وقطار الذهب ، بحماية الحلفاء وتحت اشرافهم . وطلب الجنرال « جانان » قائد الجيوش الافرنسية والصقابية فىسيبريا ،من الرئيس الشرعى انيبدأ اولا بارسال كتائب الحرس والقطارات المدرعة . وواعده بانه سيرفق معه حرساً من الافرنسين عند سفره . وقصد الجنرال « جانان » من هذه التدابير هو تهريب كولشاك وذهبه سراً من اركوتسك . حيث ان المدينة المذكورة كانت تدار من قبل عصابة ثوريةاهلية.

ولم تكن هذه العصابة تتعرض بالقطارات التى تعود الى جيوش الحلفاء . فهذا الذى عرضناه هو الصور الظاهرية لمعضلة اركوتسك ولكن الحقيقة هى خلاف ذلك فان ٣٠ الف رجل مسلح من جيش ال« جه » قد احتشدوا فى هذه المدينة عمداً بقصد اخذ الثار من كولشاك واتباعه واحدثوا ثورة هائلة فى تلك النواحى واستلموا زمام الامور فيها ولكن الظاهر يوهم البعض بان عصابة اهلية قد احدثت هذه الثورة وقد شاع مثل ذلك .

ولما كانت البلدةتحت حكم الجيك الصقالبة تماماً فانهم بطبيعة الحال لميتمكنوا من ايقاف حركات القطارات الذاهبة الى المشرق لان غايتهم الاولى السلب

والنهب والثانية هوغرة كولشاك الا انه لم تمر القطارات الروسية الى المشرق دون ان يقف الـ « جه » لها وقفة الخصم !

سار القطـار الذى يقل كولشاك وذهبه وقد علق عليـه اعلام الحلفـاء واصطحب معه مفرزة عسكرية افرنسية لحراسته وحراسه ذهبه وبعد ان استكملت التحفظـات ومهدت سبل المحـافظة اخذ القطار ينهب الارض قاصداً مدينة ايركوتسك اما الحالة فى ايركوتسك فانها تتطور بتبدل الايام بل الساعات حتى بلغت الى درجة ان الجيك الصقالبة اخذوا ينهبون القطارات الروسية ويعطلون قسماً من ضباط الروس المسافرين . والاميرال كولشاك لايعلم من هذه الامور شيئاً ولكنه ركب القطار وسار واخذ يتقرب من النار شيئاً فشيئاً .

وقد احس الماريشال سمه نوف بالحبائل التى نصبت لكولشاك ولذلك فانه بادر وارسل على جنـاح السرعة مفرزة مستعجلة قوامها ثلاثة آلاف باسـل وامرهم بان يسرعوا الى ايركوتسك لكى يحافظوا على رجعة الرئيس الشرعى سالما . ولم تكن وضعية ايركوتسك واضحة تماماً لحد الان . ولم يعلم منها سوى ماأذاعه قائد الجيش الجيك الصقلبي ، فكانت بياناته عبارة عما يلى « قد احتل الجيش الجيك الصقلي مدينة ايركوتسك بصورة موقتة لكى يحمى رجعة الجيش المتقهقر والاميرال كولشاك الى المشرق وذلك بناء على اختلال الامن فى هـذه المدينة بمناسبة الرجعة العمومية ... »

هذا هو فحوى البيان والحقيقة ضد ذلك تماما وكانت حركاتهم وسكناتهم تؤيد هذه الحقيقة . فان الجيك الصقالبة كانوا يظهرون العداء الجلى للقطارات الروسية التى تمر من هـذه البلدة الى جهة المشرق . وكانوا يعـاملون الركاب

والجنود معاملة وحشية قاسية ورغماً عن هذا الابهام فان الماريشال سمه‌نوف اسرع بارسال المفرزة الآنفة الذكر درءاً لما عساه يحدث من الاخطار المحتملة الوقوع وكانت هذه المفرزة بقيادة اللواء (ميجر جنرال) « سيكى بتروف » وسارت حثيثاً تؤم ايركوتسك اما الجيك الصقالبة فلم يسمحوا لهذه المفرزة بالدخول الى المدينة واخرجوا امامها فرقة منهم تعادل اضعاف قوة هذه المفرزة ليصدوهم عن سيرهم . والحال ان هذه المفرزة تريد الذهاب لتقوية مؤخرة الجيش المتراجع وارادت المرور من مدينة ايركوتسك بصورة مسالمة . وقد اصر قائد المفرزة — بناء على الاوامر التى تلقاها من القائد العام — على الدخول الى المدينة قسراً . واظهر الـ «جه» تعنداً شديداً ضده . وقد ظهرت بارقة الخلاف بسرعة من ثوران مدافع الجيك الصقالبة . ودام القتال عدة ايام ولما بلغ سمع مجلس الحلفاء الا على هذه الحوادث قام لها وقعد وامطر الماريشال سمنوف وابلا من الاحتجاجات بحجة منع سفك الدماء فى الحروب الاهلية بين القوى المتحدة ضد السوفيت ولذلك فقد اضطر القائد سيكى بتروف الى سحب مفرزته ولكن الجيك الصقالبة لم يكترثوا ببيانات الحلفاء واحاطوا بجيش سيكى بتروف من كل جانب واسروا المفرزة برمتها واودعوها فى السجون كانهم يحضرونها لقمة سائغة للبلاشفة .

وقد اتضحت بهذه الحادثة وضعية ايركوتسك تماماً . اما القائد سمه‌نوف فانه قرر بصورة نهائية ؛ ان يستولى على مدينة ايركوتسك مهما كلفه الامر لكى ينقذ الرئيس الشرعى وخزائنه واصدر اوامره حالا الى فيلق القوزاق فى ما وراء آمور ، والى كل من فرقة المشاة فى « نرجينسك » وفرقة المشاة فى «ورخنى اودينسك » بالزحف على ايركوتسك تحت قيادة الفريق سمه‌نوف

عم المارشال سمه‌نوف ولكن — يالاسف — كان القائد كولشاك قدسبق وصوله الى المدينة مع قطار الذهب ولم يكن يدرى ماذا دبر له من المكائد والاشراك .

وصل كولشاك الغافل مع قطار الذهب قبل ان تصل الجيوش المطيعة التى ارسلها سمه‌نوف . ولما وقف القطار فى محطة البلدة احاط به على الفور عدة آلاف من جنود الـ « جه » وهم لابسين ثياباً حمراً كهيأة الجنود البلاشفة . وكان الجنود الافرنسيون الذين رافقوا القطار بقصد حراسته قد التحقوا بقطاراتهم التى تقل جنودهم الى المشرق الاقصى ، كأنهم كانوا مكلفين بسوق قطار الذهب الى محطة ايركوتسك ليس الا ؟

ظل كولشاك فريداً ، وظلت الاعلام التى كانت خافية تحت ظل الرئيس الشرعى ؛ بدون حراب ولهذا فان الثوريين وافراد الـ « جه » وجهوا نظرهم قبل كل شئ الى الرئيس وعقيلته فانزلوهما من القطار بدون ان يمانعهم احد وزجوهما فى سجن ايركوتسك . يا للغرابة ! يؤخذ الرئيس الشرعى لحكومة سيبريا بكل شناعة ويحقر كولشاك صديق الافرنسيين الحميم على ملأ الناس ويزج هو وزوجته فى السجن بصورة قطيعة ؛ فى حين ان قائد جيوش الحلفاء الجنرال « جانان » الافرنسى لم يزل باقياً غربى ايركوتسك ولم ينسحب بعد . وفى حين ان مقرات الحلفاء باقية فى سيبريا ؛ وفى حين ان مدينة ايركوتسك نفسها غاصة بقوات الحلفاء والجيوش الجيك الصقالبة وجيوش روسيا ؛ يزج الرئيس الشرعى فى السجن ، ويودع كهدية للبلاشفة فلم ينبس احد ببنت شفة ؛ ولو اراد الافرنسيون والقائد جانان نجاة كولشاك وذهبه لامكنهم ذلك بصورة قطعية ولكن المسألة غامضة ولم يتمكن احد من حلها وايضاحها لحد الآن

ولكنى اقول اظهاراً للحقيقة وبدون انا حاذر من قوة او قدرة ان البلاء الذى نزل بكولشاك ناتج من قطار الذهب . لان الافرنسيين والصقالبة والروس سببوا للرئيس هذه النكبة بقصد نهب قطار الذهب . وكانت التدابير قد اتخذت قبل سقوط مدينة طومسك واعدت العدد المقتضية لذلك . ولهذا السبب كان احتلال مدينـة ايركوتسك من قبل الـ « چه » وعـدم السماح لجنود مفرزة المارشال سمه نوف بالدخول الى المدينة . وان الذى اعرفه ويعرفه الناس قاطبة ان صفرة الذهب تعشى العيون بدون قيد او شرط والدليل على ذلك هو ان اول عمل قام به الثوار فى ايركوتسك بعد حبس الرئيس الشرعى ؛ هو نهب القطار المشؤوم. لا انكر ان الظواهر كانت تدل على ان الناهبين هم افراد الـ « جه » والروس الاهليين ولكن الاعجب من هذا كله ان الذين دبروا هذه المكيدة بالامس كانوا واقفين تجاه هذه الحالة وقفة المتفرج الهادىء . فهذه الامور هى موجبة للعجب بل وللشبهة ايضاً . فلماذا عورض بالامس فى دخول مفرزة سيكى بتروف الى ايركوتسك ليحمى مؤخرة الجيش المتراجع ، وقيل « يجب ان لا يسفك الدم فى الداخل » وامطر القائد سمه نوف وابلاً من الاحتجاجات الشديدة اللهجة ووجهت اليه سؤالات عديدة ؛ ولماذا يغض النظر اليوم عن حبس الرئيس الشرعى جهاراً وعن نهب خزينة الدولة البالغة ٦٠ مليوناً من الجنيهات ذهباً وهذه الاعمال بالنسبة الى تلك مهمة جداً بصورة لا تقبل القياس ؟

لاشك بان هذه الاسئلة عظيمة التبعة وان ايضاحها وتفصيلها اعظم وادق. والذى يجب ان يبقى فى الذاكرة هو ان القواد الكبار من ذوى العلاقة فى حركات سيبريا قد عقدوا مؤتمراً حربياً فى مدينة « جيتا » بعد نكبة كولشاك وقد قرر هذا المؤتمر قبل كل شيء ؛ بعد ان فحص العلل والاسباب التى ادت

الى اضمحلال كولشاك : (ان السبب الاوحد فى سقوط الاميرال كولشاك فى ايدى البلاشفة فى ايركوتسك هو الجنرال « جانان » وقد ثبت ذلك بالبراهين القوية والوثائق الرسمية) .

ولنرجع الآن الى ذكر جيش سيبريا فنقول :

كان الجيش مفلولا من جميع جهاته ، ومتقطع الاوصال ، وقد انسحب كل قسم الى جهة ، واختلت قيادته العليا واستأسر معظم افراده للبلاشفة وبناءً على هذه الفجائع فان الجبهة الحربية قد فرغت تماماوظل البلاشفة بدون بدون ان يقاومهم احد فاخذوا يتقدمون كيفما شاؤوا فوصلوا الى ايركوتسك بثلاثة اسابيع بكل زهو وتبختر . فكان باكورة اعمالهم ان حيوا الـ «جه» ورحبوا بهم ؛ واكرموا مثواهم . ثم وصلت بعد عدة ايام طلائع الجيش الحديدى الاحمر الثالث الى المدينة . وفى تلك الاثناء كانت القوة التى ارسلها القائد سمه نوف « فيلق القوزاق والفرقتان المشاة المار ذكرها » قد تمكنت من الوصول الى سواحل بحيرة بايكال الشرقية والجنوبية ولما احس البلاشفة بهذه القوة تركوا حالة ايركوتسك كما كانت ووجهوا جيوشهم الحديدية التى وردت من من جبهة الحرب ؛ الى جهة بايكال ليقفوا فى وجوه هذه القوة . ثم اعلنوا بانهم لايتعرضون لجيوش الحلفاء التى تذهب راجعة الى الشرق ؛ ولا للجيوش الجيك الصقالبة ؛ وانهم يسهلون امم الامور بقدر الاستطاعة . وكان الحلفاء آنئذٍ قد فرغوا تماماً من الاشتغال بالامور الداخلية ولم يعودوا يتدخلوا فى شئ على انه لم يبق للحلفاء فى الداخل سوى بعض قطعات الجيش الصقلبى وهذه القطعات كانت ذات مكانة عظمى عند البلاشفة نظراً للاعمال والخدمات الاخيرة التى قاموا بها لخير الجيش الاحمر .

واخذ الجيش الحديدى الاحمر فى استرجاع الحكم فى ايركوتسك من ايدى الـ « جه » تدريجاً حتى استلمه تماماً . وعلاوة على هذا فقد انتزع من ايديهم الذهب البالغ ٦٠ مليوناً من الليرات والذى نهبه الـ « جه » من كولشاك ؛ بدون ان يغادر منه دانقاً واحداً ، ثم طرد الـ « جه » بصورة رقيقة وذلك ببيان ذكروا فيه : « نشكر اعمالكم ! ولم يبق هنا لكم من شغل ، وان الجيش الاحمر قادر على ادارة امور الحكومة حق القدرة . والجيش الجيك الصقلبى حر فى طريقه الى ثغور المشرق الاقصى . ولما كان اشغال السكك الحديدية الاحتياطية بقطارات الجيك الصقالبة امراً يضر بحركات جيوشنا الحربية ويورث الخلل والتعطيل فاننا نطلب ان تسير القطارات المذكورة الى المشرق الاقصى بظرف ١٥ يوماً لكى تفتح امامنا الطريق ولتسهل علينا النقليات العسكرية الى جبهة القتال .. » وقد حاول الـ « جه » فى بادئ الامر عدم الاذعان لهذه البيانات وارادوا البقاء فى اماكنهم ولكن البلاشفة لم يظهروا اى حركة خلال المدة المذكورة وبعد انتهاء الاجل المضروب احاطت الجنود الحمر بجميع قطارات الـ « جه » على حين غفلة وسلبوا جميع مامعهم من سلاح وذخائر وملبوس ومأكول ثم اركبوهم عرايا بعربات الحيوانات ودفعوهم كلهم الى ثغور المشرق الاقصى وقد فرحنا نحن ايضاً بما اصاب هؤلاء الانجاس المناكيد .

وكان الجنرال الافرنسى « جانان » هو الذى دهور الاميرال كولشاك الى هذه الهوة السحيقة ودفعه الى هـذه النكبة المؤلمة لانه لم يقف عند وعوده وعهوده ، او لانه لم يتخذ تدابير تضمن له الفوز والنجاح فى مسعاه .

وبعد ان استلم البلاشفة زمام الامور فى ايركوتسك تماماً اودعوا كولشاك الى محكمة الامة العلنية ، واعدم المشار اليه مع عائلته رمياً بالرصاص فى الساعة

السادسة زوالية من صباح اليوم المصادف ٧ شباط سنة ١٩٢٠ وهذه هي النكبة الثانية لروسيا وبهذه الصورة تكامل التدهور الروسي .

ولما صدر القرار باعدام كولشاك من قبل المحكمة العلنية البلشفية في ايركوتسك كانت زوجته قد برئت ساحتها ولكن هذه الفتاة الروسية اللطيفة الصادقة لزوجها كانت مرتمية في احضان الاميرال كولشاك عند تنفيذ حكم الاعدام وهي صارخة « الحياة حرام على بعد كولشاك » وقد تضرجت بدمها باول رصاصة اطلقت من البلاشفة . . . .

وقدانتهى كل شئ بذهاب كولشاك . واضحى من الصعب صدتيار البلاشفة. هذا وان الماريشال سمه‌نوف قد انتخب خلفاً للاميرال كولشاك واعلنت رياسته الشرعية بصورة رسمية في ٢٠ شباط سنة ١٩٢٠ وبادر بتأليف وزارة مسؤولة في ما وراء بايكال واتخذ مدينة جيتا عاصمة لحكومته ، واخذ يعدد العدد المقتضية لايقاف الحركات البلشفية بكل قواه . ولكن البلاشفة اصبحوا اليوم غير البلاشفة بالامس ، فبعد ان كانوا في السابق حفاة عراة ولصوص جناة صاروا الآن عبارة عن جيوش منظمة ومجهزة بالبنادق والمدافع والطيارات والسيارات المدرعة والقطارات المصفحة ولهم فيالق وفرق حديدية وفولاذية . واخذت العصابات الحمر تتولد تدريجياً في المشرق الاقصى كما في السابق .

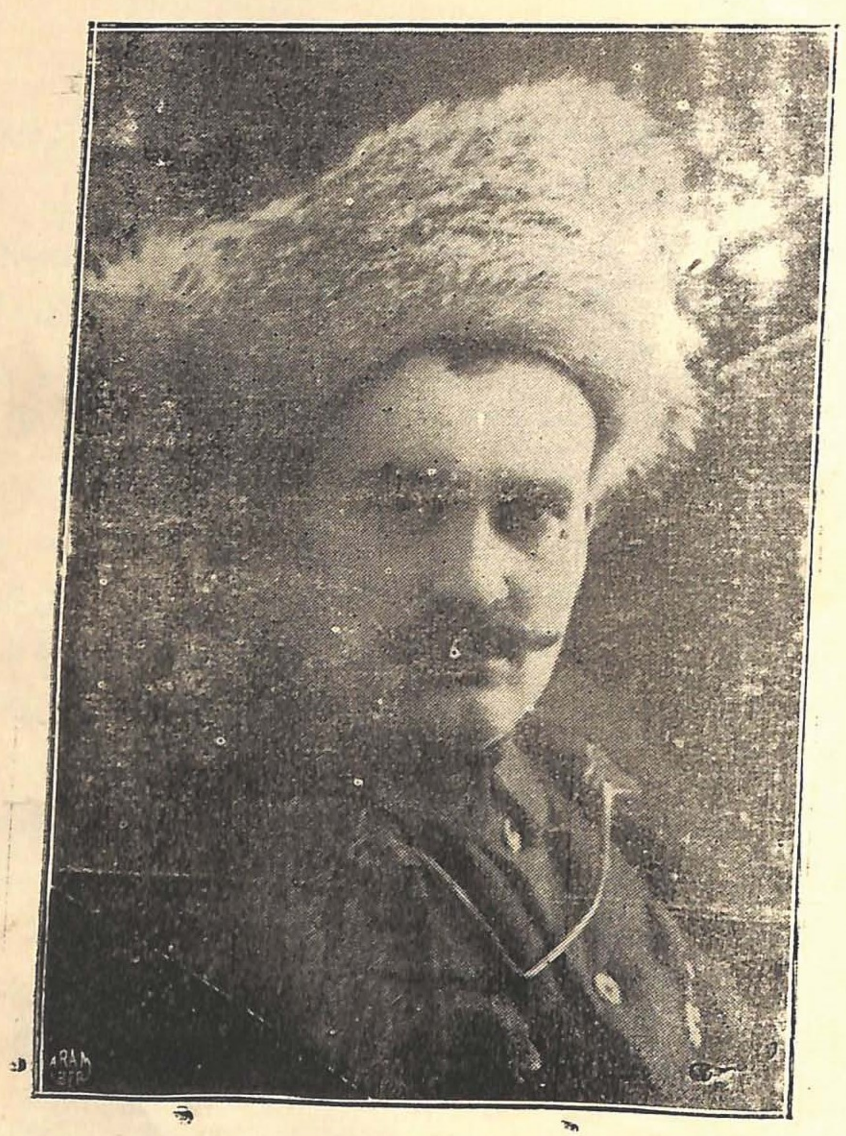
وفي اثناء انحلال جيش سيبريا وهزيمته؛ كان نحو ٢٠٠ الف جندي من نقية السيوف لم يشاؤوا ان يستأسروا للبلاشفة بل انسحبوا بقيادة الجنرال « كابل » الى شمال سيبريا وتراجعوا الى المشرق الاقصى من تلك المناطق الثلجية القفراء وقد اضطر هؤلاء الى اجتياز الثلوج والانهار المنجمدة وتسلق ذرى الجبال الجليدية مدة تزيد عن اربعة اشهر وتكبدوا انواع المشاق والمصاعب

ولم يصل منهم الينا سوى ٢٥ الف رجل على غاية مايكون من الضعف والتعب والجوع والباقون قد هلكوا فى الطريق بين الثلوج وكذلك قائدهم الباسل كابل فانه لم يصل سالماً بل مات مثلوجا قبل ان يصل الجيش الينا بسبعة ايام ؛ واستلم بعده القيادة الجنرال « ويتسه خوفسكى » ولما وصل جيش كابل الى جيتا بادر قواد الوحدات وهم الجنرال لوخ ويتسكى والجنرال لبه دف والجنرال ساخاروف والجنرال ورج بيتسكى والجنرال مولجانوف والجنرال سمولين وعدة قواد آخرين وفى مقدمتهم الجنرال ويتسه خوفسكى وحضر الجميع نيابة عن جنودهم وبايعوا الرئيس الشرعى الجنرال اتامان « غريغورى ميخائيلوويج سمه نوف » ودخلت البقية الباقية من جيش كابل فى عداد جيش سيبريا الشرقية ولما لم يبق بعد هذا للبلاشفة من معارض او عدو سوى منطقة المشرق الاقصى ؛ فانهم حشدوا جميع قواهم فى جبهة ايركوتسك بمدة وجيزة.

ولنترك هنا الجبهة الحربية فى سواحل بحيرة بايكال الشرقية والجنوبية وشمال مونغولستان ولنعد الى ذكر الى اعمال الرياسة التى قام بها المارشال سمه نوف .

انتهى الفصل السابع ويليه الفصل الثامن

—— *** ——



لجنرال آتامان « سمه نوف » القائد الاعظم الثاني لحكومة سيبريا الموقتة

الفصل الثامن

المندرجات :

اعمال الماريشال « سمه‌نوف » الرئيس الشرعى الثانى — تقسيم الجيوش — ارسالى الى الحجاز بصفة مفوض من قبل حكومة روسيا القانونية — الاعمال والحركات الحربية لجيش شرقى سيبريا — الجيش اليابانى فى شرقى سيبريا — الاوراق الرسمية العائدة لمهمتى — بيان الشورى الاسلامى الاعلا — معلومات تتعلق بمقاطعة مانشوريا والصين واليابان — من اليابان الى الحجاز — مارأيته فى الحجاز — النصيحة الدينيـة التى وجهها جلالة الملك حسين الى مسلمى روسيا — عودتى من الحجاز الى سيبريا — مقابلتى للمسيو « اوشينسكى » فى شانغهاى — ما حل بالجيش الابيض اثناء غيبوبتى فى الحجاز — حركتى الى قلعـة « بور آرتور » — مقابلتى للماريشال سمه‌نوف — المرسوم الناطق بترفيعى الى رتبة « لواء » — فى المجلس الحربى المنعقد فى بور آرتور — عودتى الى قيـادة الجيش — سفرى الى بلاد اليـابان — انا والمعتمدون السامون للحلفاء فى طوكيو — اليابان وامور المشرق الادنى — مقابلتى لاولياء الامور فى اليابان — الثورة فى مونغولستان — الانتصارات والانكسارات — دولة المونغول والحكومة الصينية — حكومة الصين وروسيا — الماريشال سمه‌نوف والجنرال بارون فون « اون‌غه‌رن » قائد الحركات الحربية فى مونغولستان — اسارة الجنرال « اون‌غه‌رن » — الثورة فى ثغر ولادى فستوك — الحكومة الموقتة لبلاد المشرق الاقصى — رئيس الحكومة الموقتة موسيو « سپيربدون

ماركولوف » والماريشال سمهنوف — الامر العام النهائى المشهور والمرقم بـ ٣٩١ الذى اصدرته القيادة العليا للجيش الروسى — تسريح افراد جيشنا — سفر القائد العام الى جزر اليابان — القائد العام فى شانغهاى — رجوعى الى وطنى — الوثيقة الرسمية التى اخذتها من الشورى الاسلامى الاعلا تقديراً لاعمالى — فى طريق بغداد — الوثيقة الرسمية التى اعطانيها القائد العام تقديراً لاعمالى — وصولى الى بغداد — رسالة الجنرال بارون « فرانكل » قائد الجيوش الجنوبية — وقع فى الاختلاف الموعود — قبولى لمنصب مفتش عام فى منطقة كردستان العراقية — فصل النقد — من هم الذين يديرون امور روسيا البلشفية — تأليفى المسمى « انقلاب الحلقة » .

ختام

الفصل -- ٨

الاعمال التى قام بها الماريشال سمه نوف الذى نصب خلفاً للاميرال كولشاك ؛
بدأ سمه نوف عند تسلمه زمام الامر بالاعمال الآتية :

١ً — نصب له معاونين احدهما ملكى « سيويل » والثانى حربى عسكرى وعين الجنرال « آفاناسيه‌ف » للامور الحربية ، وعين الموسيو « طاسكين » احد اعضاء مجلس الدوما سابقاً للامور الملكية المدنية كل منهما بصفة معاون وربط بالاول جميع الدوائر العسكريه وتفرعاتها كما انه اناط بالثانى رؤيه مصالح جميع الدوائر الملكيه وهذه الادارة هى على الطراز المسمى بـ « الديركتوار » .

٢ً — قسم الجيش الى ثلاثه اقسام : فالاول والثانى يتألفان من جيش المشرق الاقصى السابق ، واما الثالث فيتألف من بقية السيوف التى اتى بها الجنرال « كابل » الى المشرق الاقصى. وعهد بقيادة الجيش الاول الى عمه الفريق [لفتنت جنرال] « سمه نوف » والثانى بقيادة الجنرال بارون « فون اونغه‌رن شته‌رن بركر » والجيش الثالث بقيادة الجنرال « ويتسه‌خوفسكى » وعين الجيش الاول فى الجبهه الغربيه اما الجيش الثانى فعهد اليه امر التنكيل بالعصابات الحمر التى اخذت تنمى وفى الجهات الشرقيه فى مونغولستان والجيش الثالث تعهد بالامن الداخلى وسائر الخدمات .

٣ً — طلب الاعانة والحماية من اليابان وتنازل لهم تجاه ذلك عن النصف الشمالى لجزيرة ساخالين ، الذى كان محلاً للنزاع بين روسيا واليابان منذ سنة ١٩٠٥ .

٤ً — بناء على التماس الديوان الاسلامى الاعلا فى شرقى سيبريا فقد وضع فى موضع التنفيذ امر ذهاب مسلمى روسيا الى الحج وعودتهم ؛ الامر الذى

كان قد تعطل منذ نشوب الحرب العامة فلذلك قرر ارسالى بصفة مفوض الى الحجاز لاسعى فى انجاز هذا المشروع من جهة ولكى اطلع الرؤساء الروحيين فى البلد الحرام على جنايات البلاشفة واضرار البلشفية : ولاقص على العالم الاسلامى ما شاهدته بعين رأسى من الفظائع والوحشة التى اتى بهما البلاشفة والامور التى تناقض كل التناقض للشريعة الاسلامية ولا تتفق والمبادئ الدينية المحمدية وبهذه الصورة احمل الامراء العرب المسلمين فى الحجاز على اصدار نصيحة دينية الى مسلمى روسيا تبعدهم عن الدخول الى هذه الزمرة الشريرة وتحذرهم من اعتناق هذا المذهب الشائن . وكلفت ايضاً بعد انهاء هذه المشكلة بالذهاب الى شبه جزيرة القريم بطريق الاستانة فاطلع على حالة الجنرال بارون « فرانكل » قائد الجيش الروسى الجنوبى ثم ابث الدعوة ضد البلاشفة بين مسلمى روسيا الجنوبية وانشر النصيحة الدينية التى اخذتها من علماء الحجاز وامرائه ثم اعود الى المشرق الاقصى. وقد زودت بما يقتضى من المعلومات والمواد. فهذه خلاصة الاعمال التى قام بها سمه نوف فى بادئ الامر .

*
* *

وقد اهتم البلاشفة بعد هذا بجبهة سيبريا وحشدوا فيها معظم قواهم بكل شدة وبدأت المحاربات الدموية فى هذه الجبهة فاضمحل على اثر ذلك الجيش الاول بدون ان يأتى باى مقاومة تذكر: ذلك لان غالب الافراد كانوا قد ملوا الحرب بل والحياة ايضاً نظراً لطول عهدهم بالحرب والاتعاب السفرية . وفضلا عن المشاق المادية التى اعتورت الجيش ؛ فقد اخذت وقائع « اومسك » المؤلمة يعود تمثيلها كأن التجاريب المرة التى وقعت لحد الآن لم تكن كافية بالغرض وكافلة للعظة والذكرى ؛ اخذت تظهر دسائس القواد التى دهورت

الاميرال كولشاك وجيش سيبريا الى الحضيض الاسفل .

ولما اضمحل الجيش الاول فى جبهة « ورخنى اودينسك » بصورة قطعية ؛ صدرت الاوامر — بناء على الضرورة المجبرة — الى الجيش الثالث الذى كان فى الداخل بحالة الاستراحة ؛ بان يذهب الجبهة الحربية لاملاء الفراغ الذى حصل من اضمحلال الجيش الاول فلم يطع قائده الاوامر بل ردها بدعوى ان ليس فى جيشه كفاءة حربية . وهذا القول صحيح من القائد « ويتسه خوفسكى » حيث انى اعتقد ايضاً بان ليس فى ذلك الجيش الضعيف مقدرة على الحياة فضلا عن المقدرة على الحرب والنزال فانى لذلك اعذر القائد من هذه الجهة الا انه كان يجب على زميلى المحترم ان يعلم ان ليس لدى القيادة العليا اى جندى احتياطى فى الداخل فتدفعه الى الجبهة ، ولم يكن ثمة وحدة يرسلها لتقوية الجيوش المحاربة غير الجيش الثالث وكان من الضرورى جداً ايقاف تيار البلاشفة المنهمر ولو لمدة موقتة .

اما القيادة العليا فقد الحت طبعاً فى تنفيذ اوامرها وبينت الضرورة التى الجأتها الى هذا العمل ولكن القائد « ويتسه خوفسكى » ظل مصراً على رأيه وقدم استقالته فى هذه المرة . فنصب حالاً الجنرال « لوخ ويتسكى » بدلاً منه . فاظهر هذا القائد الجديد من السعى وعلو الهمة ما يعجز عنه الوصف وتمكن اخيراً من سوق ثلاث فرق بعد العناء الشديد وارسلها لتقوية الجيش المنكسر وذهبت ايضاً الفرقة التترية المسلمة لعين الغرض فلم ترجع بعد ....

كانت هذه الحرب حرب حياة اوموت بصورة لاتقبل الشك لان ادامتنا للقتال بعد ان حدث من امر كولشاك ماحدث ؛ كان عبارة عن تعند وعن لهو ولعب ليس الا وكانا مقتنعون بان نجاحنا — ونحن على ما كنا عليه من الوهن — من

رابع المستحيلات . وقد استولى البلاشفة فى هذه الحروب على مدينتى « ترويفسك كوزافسك » و « ورخنى اودينسك » وقد اهرقوا فى كل منهما الوفاً من دماء الابرياء وصلبوهم بكل شناعة . ومع ان الفرق التى سيقت لتقوية الجيش المنكسر كانت ضعيفة وتعبة فانها قامت ببعض الاعمال النافعة واوقفت تقدم الجيش الاحمر وعلاوة على كل ذلك فقد استردت المدينتين اللتين ضبطتا من قبل البلاشفة .

هذا وان دولة اليابان قد لبت طلب الماريشال سمه‌نوف واغاثته — بناء على وعودها السابقة — بارسال ست فرق من الجند بعدتها وادواتها ، واودعتها لقيادة الفريق (لفتنت جنرال) « اووى » وعهدت الى هذه القوة حراسة خط سيبريا الحديدى الكبير والقيام بتوطيد الامن الداخلى فى شرقى سيبريا وفى مقاطعات المشرق الاقصى . فكان لهذه الفرق اليابانية تأثير عظيم على الجيوش الحمر حيث انها سببت وقوف حركاتهم الحربية لمدة غير قليلة وزادت فى جرأة الجيش الابيض وضاعفت قواه المعنوية التى كانت مائلة الى الانكسار التام اضف الى ذلك استتباب الامن فى الداخل وقمع العصابات الحمر التى كانت تزعج جيشنا من خلفه فهذه الفوائد الثلاث هى انما حصلت بقدوم الجيش اليابانى . وان لم يكن هذا الجيش مشتركا بالحرب مع البلاشفة فعلا ؛ الا انه حفظ السكك الحديدية وامن طرق المواصلات ولهذه العلل فان الجيوش البيض كانت تكمل عدتها وذخائرها تماماً ثم تذهب الى الجبهة الحربية وهى على اتم ما يكون من الاستعداد .

ولما امن جيش سمه‌نوف من الغوائل الداخلية واطمأن من حفظ مؤخرته وطرق مواصلاته بصورة قطعية ؛ باشر فى الكفاح وصد هجوم البلاشفة من

كل جهة ولم يكتف بذلك بل اجرى الهجوم المقابل واخذت الاخبار الحسنة تأتى تترى وبينما كانت هذه الانتصارات تجرى فى مجرى طيب ؛ كان القواد البيض يستحضرون الخطط الحربية الواسعة وتوالت التوفيقات فى جميع نقاط الجبهة وانتعشت الآمال المنكسرة ففى هذه الاثناء سافرت الى المشرق الادنى بالمهمة التى ذكرتها آنفاً وصادف سفرى يوم ٢٠ ايار (مايس) سنة ١٩٢٠ .

اما الوثائق الرسمية المتعلقة بسفرى ومهمتى فهى كما يلى :

—(١)—

الى الزعيم (كولونيل) القادرى

القيادة العظمى

التاريخ : ١٨ مايس ١٩٢٠	لجميع الجيوش الروسية فى المشرق الاقصى
العدد : ٠١٠١ سرى	جيتا — ما وراء مايكال — سيبريا

نطلب اليكم الشخوص الى جزيرة العرب للمثول امام صاحب الجلالة الحسين بن على ملك العرب ؛ وان تقوموا بالمهمة الآتية :

١ — ان تعرضوا على السدة الملكية المقدسة بلهجة محايد وبصورة مفصلة وواضحة ؛ جميع الاحوال والتطورات التى حدثت فى روسيا فى الايام الاخيرة مما رأيتموه بعينى رأسكم وشاهدتموه بانفسكم من الحقائق المؤلمة وان تفهموا جلالته ماهية المذهب البلشفى وكيف ان المبادىء البلشفية مغايرة تماماً للعقائد الاسلامية ومعاكسة لها بكل معانى الكلمة ومناقضة لماجاء فى القرآن الكريم ؛ وان تقصوا عليه ما اتى به الحمر من الشناعات فى بلادهم روسيا وما ارتكبوا من الفظائع القاسية ضد اخوانهم الروس وعلى الاخص بالمسلمين .

٢ً – وبعدذلك نطلب اليكم ان تستحصلوا من جلالته على منشور يتضمن النصيحة للعالم الاسلامى الروسى ويحذرهم فيه من الانضمام الى البلاشفه او مساعدتهم او اعتناق المذهب البلشفى. لكى نعلن هذا المنشور على جميع مسلمى روسيا ويكون لهم بمثابة فتوى مقدسة .

الامضاء : القائد الاعظم

(الختم الرسمى) جنرال انامان

سمه‌نوف

رئيس المرافقين — رئيس ديوان القيادة العظمى

القائد (ميجر) — الزعيم

ميرونوف — ولاسى يفسكى

—(٢)—

القيادة العظمى

لجميع الجيوش الروسية فى المشرق الاقصى

جيتا — ماوراء بايكال — سيبريا

التاريخ: ١٨ مايس ١٩٢٠

العدد : ١٠٠ .

ورقة شهادة

ان صاحب هذه الاوراق هو الزعيم صديق القادرى احد امراء الجيش الروسى ورئيس الشعبة الاسلاية فى مقر القيادة العظمى . وقد ارسل من قبلنا الى الديار الاجنبية بامور تتعلق بمهام الدولة فيجب والحالة هذه على جميع المأمورين الروسين ملكيين وعسكريين ان يساعدوا الزعيم القادرى اثناء سفره بجميع



الشورى الاسلامى الاعلى فى اقصى الشرق

الطرق القانونية وان لايتأخروا على حماية وتمهيد السبل امامه من جميع الوجوه.

(الختم الرسمى) الامضاء : القائد الاعظم

الجنرال انامان

سمه‌نوف

رئيس المرافقين رئيس ديوان القيادة العظمى

المقدم الزعيم

ميرونوف ولاسى يفسكى

(٣)

ورقة المرور (بسابورط)

القيادة العظمى

التاريخ : ١٨ مايس ١٩٢٠ لجميع الجيوش الروسية فى المشرق الاقصى

العـدد : ١٠٣ . جيتا — ما وراء بايكال — سيبريا

نصادق على سفر صاحب هذه الاوراق الزعيم القادرى الى الديار الاجنبية بمهمة تعود الى حكومتنا .

(الختم الرسمى) الامضاء : القائد الاعظم

الجنرال انامان

سمه‌نوف

رئيس المرافقين رئيس ديوان القيادة العظمى

المقدم الزعيم

ميرونوف ولاسى يفسكى

آن اوان السفر وحضرت محطة « جيتا » الثانية فى ٢ ايار (مايس) ١٩٢٠ صباحاً وبصحبتى رئيس واعضاء المجلس الوطنى لجميع مسلمى سيبريا الشرقية وبلاد ما وراء بايكال . وكان هناك من جملة المشيعين القطعات المركزية وافواج الـ « دبو » المركزية للفرقة الاسلامية الثالثة ؛ التى كنت مستلماً قيادتها . وحضر لوداعى ايضاً كل من القائد العام الماريشال سمه‌نوف وهيأة اركان حربه وثلة من الجنرالات الروس الذين كانوا فى المركز ، ومئات من وجهاء الاهالى . وقد القيت امام القطار الخاص الذى ركبته ، باقات عديدة من الورد بصورة صميمية من قبل اصدقائى وعارفى وفى تلك الاثناء القى فخامة القائد العام على الحضار بضع كلمات مؤثرة بمناسبة مهمتى ثم اعقبه « حسين نجم الدينوف » رئيس المجلس الوطنى التترى وتلا خطبة مسهبة وعدد الخدمات التى قمت بها تجاه العالم الاسلامى الروسى ثم قدم الى بعد ذلك « وثيقة تقدير » رسمية امام جميع المحتشدين واليك صورتها :

التاريخ : ٣ رمضان المبارك ١٣٣٨	المجلس الوطنى الاسلامى
١٩ مايس ١٩٢٠	للحكومة الاهلية
الرقم ١٥٠	جيتا — ما وراء بايكال

الى جناب السيد صديق القادرى

بلغ سمع اعضاء المجلس الوطنى الاسلامى فى مدينة جيتا خبر مغادرتكم لهذه المدينة فاسف كثيراً وقد شاهدت الحكومة الاهلية فى شخصكم عزيمة ثابتة بصورة دائمة وبرهنتم على ذلك فعلا . وبقدر ماتودعون قلوبنا من الحسرات بسبب غيابكم ؛ يكون لنا من المسرات والرجاء بوعدكم الناطق بعودتكم ثانياً الى هذه الربوع .

ايها السيد المحترم !

نحن واثقون بانكم بذلتم جهدكم للقيام بخدمات جلى لملة الاسلام فليعش امثالكم خدام الاسلام الابطال البهاليل ! جعل الله سفركم ميموناً . ونشكركم على ما اتيتم به من المناقب العالية للمسلمين الكائنين فى منطقة جيتا خاصة . ولا تظنوا بانكم ستذهبون من خواطر اعضاء الحكومة الاهلية بل وجميع اهالى جيتا حيناً بعد حين . فلتعيشوا ايها السيد !

والسلام على من اتبع الهدى وما بعد الحق الا الضلال !

الختم الرسمى للمجلس	رئيس الحكومة الاهلية
الامام (مفتى الديار)	فى مدينة جيتا
وسيم بن حافظ سلطانوف	الامضاء : حسين نجم الدينوف

الاعضاء فى الحكومة الاهلية : ابن صباح الله ولى الدينوف ـ بكم الدينوف ـ اسعد الله بن خير الله مرادايف ــ عماد الدين حسن الدينوف . . .

رئيس الكتاب : مردولى

ثم اديرت كؤوس نبيذ التفاح (شامبانيا) عند ركوبى القطار كما هى العادة الجارية عند الروس ، وارتفع الصياح بكلمة « هوررا » ثم تصافحنا بكل حرارة ومودة وتحرك القطار بين نغمات الموسيقا المحزنة وكانت جنودى البواسل مصطفة على طول المحطة تؤدى مراسم الاحترام ويصرخون بآخر كلمة وداعية « هوررا » ويبعثون آخر نظرة الى قائدهم وكنت آنئذ على مصطبة القاطرة ارد عليهم سلامهم والدموع تتساقط من عينى . فوالهفا على تلك ايامى الذهبية التى كان غدها هذا اليوم المنحوس . . . !

وقد شاهدت ــ على هذا النمط ــ نفس المظاهرات ونفس الاحتفاآت

فى جميع الممالك التى مررت بها حتى فارقت ارض روسيا . وبعد حركتى بثلاثة ايام وصلت الى مدينة « خاربين » فاستقبلنى فى المحطة مقدار غير قليل من مسلمى المدينة وبعض اصدقائى من الصينيين والروس . فاقمت هناك يومين كاملين واذعت منشوراً على مسلمى البلدة اوضحت فيه مهمتى والقصد من سفرى هـذا . ثم غادرت خاربين قاصداً « جان جون » ثم وصلت بعد ذلك الى « موقدن » عاصمة مانشوريا فاستقبلنى هناك فى المحطة مقدار من الصين المسلمين وقسم من اصدقائى وبصفتى احد امراء الجيش الروسى فقد حضر لاستقبالى فى المحطة قائد المركز اليابانى الزعيم (كولونيل) « اويه دا » مع عدة ضباط يابانيين ثم ذهبوا بصحبتى الى نزل « مياقو » .

ومدينـة موقدن هى احدى مدن الصين القديمة . ولكن اليابانيين قـد استولوا عليها فى سنة ١٩٠٥ لكونها داخلة ضمن حدود امتياز الخط الحديدى الكبير فى المشرق الاقصى . وهى ايضاً مدينة كبيرة وتاريخية . وقد كانت عاصمة لعاهلية « ماجين » القديمة فى سابق الازمان وهى الآن مدينتان موقدن القديمة وموقدن الجديدة .

موقدن القديمة — هى بلدة صينية محضة وتبعد نحو نصف ساعة عن المدينة الجديدة . وتحتوى على نصف مليون نسمة وفيهم نحو ثمانين الف صينى مسلم وفيها ١٥ جامعاً ولكل جامع مدرسة دينية على الطراز القديم الموجود فى بلاد المسلمين قاطبة . وهى الآن عاصمة لمقاطعة « مانشوريا » الممتازة فلذلك يسكنها القائد الصينى المشهور الماريشال « جان — تسو -- لين » والى المقاطعة وقائدها .

موقدن الجديدة — هى مدينة حديثة قام بانشائها اليابان بعد سنة ١٩٠٥

وهى مبنية على الطراز الاوروبى الحديث فهى تعد مدينة اوروبائية لطيفة ويبلغ عدد نفوسها مئة الف نسمة تقريباً .

وبعد ان اقمت فى نزل مياقو الكائن فى المدينة الجديدة مدة يومين تحركت قاصداً جزر اليابان فقدمت اولاً مدينة « سه ئول » عاصمة جمهورية « كوريا » القديمة فوجدتها مدينة اسيوية لطيفة وذهبية . ثم غادرتها قاصداً مدينة « فوزان » الكائنة على الاوقيانوس الهادى وفى منتهى شرق مملكة كوريا ، والمشارفة على جزر اليابان . وقد ادهشنى مارأيت فى هذه المدينة من آثار اللطافة والتمدين والانتظام . فقد رأيت هذه المدينة البعيدة عن مدن اوروبا وحضارتها عشرات الالوف من الفراسخ تكاد تشابه مدن اوروبا فى جميع الخصوصات . ولم اتمكن من ضبط دمعتى عندما قايست حالة انتظام هذه المدينة البعيدة عن التمدين وبين حالة بلادى التعيسة التى لاتزال على عهدها القديم منذ آلاف من السنين ونحن كائنون على مقربة من بلاد الغرب مع ان المدينتين شرقيتين آسيويتين ! وهنا آمنت بالقول المشهور « من جد وجد » .

غادرت هذا الثغر وركبت الباخرة قاصداً جزر اليابان فوصلنا جزيرة « نيبون » احدى جزر اليابان بعد سياحة بحرية دامت نحو ١٠ ساعات ورست الباخرة فى ميناء « شيمونوسيكى » ثغر نيبون الجديد . وبعد ان اقمت هناك ساعة واحدة ركبت القطار السريع الى طوكيو عاصمة اليابانيين فوصلناها فى ٣٢ ساعة .

اما ماشاهدته فى بواخر اليابان وقطاراتهم من الانتظام والنظافة والظرافة ، وما رأيته فى فنادقهم من العدد والخدمة فلا اغالى اذا ما قلت انه يصعب على المسافر ان يشاهد مثلها فى اوروبا وما شئت فقل عما فى بلاد اليابان من الامن والرفاه والصداقة والاعتماد بصورة لايمكن ان يشاهد لها مثيل فى جميع بلاد العالم .

ولقد لهجت الصحف اليابانية بذكر اعمالي الحربية وتقولت بعض الاقاويل حول مهمتي وسفري . وقابلني عدة مكاتبين للصحف وسألوني اسئلة عديدة عن احوال المشرق الادنى وتركيا وبلاد العرب وغيرها من البلاد الاسلامية فاجبتهم باجوبة شافية بصورة دقيقة كما ينبغي .

وبعد ان اقمت شهراً في طوكيو وعشرة ايام في « يوكوهـاما » ركبت متن البحر على الباخرة اليابانية « كامومارو » فوصلت مدينة « كولومبو » في ٣٧ يوما . ولما كنت بعيداً عن اهلي وبلادي منذ سنة ١٩٠٧ فقد قر رأيي على ان ازور العراق اولا ثم اذهب الى الحجاز ثانياً . وبعد ان اقمت في بغداد ٢٠ يوماً رجعت الى بومباي وركبت البـاخرة فوصلت ثغر جدة — هدفي — في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٢٠ .

وكانت الاوامر السنية قدوردت من مكة المكرمة الى قائد ثغر جدة الزعيم رشدي بك بوجوب مساعدتي واجراء التسهيلات في سفري ولذلك فقد اهتم المومـا اليه بالامر ومهد لي السبل فوصلت بمدة وجيزة جداً الى البلد الحرام . وقبل وصولي بساعة استقبلني رجال صاحب الجلالة الهاشمية وحاشيته . وبعد ان تطوفت بالبيت العتيق ذهبوا بي الى المنزل الذي اعده جلالته لاقامتي خصيصاً . وبعد ان استرحت برهة قليلة لبست ثيابي الرسمية ومثلت بين يدي صـاحب الجلالة الملك حسين وعرضت وثائقي والرسائل التي اتيت بها . فوافق عليهـا جلالته بعد ان امعن النظر في قراءتهـا . وبعد عدة ايام زرت جميع الوكلاء والوزراء والمقامات العالية في مكة زيارة رسمية . وقد ادب صـاحب الجلالة مأدبة ملكية فاخرة في ثكنة جرول تكريماً لي وتكرم جـلالته فاجلسني معه على مائدته وهذا دليل على توجه جلالته الي وعطفه علي .

ثم حصلت على ارادة ملكية بزيارة وحدات الجيش الهاشمى والمدرسة الحربية ولم اشاهد نقصاً اوتقصيرا فى اعزازى واكرامى اثناء زياراتى كلها . ثم زرت صاحب السمو الملكى الامير زيد المعظم عدة دفعات فشاهدت من سموه ماشاهدت من جلالة والده من الحفاوة والاكرام اللذين لامزيد عليهما. حتى انه انعم على بجنبية ذهبية (خنجر خاص بالشرفاء) بصفة تذكار للمودة والصميمية . وكنت احضر كل يوم المجلس الملكى العالى من العصر الى آخر وقت من الليل وكنت انتهز الفرصة فاعرض على جلالته مايجب عرضه من المعلومات المتعلقة بامور المشرق الاقصى وابين احوال الجيش الاحمر والفجائع البلشفية وغير ذلك حسب المهمة التى انتدبت لايفائها . وبناءً عليه فقد وعدنى صاحب الجلالة الهاشمية بانه سيحرر اربعة مناشير تتضمن الوعظ والارشاد الدينى الى جميع مسلمى المشرق الاقصى والحكومات الاسلامية فى روسيا وانه سيختمها بختمه المبارك ويحتوى المنشور الذى وجه الى مسلمى المشرق الاقصى — علاوة على الختم المبارك — على الختم الرسمى للديوان الهاشمى العالى . ونحن نضرب هنا صفحاً عن ذكر نصوص المناشير التى ارسلت الى سائر دول المشرق الاقصى لعدم علاقتها بالموضوع الذى نحن بصدده ولكننا نأتى على ذكر المنشور الدينى وكنا نود ان لو اتيح لنا نشر نص ذلك المنشور المهم الا انه لسوء الحظ لم يبق لدينا نسخة منه ولهذا فاننا ننشر فيما يلى خلاصته معربها عن جريدة روسية تمكنا من الحصول عليها واليك ذلك :

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الانبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه اجمعين .

من الحسين بن على الى جميع المسلمين فى المشرق الاقصى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته نكتب اليكم هذه النصيحة لارتباطنا واياكم باحكام الدين المحمدى المنيف قلباً وقالباً وقد اطلعنا من الاخبار الواردة الينا من الاقاليم الاسلامية المختلفة فى الايام الاخيرة وعلى الاخص ماعلمناه من الشخص المحترم حامل رسالتنا هذه ؛ انكم الآن على جانب مهم من المشاكل الحياتية ولا زلتم تقاسون انواع المشاق والمتاعب الدنيوية . ولايسعنا ونحن فى البلد الحرام الا ان ندعوا الله عز وجل فى البيت العتيق والمسجد النبوى الشريف بان يسهل اموركم ويسعد احوالكم واول نصيحة دينية نوجهها اليكم هو التمسك بالحق وعدم الانحياز عن طرقه ونسأل الله عز وجل ان ينصر المؤمنين وان مع العسر يسرا .

واننا ننبهكم بمقتضى احكام ديننا المقدسة فاذ كروا الله كثيراً ولا تضلوا فى سلوك طريق الحق وخاصة فى مثل هذه الادوار الرهيبة المملوءة بالفتن والفساد. وما اسعد الذين اطاعوا الله ورسوله وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فانهم سيلاقون ربهم غداً بيض الوجوه وسيكون حظهم السعادة والرفاه انشاء الله تعالى . وهذا الامر هين جداً اذ يكفى لنيل كل ذلك ؛ ان يخاف الرجل الله وان يتجنب العمل السيء . لان رأس الحكمة مخافة الله . ويجب على العاقل ان يفكر بالعواقب فى كل عمل يأتيه اوطريق يسلكه . ويجب الاجتناب عن كل حالة ظاهرها حسن وباطنها ضلال . واياكم والاحوال التى لاتأتلف مع القوانين الالهية ولا تغتروا بالاضاليل بل ينبغى على كل منكم ان لاينقاد الا الى الشعور الذى يوحيه له وجدانه الطاهر النزيه والايتدهور فى مهاوى الاخطار بسلوك السبل المخالفة للشريعة الغراء واعلموا بان القانون الازلى الذى يدير الكون. باجمعه

لن يتبدل ولن يستحيل ابداً مادام الليل والنهار وان الصلح والسلام العام قائمان بهذا القانون والسلام على من اتبع الهدى وسمع فاوعى . تحريراً في مكة المكرمة لثمان خلون من شهر ربيع الثاني سنة ١٣٣٩ هجرية على صاحبها افضل الصلاة واز كى التحية .

الحسين بن على

وعدا ذلك فقد تلطف صاحب الجلالة الهاشمية واعطاني بعض قطع من كسوة الكعبة المعظمة ومن ستار الضريح النبوى الشريف واوصاني بايصالها الى مسلمى المشرق الاقصى للتبرك وكان على بعض هذه القطع المباركة آيات قرآنية مكتوبة بالتطريز الذهبي . ولما انتهت مهمتى استأذنت جلالته بالعودة فاذن لى بذلك وغادرت مكة الى جدة في ٥ كانون الثاني سنة ١٩٢١ ومن هناك ركبت الباخرة « بحرين » فاقلتني الى بومباى بظرف ٢٥ يوماً . ولم يسعدني الحظ بالذهاب الى جنوبى روسية لانى لما وصلت الى جدة علمت بان جيش الجنرال بارون «فرانكل» قد اضمحل وان بقية السيوف من الجند قد تراجعوا الى الاستانة بحالة يرثى لها ولهذا فلم تبق لى اى حاجة بتفتيش الحركات الحربية في جبهة جنوبى روسية فقررت الذهاب الى سيبريا تواً ثم ركبت متن الباخرة « ديلوارا » من بومباى فوصلت ثغر « شانغهاى » في ٣ مارت ١٩٢١ بعد ان قضيت في البحر ٣٥ يوماً وفي اليوم التالي اخذت البرقية المستعجلة الآتية من سمەنوف :

عن بور آرتور   رقم   ٢٧٤٢

القادرى   بشانغهاى -- المشرق الاقصى

ارجو قدومكم الى بور آرتور بالسرعة الممكنة .

٥ مارت ١٩٢١   آتامان سمه‌نوف

وقد عجبت لمجيء البرقية من ثغر بور آرتور لانى لماذهبت الى الحجاز تركت مقر القيادة العليا فى مدينة « جيتا » وهذه المدينة تبعد عن ثغر بور آرتور ثلاثة آلاف كيلو متر تقريباً فسألت نفسى قائلاً : ماذا يعمل القائد العام للجيش الروسى فى بور آرتور وبينما انا افكر فى هذه القضية واذا بالموسيو « اوشينسكى » قدفاجأنى بزيارة غير منتظرة وكان هذا الرجل رئيساً للمحاكم فى جيتا وبينما أنا اسائله عما يفعل هنا واذا بمفتش السوقيات العسكرية الجنرال « مه‌دى » قد مثل امامنا ايضا .

فصرخت فى وجههما قائلاً : ياهؤلاء ماذا دهاكم وماذا تعملون هنا . اخبرونى لارى ماهى حالة الجيش وكيف حال آتامان ؟! ...

فبدأ « اوشينسكى » بالجواب واخذ يصف الحالات التعيسة التى جرت وكلها آلام ونكبات ثم قال : « كانت اوضاعنا الحربية أثناء ذهابكم جيدة نوعما . ولكن دولة الحكومات المتحدة الامريكية قداستاءت واضطربت من جراء احتلال اليابان لبلاد سيبريا الشرقية وبنتيجة المذاكرات التى دارت بين امريكا واليابان فقد قررت الاخيرة الانسحاب عن مقاطعة ماوراء بايكال واخلتها فى حزيران وتموز . ولم تكتف بهذه بل اخلت ايضاً مقاطعتى « زا آمور » و « برى آمور » وحشدت جميع قواها المسلحة فى منطقة « ولادى فستوك » واعلنت بصورة رسمية انها لاتتداخل بعد فى امور روسيا الداخلية ؛ فأدى

انسحاب الجيوش اليابانية من سيبريا الشرقية؛ الى وقوع اضطراب وخوف شديدين فى الجيش الروسى وفسد الامن فى الداخل فاضطر اكثر القواد البعيدى النظر الى ترك الخدمة فى الجيش وسافروا مع عيالهم الى اليابان او امريكا او اوروبا وهاجر الاشراف من تلك البقاع ولم يكن فى وسع الحكومة العسكرية ان تقف امام هذا التيار. ولاشك بان هذه الفوضى التى سادت فى نفوس وجهاء البلاد فى مناطق تبعد عن الجبهات الحربية مئآت من الكيلو- مترات ؛ قد اثرت تأثيراً سيئاً فى الجيش المحارب وفى القطعات التى تذهب لتقويته وامداده من حين لآخر ، وزلزلت قواهم المعنوية ايما زلزال . وكان الجيش آنئذٍ مرابطاً فى جبال « بابلونوا » فبدأت هنا تتكرر نفس نكبة اومسك . وترك الجيش جبهة الحرب فسقطت مدينة « ورخنى اودينسك » اما الجيش الراجع فلم يأخذ نفسه الاخير الا على مسافة ٣٠ كيلوا مترا عن مدينة جيتا . وقد اوقف هجوم العدو من قبل الفرقة التترية الاسلامية التى ارسلت لتقوية الجيش المتراجع . وتمكنت من اشغال العدو الهاجم الى ان اخليت مدينة « جيتا » تماماً . فاخليت جيتا والتجأ الجيش الى مانشوريا دفعة ثانية كما كان فى سنة ١٩١٨ . وقد اصطدمت الفرقة التترية الاسلامية بالعدو عدة صدمات حتى امحيت عن آخرها وقد اتضح من محاربات الرجعة هذه؛ درجة فائدة التشكيلات الاسلامية . ولم يمض زمن طويل حتى تمكن البلاشفة من الاستيلاء على مقاطعات ماوراء بايكال وآمور وتقدموا من جهة الشمال الى بلاد الياقوت وشبه جزيرة كامجاتكا .

وقد انتج ظفر البلاشفة هذا الى تأسيس جمهورية بلشفية جديدة على انقاض الحكومة البيضاء المندرسة وسميت هذه بـ « جمهورية المشرق الاقصى »

اما بقية السيوف من جيشنا المفلول فقد تمكنت من الالتحاق بارض مانشوريا بشق الانفس . ولما رأى الصينيون ما رأوا من سطوة البلاشفة اخذتهم الدهشة وخافوا من وقوع الحروب فى اراضيهم فبادروا الى نزع السلاح والذخائر من الجيش المنهزم ونقل الجيش الاعزل بحماية اليابان الى مدينة « غروده كوفو » العسكرية الكائنة على سكة حديد اوسوريسك والجيش هناك مقيم فى الثكنات . وقد سمح له اخيراً باعادة بعض اسلحته البسيطة لحفظ اموره الداخلية وهو الآن فى « غروده كوفو » بضيق وضنك لا مزيد عليهما . اما القائد العام وهيأة اركان حربه فهم فى ثغر بور آرتور تحت حماية الجيش اليابانى .

« وكانت جميع هذه الانكسارات من حصة الجيش الاول وحده لان الجيش الثانى — وهو الذى يقوده الجنرال فون « اون غرن » فانه بعد انسحاب الجيش اليابانى توجه الى سمت مجهول فى جهة مونغولستان . والجيش الثالث المتألف من بقية السيوف لجيش كابل فانه قد انفصل فى حينه من جيش سمه نوف ورحل مع جيش اليابان الى ثغر ولادى فستوك وهو الآن يقيم فى مدينة « نيكولاسك اوسوريسك » والجيش المقيم فى « غروده كوفو » هو الجيش الاول فقط . هذا وان الماريشال سمه نوف وان كان لم يزل لحد الآن يعرف رسمياً بعنوان قائد الجيوش الثلاثة ؛ الا ان الجيوش المذكورة ليست منقادة له حقيقة . . . وغيرها . . . وغيرها . . . » وهنا انتهى كلام اوشينسكى .

وقد ارتخت مفاصلى لهذه الاخبار السيئة وهكذا خابت المساعى التى بذلتها خلال السنوات الاربع فواسفاه ! . . .

ذهب الزائران ولم يبق لدى شوق او راحة فذهبت من ساعتى الى مركز البرق ووقفت على الآلة وطلبت مدينة بور آرتور وعند استيضاحى القضية من



الميجر جنرال صديق رسول القادري فى المحاربات الدموية التي وقعت في سيبريا
الشرقية غضون الرجمة العمومية سنة [١٩٢٠]

الجنرال « كارجه » رئيس اركان الحرب العام تبين صدق اقوال « اوشينسكى » برمتها .

وفى اليوم التالى ركبت الباخرة « سكاكى مارو » فوصلت ثغر « داير ن » فى ثلاثة ايام وركبت القطار السريع من هناك فوصلت ثغر بور آرتور بظرف ساعة واحدة فاستقبلنى فى المحطة عدة ضباط من الروس ومرافقى الخاص . واليأس باد على محيا الجميع .

وبعد ان حييتهم والدموع تتساقط من الاعين . ذهبت الى قصر القائد العام وقابلت الماريشال سمه نوف وعقيلته المصونة بكل صميمية . فبارك لى القائد العام وهنأنى برتبتى الجديدة وهى رتبة « لواء » وخاطبنى بقوله :

« بناء على خدماتكم الصادقة والممتازة ، ونظراً لما ابرزتموه من الشجاعة والاقدام انتم وفرقتكم فى حروب نهر اينفودا ؛ فان المجلس الوطنى قد انعم عليكم بتاريخ ١٥ حزيران ١٩٢٠ باسناد رتبة لواء [ميجر جنرال] مكافأة لما قمتم به من الاعمال . فاهنئكم يا قادرى واعزيكم فى وقت واحد . اهنئكم لهذه الرتبة السامية التى يندر ان يحوزها غيركم فى هذه الحداثة . ولا اجد مناصاً من تعزية رتبة لواء بدون جيش !! . . . »

وبعدها شربنا الشامبانيا وسهرنا تلك الليلة نتطارح الشكوى والاسى حتى اصبح الصباح وقد نسينا كل شئ واهملت النصيحة الدينية التى قدمت بها من مكة لانه لم تبق حاجة لها . وقد تضاعف الكدر والحزن عندما نقلت لهم اخبار نكبة جيش « فرانكل » وهكذا تلاشت الادارة القانونية والآمال القيصرية فى روسيا بصورة قطعية وتحكمت فيها الباشفية والفوضى بعد اربع سنوات . وهذه صورة الفرمان الناطق بترفيعى الى « لواء » معرب عن الروسية :

الارادة السامية

القائد العام للجيوش الروسية في سيبريا الشرقية ورئيس حكومة سيبريا القانونية واتامان جميع فرق القوزاق .

العدد ٥٣

المادة ١

بور آرتور فى ١٦ نيسان سنة ١٩٢١ .

لقدانعم على الزعيم [كولونيل] صديق القادرى احدقواد الجيش القيصرى الروسى برتبة « لواء » [ميجر جنرال] فى الجيش الروسى وذلك مكافأة على ماابرزه من الخدمات السامية الممتازة وعلى النجاح الذى احرزه فى محاربات البلشفيك .

ويعتبر الفرمان من تاريخه .

ختم الحكومة الرسمى — الرئيس الشرعى

الامضاء : اتامان سمه‌نوف

مطابق للاصل : مرافق الرئيس الشرعى الرئيس [كابتن]
سيف الدين

وفى اليوم الثانى اقيمت مأدبة رسمية شائقة لجميع امراء وضباط الجيش الروسى فى نزل « ياماتو » من قبل القيادة العامة بمناسبة عودتى وترفيعى فاجتمع فى قاعة المجلس مايبنوف على مئة ضابط من اصحاب الرتب الكبيرة . وعند تناول الطعام نهض القائد العام وتلى على الحاضرين خطبة مؤثرة وجيزة ومما قال فيها :

« لوكان لدى بدلاً من هذه الرتب الضخمة عشرة من امثال القادرى الصادق الغيور لما كنت ارى نفسى الآن ملتجئاً ذليلاً فى قاعة بور آرتور التى سلمها اجدادنا بالخيانة؛ بل لكنت واقفاً بصفة منقذ كبير فى موسكو . ايها الامراء المحترمون ! ان اهمالكم ودسائسكم قد افنت الجيش وسلمت جميع منابع الثروة فى روسية الى ايدى البلاشفة ... فوااسفاً ووالهفاً ووا كدراً !!..اه»

بقيت فى بور آرتور اربعة اسابيع واشتركت فى المؤتمر الحربى الاعلا الذى انعقد فى تلك المدينة والذى مر ذكره فى الفصل الخامس. وبعد انتهاء المؤتمر بيومين رحلت الى موقدن بقصد الذهاب الى مركز الجيش فى مدينة « غروده كوفو » فاستقبلنى فى المحطة افراد الجيش الروسى الملتجى وضباطه وجناب رئيس الشورى الاسلامى الاعلا « محمد عبيدالله عبدالحى قربان على حضرت » ومعيته . فاسترحت فى هذه المرة اسبوعاً كاملاً فى موقدن زرت فى خلالها القائد المشهور « جان تسولين » والى مقاطعة مانشوريا وقائدها والجنرال كيس قائد موقدن اليابانية ، والجنرال « آفاناسيف » وزير حربية روسية السابق . وعدة ذوات معتبرين آخرين وحضرت الولائم التى اقاموها لى . ولما سمع مسلمو هاتيك الربوع بقدومى اوفدوا وفداً لمقابلتى برياسة امامهم المسمى « ابوبكر آخوند » وطلبوا منى بعض الايضاحات عن الحرمين الشريفين . فاعطيتهم الايضاحات الكافية التى تهمهم؛ باربعة مجالس عامة ساعدت حكومة الصين على عقدها .

ثم طبعت هذه الخطب وارسلت عدة نسخ منها الى المسلمين القاطنين فى « بكين » و « تين شين » و « خانقاو » ولا ارى حاجة لذكر هذه الخطب ونشر صورها لعدم علاقتها بالوضوع الذى نحن فيه الا انى سانشر جميع ذلك

مع الاعمال التى تعود الى المسلمين الآخرين وتفاصيل رحلتى الى الحجاز فى كتابى المسمى (العالم الاسلامى للمشرق الاقصى) والذى عقدت النية على نشره فيما بعد .

وعدا ذلك فانى لما قدمت موقدن واقمت فى نزل مياقو كان كل من حضرات « محمد عبيدالله عبد الحى قربان على حضرت » والجنرال «كيس » والجنرال « آفاناسيف » قد اقام لى مئادب فخمة ورسمية وكان الحاضرون يجاذبوننى اطراف الاحاديث ويلقون الاسئلة حول العالم الاسلامى وحول سياحتى الى بلاد العرب فكنت القى الخطب المحكمة عليهم واعطى الاجوبة الشافية لهم وهذا مما ادى الى جعل منزلة دينية لى فى قلوب مسلمى البلدة وقد شيعونى عند سفرى تشييعاً لطيفاً ينم عن شعور دينى عظيم. ثم وصلنا (خاربين) فجرى لنا هناك اكثر مما جرى قبل ذلك فاضطررت الى المكث هناك عشرة ايام وبعد ان نشرت عدة مناشير دينية ذهبت الى المعسكر فى « غروده كوفو » فوصلت المعسكر وانا مرتد الملابس الرسمية العسكرية فاستقبلت فى المحطة من قبل جميع العساكر المسلمة . وقد تطارحنا الشكوى والاسى كثيراً مع الجنرال « ساوليف » قائد القوى الباقية ؛ ولم اشاهد هناك فرداً من جنود فرقتى ؛ بطبيعة الحال . ذلك لانى قد حملت الصلبان البيض والحمر ، وعلقت الاوسمة المختلفة ، ولبست الملابس العسكرية المزركشة وحصلت على ماحصلت عليه من الرتب والالقاب كل ذلك كان مقابل الدماء الزكية التى اراقتها فرقتى ؛ وقد ابيدت عن آخرها فى محاربات المؤخرة « دمدار » وظلت بعض افواجها المضمحلة وقد كانت آنئذ فى المعسكر الا انهم لم يكونوا من القوة والنشاط بدرجة يتمكنون بها من الاشتراك فى مراسم الاستعراض ولهذا فلم يخرجوا لاستقبالى فى وقته .

ولم اتمكن من البقاء طويلا فى « غروده كوفو » فذهبت الى اليابان بطريق ولادى فستوك وكانت هذه المدينة فى قبضة البلاشفة الا انهم خافوا من هياج افكار المسلمين ولم يتعرضوا لى بادنى اذى ولم يحولوا دون سفرى فى حين انه كان من المتعذر ان يسمحوا بمرور جندى واحد من الجنود البيض فضلا عن ان يسمحوا بمرور قائد مثلى ، ولا اغالى اذا ما قلت بانهم كانوا يمزقون كل من له ادنى علاقة بالجيش الابيض . الا انهم لم يتعرضوا لى اثناء مرورى من بينهم حتى ان بعض موظفيهم كانوا قد عملوا لى بعض التسهيلات والمساعدات اثناء سفرى . وكان والى ولادى فستوك البلشفى موسيو « بورين » قد طلب مواجهتى فرددت طلبه هذا بكل شدة وافهمته بان ليس بامكانى مقابلة اى شخص غير قانونى . ثم غادرت الثغر فى اليوم التالى على ظهر باخرة يابانية فوصلت جزر اليابان فى ٢٢ ساعة ولما وصلت طوكيو اشتدت لهجة المطبوعات هناك ، واشتاقت الصحافة اليابانية الى اخذ معلومات مفصلة عن احوال العراق والهند والحجاز وبلاد المشرق الادنى وخاصة لكونى قد زرت هذه البلاد بعد الحرب العامة. وتقاطر مكاتبو الصحف على بدرجة انى كنت اقبل كل يوم عدة مكاتبين واعطى لهم الايضاحات المقتضية واتبادل معهم المناقشات الطويلة العريضة فيما يخص المشرق الادنى ؛ الامر الذى ادى الى شدة تعلق اليابانيين بامور المشرق الادنى وكانوا يدعوننى الى الحفلات الكبار والمجالس الرسمية والاجتماعات العامة بقصد ايضاح الحالة . وقضينا ساعات بل اياماً عديدة ونحن خائضون فى المباحث السياسية والاجتماعية والدينية والادبية مما يعود الى بلاد المشرق الادنى والاوسط ، وحول الهند ومسلميه ومسلمى افريقية ومصر وزغلول وايران والحركات

الوطنيــة الاناطولية والخلافة والاتراك والعرب والحجاز والاستانة وبغـداد والشام والقدس ومكة وغير ذلك . وبهذه المناسبة فقددعيت الى مآدب اكابر رجال الحكومة اليابانية وتناقشنا كثيراً حول هذه الامور المهمة وعجبت كثيراً من تهالك اليابانيين المشتهرين بالسكينة والتوأدة ؛ على الاطلاع على امور المشرق والادنى والاوسط بصورة يعجز قلمي عن وصفها . حتى كأن جزيرة « نيبون » لم تعد لتستوعب جميع آثار المدنية اليابانية ومصنوعاتها ورؤوس اموالها فلهذا تجد اليابانيين يفكرون فى نقل بعضها الى الخارج وخاصة الى جميع قارة آسيا ومقاطعاتها . ويبذلون جهدهم فى سبيل احياء الحضارة الاسيوية واعادة سطوة المشرق الى سابق عهدها وتحمل هذه العاهلية الاسيوية التى لها مكانتها بين الدول العظمى ؛ آمالاً جساماً تجاه الامم الشرقية وتسعى بكل ما فى وسعها لتأسيس العلائق الودية بين العالم الاسلامى والاتراك والعرب وايران ومصر ولا تزال الامة اليابانية ساعية للتقرب من هذه الامم فى كل آن .

واغتنمت الفرصة أثناء اقامتى فى طوكيو وزرت عـدة دفعات ؛ كلاً من « خارا » رئيس مجلس الوزراء ، وغراف « اوجيدا » وزير الخارجية ، وغراف « ماتسودايرا » رئيس الفرع الاوربى فى وزارة الخارجية ، والماريشال « تاناكا » وزير الحربية ، والفريق « تاناكا » رئيس الاركان الحربية العامة ، والمركيز الشهير « اوكوما » رئيس المجلس الامبراطورى الخاص ، والبارون « غوتو » وزير الداخلية الاسبق ، وسفراء دولة انكلترة وفرنسة والمانيا وايطاليا وغيرهم . وزارونى هم ايضاً .

وقد دام ضجيج الصحافة اليابانية بذكر خطبى ومحاضراتى التى نوهت عنها سابقاً وادى ذلك الى بعض القيل والقال وبعض مجادلات سياسية . ولم تسمح

الحكومة اليابانية بقبول الرسالة التي بعثها معي جلالة الملك حسين الى امبراطور اليابان وذلك لان حكومة اليابان لم تكن معترفة في حينه بالحكومة الهاشمية الحجازية فلهذا لم اتمكن من حمل غراف « ماتسودايرا » رئيس الفرع الاوروبي في الوزارة الخارجية ؛ على قبول تلك الرسالة واعتذر الى بان لارابطة تربط اليابان بمكة التي هي مركز ديني صرف ولا علاقة تجارية او سياسية بين الحجاز واليابان وكان جوابه لي على الطريقة الآتية :

« اننا نود قبل كل شيء ان نحدث العلائق الودية بين تركيا وبلاد المشرق الادنى . وبدرجة ثانية مع مصر وبلاد فارس وليس لنا اي فائدة في الحجاز او في مكة . واذا كان في نية الحكومة الحجازية احداث فرع ديني لها في بلاد اليابان بقصد تسهيل مسائل الحج لمسلمي الصين واليابان فاننا لا نمانع في ذلك ابداً . ويتمكن احد ممثلي الحكومة الحجازية في عواصم اوروبا من الاتفاق مع سفيرنا هناك على كيفية فتح ذلك الفرع . ولما كانت الحجاز مملكة لها سواحل طويلة فانه من المحتمل بعد مدة كافية ان يؤسس اليابانيون مراكز تجارية في موانى الحجاز وبهذه الصورة تفتح في وجوه رعايانا سبل التجارة الى تلك الاصقاع وحينئذ يمكن تقوية الروابط بين الحكومتين . . »

ظلت الرسالة معي وقد ابرقت طبعاً الى جلالة الملك الحسين واخبرته بالقضية براً بالوعد ووفاء بالعهد . وقد اوجس سفراء الحلفاء في طوكيو مني خيفة بمناسبة تصريحاتي عن تركيا والحركات الوطنية في الاناطول والتي نشرتها الصحف اليابانية وذلك لان وضعية الكماليين لم تكن واضحة بعد للاوروبيين فضلا عن كون الكماليين كانوا آنئذ في حالة خصام مع الحلفاء . وعدا ذلك فان بياناتي ومناشيري المتعلقة بالعالم الاسلامي قد جعلت هؤلاء السفراء

يتوهمون بانى اسعى لاتحاد الاسلام فاخذوا يراقبوننى بعين اليقظة والحذر فاضطررت الى نشر بيان يزيل ما علق فى اذهانهم من سوء التفاهم وغادرت طوكيو خشية ان يتفاقم الخطب ويسود الوهم . وقد ضربت صفحاً عن الاتيان بنص ذلك البيان وارجأته الى تأليفى المفصل المسمى « العالم الاسلامى للمشرق الاقصى » .

* * *

وبينما كنت امارس هذه التطورات السياسية ؛ نشبت الثورة فى مقاطعة « موغولستان » وقد كنت ذكرت قبل هذا خبر توجه الفيلق الثانى لجيش شرقى سيبريا الى جهة مجهولة فى اتجاه « موغولستان » بقيادة الجنرال « بارون فون اون غەرن شتەرن بركر » وذلك على أثر الانكسار الذى جرى فى سنة ١٩٢٠ . وقد وفق هذا القائد الباسل الى احتلال مقاطعة « موغولستان » برمتها بهذا الجيش المفلول وهكذا احدث هذه الثورة .

وقد اتفق هذا القائد مع الرئيس الروحانى للمغول والمدعو « خوتوختا » والذى يعده المغول كاله حى لهم وتمكن بهذا الاتفاق من الاستيلاء على مدينة « اورغا » عاصمة « موغولستان » وانتزعها من يد حكومة الصين واعلن « خوتوختا » ملكاً للمغول وجعل نفسه قائداً عاماً للجيش المغولى الروسى .

وكان هذا التطور سبباً لاهاجة حكومة الصين ، ولاقلاق بال البلاشفة الذين توهموا بان الحركات البيض قد انتهت فتنفسوا الصعداء . ولم يكتف المغول المضطهدين بهذه الحركات بل انهم بادروا الى اعلان الخصومة ضد حكومة الصين بقصد الانتقام وتمكن البارون « اون غەرن » بكل سهولة ؛ من القضاء على الجيش الصينى المرابط فى « موغولستان » واسره برمته وطرد موظفى

الحكومة الصينية الى خارج حدود هذه المقاطعة وتقدم بجيوشه الى جهةارض الصين الاصلية وعسكر بعد اسبوعين على بعد ٤٠٠ كيلو متراً عن بكين عاصمة العاهلية الصينية . ومما زاد فى الطين بلة ان المغول احتلوا مدينة « قالغان » الكائنة على السكة الحديدية فى الصين المركزية وكان الباعث الى احتلال هذه المدينة هو اعتقاد المغول بانها آخر بلدة وطنية للمغغول . ولا تسل عن التشوشات التى حصلت لدى حكومة الصين من جراء هذه الاعمال فاعلنت التعبئة العامة (النفير العام) وعهد بقيادة الجيوش العليا للجمهورية الصينية الى الماريشال « جان تسولين » القائد المشهور .

وقد كانت حكومة « خوتوختا » اقوى بكثير من الجيش الصينى الا ان البلاشفة اضطربوا من فوز انصار القيصر وخافوا من احتمال تهديدهم لهم من جهة « موغولستان » فلذلك حشدوا تجاه هذه الحكومة الجيش الاحمر الحديدى السابع وبدأ هذا الجيش يتعرض الى جهة « موغونستان » . فلم يجد البارون « اون غهرن » بداً من ان يفرز قسماً مهماً من جيشه الذى كان يحارب جيوش الصين ، وان يرسله ليحارب الجيش البلشفى من جهة الغرب. وقد تمكن هذا القائد فى بادىء الامر من صد هجمات البلاشفة وارجعهم على اعقابهم ودخل الى ارض سيبريا واحتل عدة مدن مثل « ترويفسك قوزافسك » و « كاختا » و « ورخنى اودينسك » وغيرها وخرق سكة حديد سيبريا من عدة نقاط الا انه اضطر اخيراً الى الاشتباك مع النجدات البلشفية وحدثت حروب دموية هائلة خسر فيها مقداراً عظياً من الرجال والذخائر فرجع على اعقابه الى مقاطعة موغولستان بعد ان كان قد استطاع من قطع طرق الاتصال بين موسكو و بين الحكومة البلشفية فى المشرق الاقصى بصورة كاملة . ولكنه

قد الجأته الفاقة والعسر المالى وقلة الذخائر والعتاد الى تخلية مدينة « ورخنى اوديسك » وكذلك اخلى بدون حرب كلاً من مدينتى « كاختا » و« ترويفسك كوزافسك »

لم يكن لدى القائد « اون غه رن » من حيلة سوى الالتجاء الى اليابان واوروبا وامريكا فطلب منهم الحماية والمساعدة والتمس بان يسمحوا للجيوش المرابطة فى معسكر « غروده كوفو » بالالتحاق به على الاقل ؛ فلم يكن ثمة من سامع ومجيب فاضطر هذا القائد الذى اخذت ذخائر جيشه تتناقص يوماً فيوماً ؛ الى الانسحاب الى ارض « موغولستان » وترك الارض الروسية وكان الجيش البلشفى يعقبه من خلفه ويعجز مؤخرته ومن جهة اخرى ان الجمهورية الصينية كانت قد اكملت استعداداتها الحربية وخصصت لجيوشها مايربو على سبعة ملايين من الدولارات ومنحت الماريشال « جان تسولين » سلطة واسعة جداً وعهدت اليه باخماد ثورة « موغولستان » بكل شدة وحزم . وهكذا ظل جيش البارون « اون غه رن » بين نارين ؛ نار الجيوش الصينية ونار الجنود البلشفية . واخذ يضمحل بصورة تدريجية ....

فلنأت الآن الى ذكر الجيش الروسى المفلول وحالته فى معسكر « غروده كوفو » : كان للماريشال سمه نوف فى معسكر « غروده كوفو » وحده مايربو على ٦٠ الف جندى وهم من بقية السيوف ، وكان له من الذخائر والعتاد المكدس فى انابير اليابان والصين مايكفى لتجهيز ٤٠٠ الف محارب ، فضلاً عن الملايين من الدراهم المودعة فى مصارف هاتين الدولتين . ومع كل هذه الوسائط الكافية فقد كان هذا القائد يصرخ ويستغيث دائماً من فقدان الوسائل الكافلة للاستفادة من هذه الوسائط ، لم يكن فى وسعه امداد القائد « اون غه رن »

بنفر واحد اوبدرهم واحد. فان اجتازوا الحدود الصينية اثناء ذهابهم الى هناك؛ وقعوا اسرى فى قبضة الصين ؛ وان ذهبوا من طريق سيبريا والمشرق الاقصى قبض عليهم بلاشفة جمهورية المشرق الاقصى السوفياتية ، والتى كانت تعامل الجيوش البيض اشد مما تعاملهم حكومة الصين ، وذلك لان كلا من حكومة الصين وحكومات السوفيات كانت فى حالة خصام مع القائد « اونغەرن » ولا يمكن ان يسمحوا بمرور الجند لامداده . ولاجله فلم يكن فى الامكان مرور جيش بل جندى واحد من تلك المناطق ويلتحق بجيش موغولستان .

ولنأت الان بذكر الاسلحة والذخائر الحربية : كان القسم الاعظم من السلاح والكراع العائد للجيش الابيض مودعاً فى انابير الصين وكذلك الدراهم فانها مودعة ايضاً فى مصارف الحكومة الصينية وقد اعتبر الصينيون حركات « اونغەرن » وثورة « موغولستان » هى عبارة عن حركات من قبل الحكومة البيضاء والجيش الابيض . ولهذه العلة فان الحكومة الصينية قد امرت بمصادرة جميع الاسلحة والذخائر والاموال العائدة للجيش الابيض والمودع فى مستودعاتها ومصارفها وشددوا النكير على الرعايا الروس القيصريين الذى كانوا مقيمين آنئذ ملتجئين الى بلاد الصين هرباً من الحكومة السوفياتية حتى انهم حبسوا الرجل الروسى الشهير الجنرال « خريشجاتيتسكى » [*] لهذا السبب وكنت آنئذ فى بكين ولو لم يساعدنى الانكليز فى حينه لكنت انا ايضاً من المقبوض عليهم لانى كنت هناك بصفة جنرال روسى .

وهكذا لم يتمكن القائد « سمەنوف » من القيام باى عمل نافع فى هذه الحركات

[*] الفريق « خريشجاتيتسكى » هو من مشاهير القواد الروس وقد كان قائداً عاماً للجيوش الروسية فى فرنسة سنة ١٩١٥ .

نظراً لماذكرنا آنفاً من التطورات وماكان بيننا نحن الوطنيون وبين الصينيين من العداوة التى بلغ اوارها عنان السماء . وهل يعقل ان تسمح حكومة الصين للماريشال « سمه‌نوف » بان يستلم السلاح والذخائر من انابيرها فيبعثها الى جيش « موغولستان » لكى تستعمل هناك ضد الصينيين ؟...

ولنعد الى ذكر السلاح والدراهم المودعة فى بلاد اليابان : معلوم ان الحكومة اليابانية لِما مالها من المنافع والمطامع فى الصين ويهمها امرها قبل كل احد فليس من المناسب ان يساعدنا اليابانيون ضد الصين وهم ينظرون الينا نظرهم الى عصابات لايعلم ماذا ستكون عاقبتها . ولهذه العلل فقد توقف اليابانيون عن ارسال الذخائر والاموال العائدة للقائد « سمه‌نوف » طول مدة الثورة المغولية . فهذا هو الموقف الحرج الذى وقفه القائد سمه‌نوف !...

وفى اثناء هذه المصائب كان جيش القائد اون‌غه‌رن عرضة لضربات الصينيين من جهة ولصدمات البلاشفة من جهة اخرى فلم يقو على المقاومة طويلاً . فاخلى مدينة « قالغان » المغولية واضطرت جيوش الجبهة الغربية الى الانسحاب الى داخل حدود موغولستان . ولم يلق هذا الجيش المنهزم عصى الترحال الا فى العاصمة كما هو دأبه فى الوقائع المتقدمة . فسقطت مدينة اورغا ولم تكتف الجيوش الحمر بذلك بل اهتموا بمطاردة الجيش المنكسر واخيراً تمرد القوزاق فى الجبهة الغربية على قائدهم المنكود الحظ «اون غه‌رن» وعصوا امره . وفى احدى الليالى الهادئة قام القوزاق وقتلوا جميع ضباطهم وهجموا على المقر وقبضوا على « اون‌غه‌رن » حياً وبعد ان اوثقوه سلموه مع مهمات الجيش الى يد البلاشفة . وبأسر القائد انتهت حركات موغولستان بتمامها ومحيت آثار تلك الانتصارات الباهرة عملاً بالقول المعروف « اذا ذهب الرأس فلا ترسخ الاقدام » وهكذا

اضمحل ذلك الجيش القهار بذهاب قائده . ولاشك بان هذا الفوز للبلاشفة قد ادى الى اعتلاء شهرتهم وموقعهم اكثر من الاول .

احتلت الجنود الحمر مقاطعة موغولستان وطهرتها من الجيش الابيض ولكن الصين لم تخلص من البلاء لان هذه المقاطعة لم تنقذ من مخالب الروس ولم تكن الحكومة الصينية ترتاح الى استيلاء الروس على مقاطعة مهمة كموغولستان والتى تعد من اهم مقاطعات البلاد الصينية . كما انه ليس فى وسع الصين ان تطرد الروس الحمر منها قسراً . ولذا فان الصين ركنت فى حل هذه المشكلة الى المفاوضات السلمية فبعد ان كان الصينيون لا يهتمون بعموم روسيا وخاصة بالسوفيات ، اضطروا اخيراً الى التقرب منهم والتزلف اليهم ودعوهم للمذاكرة فى مؤتمر عقدوه فى بكين وبعد مذاكرة دامت عدة اشهر تمكن الروس البلاشفة من الحصول على جميع الامتيازات القديمة التى كانت لروسية القيصرية فى الصين والتى الغاها الصينيون بمناسبة الثورة الروسية العظمى وعلاوة على ذلك فقد حصلوا على مساعدات جديدة وبهذه الكيفية خرج الروس الحمر من مقاطعة موغولستان .

وبعد هذه الفجائع اخذ الصينيون يبكون عهد « اون غه رن » ولكن بعد خراب البصرة ! . . . وقد زرت بنفسى الماريشال « جان تسولين » فى موقدن عقيب هذه الحركات فوجدته يتنفس الصعداء ويقول :

« آه ! ليتنا منحنا (اون غه رن) شيئاً من الامتيازات ، وكنا لم ندخل مع البلاشفة فى الاشتراك باى عمل ! لان الاتحاد الاخير قد كلفنا ضحايا كثيرة » .

وقد طافوا بالجنرال المنكود الحظ « اون غه رن » فى جميع انحاء روسيا مدة

خمسة اشهر ومثلوا به انواع التمثيل ثم بعد ذلك اعدموه رمياً بالرصاص فى مدينة نيونيقولايفسك . فهذه هى صفحات الثورة المغولية .

وعندى ان الجنرال « اون غەرن » لو لم يركن الى اقوال المغول وتهوسهم ، فيعلن الحرب على الصين ويكبدهم خسائر فعلية جمة لكان النجاح حليفه بدون شبهة ؛ لان الصين كانت تسمح لجيش سمه نوف بالمرور من بلادها بدليل اننا لما احسنا المعاملة مع الصينيين فى سنتى ١٩١٨ ، ١٩١٩ كان الصينيون قد ساعدونا مساعدات حسنة ، مالية وبدنية لما قمنا بالحركات الحربية فى مقاطعة مانشوريا . ولهم الحق فى حادثة « اون غەرن » الاخيرة لانهم لم يرتاحوا بطبيعة الحال الى حركات تودى باستقلالهم القومى واحتلال مقاطعة جسيمة تعد من اجزاء بلادهم الحيوية ؛ احتلالاً حربياً . ولا يخامرنى اقل شك بان الصينيين كانوا يسمحون للجيوش البيض بان يتخذوا مقاطعة موغولستان قاعدة حربية لحركاتهم العسكرية ؛ لو لم يعلن الجنرال « اون غەرن » الحرب عليهم . وكان فى وسع الجيوش البيض ان تلم شعثها فى هذه المقاطعة وتقلق بال البلاشفة دائماً ان لم يكن فى وسعها القضاء على الجيوش الحمر . ولكن عدم اطلاع الرجال العسكريين على امور السياسة هو الذى انتج هذا الخطأ الفاضح وكم قد اضعنا من ظفر لهذه العلة .

ان المرحوم « اون غەرن » كان من اعز اصدقائى ويعد نادرة فى الاقتدار والشجاعة والنشاط . وانى ارجحه وارجح حركاته العسكرية والحربية بكل فخر ؛ على جميع حركات القواد والامراء العسكريين فى المشرق الاقصى . ولكن الرجل لا تضلع له فى السياسة فهو قائد من الدرجة الاولى ولكنه لاشئ فى الامور السياسية . وكان قاسياً فى العقاب ولم يشاهد وقوع السكر او شرب

الخمر فى معسكراته على ما اشتهر به الروس من معاقرة الخمور ؛ ولم يكن احد يتمكن من تفريقه — من حيث الرأى والخشونة والحياة الشخصية — من احد الجنود الاعتياديين . ولم يكن يرغب فى الدبدبة والاحتشام بل كان سليم القلب جداً ويحب العدل ويعمل به ولكنك من جهة اخرى تجده سفاحاً سفاكاً .

وقد تمكن الماريشال سمه‌نوف بعد انتهاء امر « اون‌غه‌رن » من احداث ثورات عديدة ضد البلاشفة فى كل من مدينة «ولادى‌فستوك » و « نيكولسك اوسوريسك » وغيرهما وذلك بمساعدة اليابان وتمكن بكل نجاح من ادارة ثورة ولادى فستوك وهو فى مدينة بور آرتور . وقد قضى على الحكم البلشفى فى تلك الربوع بسرعة نظراً لضعف سيطرتهم هناك ولوجود الجيوش اليابانية الممالئة للجيوش البيض واستلم زمام الحكم هناك اقرب الناس الى الماريشال ولكن فكرة « لا يأتلف روسيان فى محل واحد » قد قضت بان يقلب هؤلاء المقربون جداً الى الجنرال ؛ ظهر المجن لصاحبهم . فان هذه الثورة التى دبرها سمه‌نوف بفكره وبماله وسلمها الى اخص اصدقائه ومعاونيه وهو موسيو « سبيريذون ميركولوف » العضو السابق فى مجلس الدوما اصبحت ضده . وان هذا الرجل قام فى وجه سمه‌نوف ولم يعد يذعن لاوامره بل ولم يعترف به . اما القائد الوطنى سمه‌نوف فانه لم يتأثر من هذه الاعمال لانه كان يجعل المنافع الوطنية فوق الشخصيات فمال الى الوفاق والتفاهم مع حكومة ولادى فستوك الجديدة وسلم اليها البقية الباقية من الجيش والمهمات والذخائر الا ان حكومة ولادى فستوك لم تقبل هذه الهبة بدعوى انها لا تملك من المال ما يكفى لاعاشة هذا الجيش كما انها لا تنوى القيام بحركات حربية تجاه البلاشفة . اثر هذا

الرد فى نفس الماريشال تأثيراً كبيراً واعتراه اليأس فجمع معيته وقام بجولة بين جميع وحدات الجيش دامت عدة ايام ثم اعلن بيانه المشهور ذا الرقم ٣٩١ فسرح به الجنود تسريحاً تاماً وذهب هو بنفسه الى بلاد اليابان مختاراً العزلة .

وهنا تنتهى جميع حركات الجيش الابيض الروسى فى المشرق الاقصى واليك نص البيان الاخير الذى نشره القائد سمه‌نوف والذى سرح به الجنود البيض فى جيش المشرق الاقصى :

« بيـان من الجنرال اتامان (غريغورى ميخائيلوويج سمه‌نوف) القائد العام لجميع الوحدات البريه والبحريه والهوائيه لجيش المشرق الاقصى الروسى ، والرئيس الشرعى لحكومه شرقى سيبريا الموقته ، واتامان جميع فرق القوزاق لمقاطعه سيبريا من جبال اورال الى ما وراء الشرق . »

العـــــدد — ٣٩١

التاريخ — ١٢ آب (اغستوس) ١٩٢١ — المقر العام فى ولادى فستوك

« المادة — ١ — مضت علينا سنون اربع ونحن جميعاً هاجرين عيالنـا واطفالنا وجيراننا ، تاركين جوامعنا وكنائسنا ، نابذين وطننا المقدس الذى نستنشق طيب هوائه ونرتوى عذب مائه ، وقضينا تلك المدة فى هذه البلاد التى لا يألفها حتى الحيوان والتى يكون دونها الزمهرير . قد سلم مئات الالوف من البشر ارواحهم العزيزة لحد الآن كل ذلك فى سبيل غايتنا الشريفة وجل قصدنا هو استرداد حقوقنا المهضومة ، وحماية دياناتنا التى محقت وهدمت واهينت ، وتعزيز ناموسنا القومى الذى صدعه الطغاة . ولن تتغير غايتنا هذه مادام الليل والنهار . وقد كنا متداول الامر قد احطناكم علماً واستطلعنا رأيكم فى القضية

فرضيتم . ولا لوم علينا ولاعتاب من جراء الدماء التى ارقناها والاماكن التى دمرناها أثناء قيامنا بالاعمال الحربية ولانخشى تبعة آلهية او وجدانية ؛ لاننا لم نعمل شيئاً من ذلك باختيارنا بل الجأتنا الضرورة اليه لاننا انما قمنا بذلك العمل لكى نؤدب زمرة غاشمة تسعى لتبديل قوانين الخلقة .

« ايها الزملاء ! ان الله تعالى بذاته لم يجعل جميع البشر متساوين بل خلقهم اطواراً فكيف بنا نحن البشر ؛ هل يمكن ان نكون متساوين فاذا كنا جميعاً اصحاب معامل فمن اين نأتى بالعمال واذا كنا ملاكين فمن يكون فلاحاً وكذلك اذا صرنا قواداً فانى لنا الجند ، او ملوكاً فمن هم الرعية ؟ ولو لم يكن البشر على الصورة التى نراها من التسلسل فكيف يمكن ان نعيش ياترى ؟ ويجب ان تطمئنوا بان جل غايتنا هو رضاء الله تعالى . ونحن الآن فى الدرجة التى نالها شهداؤنا وان كنا لم نزل احياء ً فليست كل اكثرية على حق كما انه ليست كل اقلية على باطل ؟ فكل ظالم يسطو فى اول عهده ويخرب ويعلو ويقوى ويظن بانه لايموت ثم لايلبث ان يضمحل وتطفى نيران المظالم بنور الحق المنبثق من نقطة ضعيفة اومن زاوية لم تكن فى الحسبان . فهذه هى حالتنا نحن !!..

« نعم !. اننا اقلية ضعيفة ولكننا اقلية فى جانبها الحق. والآن قد غلبنا ظاهراً وطردتنا مدافع الظلم وقذائفها الجهنمية فى آخر العهد ؛ من اوطاننا وتراث ابائنا واجدادنا واجبرتنا على الالتجاء الى الديار الاجنبية . وذهب سلاحنا ولكن لا تيأسوا ايها الجنود البواسل ولاتحزنوا .

« ونظراً لعلمى بوجود شرارة فى اعماق قلوبكم لاتطفيها الدهور وانها باقية الى الابد فان الظروف قد الجأتنى الآن الى اصدار الامر بتسليمكم السلاح الذى بايديكم وهذا شئ عارض . وانى معتقد بان اسنانكم ستكون سيوفاً

واظفاركم حراباً والاحجار تذائف ؛ اذا قضت الحاجة مادامت فيكم الغيرة والنخوة والحماسة . نعم ! ان طالع الحروب الذى لم يبسم فى وجه يوليوس قيصر وسواروف ونابوليون قد عبس فى وجوهنا ايضاً . ولكن اعتقدوا يا ايها القواد المحترمين وايها الضباط الغيورين والجنود البواسل بان الفراغ والملل لم يألفا قلبى ولن يألفانه مادامت حياتى .

« ها انى تارككم مضطراً ولمدة موقتة ودموعى تحدر من عينى فارجو ان لايكون غيابى سبباً لاغتمامكم وكدركم فعماقريب سأعود الى هذه الربوع . ونلبى دعوة الوطن العزيز ونستجيب دعاءه ونداءه ونهجم فى هذه المرة على البلاشفة بصورة اقوى واكمل من الاولى ونكون آنئذ اشد عزماً واقوى مراساً من ذى قبل ونتألب على اعدائنا واعداء ديننا وناموسنا القومى بل على اعداء القانون البشرى برمته .

« جنودى الاعزاء ! اننا لم نرد حكومة قيصرية او استبدادية وان ملتنا التى تبلغ المئة وثمانين مليوناً من النفوس والتى كانت بالامس معظمة ومحتشمة قد اصبحت اليوم ولا اسم لها ولا موقع فى نظر العالم المتمدين وبينما كانت دولتنا البارحة اكبر الدول واقواها واذا بها اليوم طريدة شريدة لا وطن لها ولا مأوى شأن اليهود العجزة المشتتين فى بقاع الارض النائية الاطراف . وهكذا نعود مرة ثانية الى تنكب السلاح المقدس لاستعادة حقوق افرادنا الصريحة المهضومة ظلماً وعدواناً ، ولحفظ ناموسنا الذى هتكه هؤلاء ولاسترجاع حرياتنا التى غصبوها . ولاجله فاننا سنسعى حتى ننال المرام والغاية شريفة (الحق والموت)

المادة — ٢ — اتقدم بالشكر العلنى لكل من قوادى الاعزاء ومعاونى



محمد عبيد الحي عبيد الله قربان علي حضرة رئيس مجلس الشورى الاسلامى الاعلى وقد كان من أعظم المشجعين والمعاضدين للجنرال القادرى فى حركاته .

المخلصين وهم : الفريق « ايوانوف رينوف »، « آفاناسيف »، « سمه‌نوف »، « ساوه‌ليف »، « نيكانوف »، « خريشجاتيتسكى »، « ديته‌ريكس »، واللواء « كلرجه »، « غله‌بوف »، « القادرى »، « ماغومايف » واشكر بصورة خاصة « ايوانوف رينوف »، « ساوه‌ليف » لانتصاراتهما فى الحروب و « القادرى » لما ابداه من المهارة الفائقة فى صداقته واخلاصه وقيامه بامور تأليف الوحدات بنجاح تام. ولايخفى ان استبسال القادرى وبلاءه الحسن وتضحياته النادرة لمما تستوجب الثناء العاطر لدى جميع وحدات الجيش مع العلم بان لارابطة مادية اومعنوية تربط هذا القائد المخلص بوطننا سوى علاقة الانسانية والوفاء .

وانى آسف جداً لانفصالى عن معاونى الفريدين وعن جيشى الصادق الامين بعد ان تقلبنا حيناً فى الشقاء والسعادة وقضينا سوية جميع صفحات الحرب الداخلية وذقنا حلوها ومرها مدة اربع سنوات بلا انقطاع .

المادة - ٣ — لافراد الجيش ملء الحرية بان يذهبوا من الآن الى اى محل شاؤا وان يزاولوا اى مهنة ارادوا . ويمكننا ان نحمى ارواح الباقين الى حين .

المادة -- ٣ — قد انقطع رواتب جميع الضباط والامراء والقواد والموظفين الملكيين والعسكريين والدينيين اعتباراً من اليوم . وهذا القطع موقت. ويعطى للمشار اليهم استحقاقهم من الارزاق وذلك لمدة محدودة ايضاً . ويمكنهم الاستفادة من المبانى العسكرية الكائنة فى مناطق نفوذ الجيش ولامانع لدى الحكومة من سلوك هؤلاء فى مسالك الاشتغالات الخصوصية واتخاذ المهن المختلفة على ان الموسرين منهم لايتمتعون بهذه المنح .

المادة - ٥ — قد عهد الى اللواء « القادرى » بالنظر فى امر قطع علاقات

جميع الموظفين الروحانيين والائمة والمفتين المسلمين فيجب عليهم ان يراجعوا دائرة اللواء المشار اليه الكائنة فى موقدن لحد ١٢ ايلول ١٩٢١

الجنرال اتامان : سمه‌نوف

القائد العام لجميع القوى القيصرية فى شرقى سيبريا والرئيس الشرعى لحكومتها القانونية واتامان الصحراء لاثنتين وسبعين فرقة من فرق القوزاق ، واتامان فخرى لجميع الوية القوزاق من وراء الشرق الى جبال اورال

دامت حكومة ولادى فستوك الموقتة بفضل اليابان، لان مقاطعة «بريمورسكى» كانت لم تزل تحت احتلال الجيوش اليابانية وكان البلاشفة قد قطعوا لليابان العهود بعدم التجاوز الى هذه المنطقة وعدم القيام بحركات حربية فيها ، وكان السبب الجوهرى الباعث الى ظفر (ميركولوف) وشركائه فى هذه الثورة وطردهم البلاشفة الى خارج حدود ولادى فستوك ، وتأسيسهم هذه الحكومة الموقتة هو تغافل اليابانيين واغضائهم النظر عما جرى هناك . وهكذا كان خروج ميركولوف .

وبعد ان نشر القائد « سمه‌نوف » بيانه المنشور انتظر اسبوعاً كاملاً ثم ركب بعد ذلك ظهر طرادة يابانية من ثغر ولادى فستوك وذهب الى طوكيو ثم فارقها وذهب الى « شانخاى » اما نحن فقد انفصلنا عن القائد العام وذهبنا ثانياً الى موقدن حسب الاوامر المبلغة وباشرنا باداء مهمتنا التى فرضتها علينا الاوامر المذكورة .

وفى تلك الاونه كنت قد استلمت برقية من فخامة سر برسى كوكس ، المندوب السامى البريطانى فى العراق مؤرخة فى ٢٣ آغستوس ١٩٢١ ومرقمة بعدد ٢١٥٩ اباح لى فيها بالعودة الى العراق كما ان تكاليف عديدة توجهت الى من قبل سفراء بريطانيا وقناصلها فى اليابان والصين ومانشوريا . ولهذه العوامل قد عقدت النية على العودة الى وطنى .

وفى مساء اليوم المصادف ١٨ تشرين الثانى سنة ١٩٢١ غصت محطة موقدن بالمشيعين من تتر وباشقرد وموغول وغيرهم من طبقات الامم الاسلامية ، وقسم عظيم من اليابانيين والصينيين والروس فركبت القطار تاركا المشرق الاقصى ، متوجهاً نحو بلادى وفى تلك الاثناء تقدم رئيس الشورى الاعلى للامم الاسلامية فى المشرق الاقصى وهو « محمد عبيدالله عبدالحى قربان على حضرت » والقى خطاباً وجيزاً وبعد ختامه قدم الى باسم الشورى ورق التقدير التى سآتى بنصها الآن واليك هى بحروفها:

شورى مرخصى الامم الاسلامية وممثليها   مدينة موقدن

فى المشرق الاقصى   التاريخ : ١٥ صفر الخير ١٣٤٠ هجرى

العدد : ٨٣٥

سعادة صديق القادرى باشا

طرق سمع شورى مرخصى الامم الاسلامية وممثليها فى المشرق الاقصى خبر سفر ذاتكم السامية الى وطنكم ، وهو الآن يتأسف اشد الاسف لاعتقاده بانه سيفقد صديقاً نجيباً له ماله من العظمة والنشاط .

ونظراً للمناسبات الودية الصميمية التى ابدتموها مع العالم الاسلامى فى

المشرق الاقصى ، ونظراً لمشاهدتنا لكثيرين من خدمة الاسلام كانوا بفضل عنايتكم قد خلصوا من البلاء ووجدوا طريقاً للعمل بعدالعطالة وادواخدمات جلى لامتهم واوطانهم ، ونظراً للظفر المتواصل الذى حصلت عليه امتنا من جراء العلاقات الحسنة التى احكمتموها انتم مع الذوات الكبار فى هذه الربوع ؛ فانى اتقدم اليكم باسم شورانا بوافر الشكر الخالص داعياً لكم بالسفر الميمون وراجياً لكم النجاح للعالم الاسلامى . نحن نقول لكم باسم شورانا « جزاكم الله خير الجزاء » ولن ينس معلموا هذه الديار طلعتكم الباهرة واسمكم المبجل ونرجوكم ايضاً ان لا تنسوهم . نسأله تعالى ان يكون عوناً لكم مدى الدهر .

رئيس الشورى

ختم الشورى الرسمى :　　　الامضاء : محمد عبيدالله عبدالحى قربان

ختمت صحائف تاريخ حياتى الغريبة فى بابها بصورة مؤلمة وابدية تلك الحياة التى تجاوزت العشر سنوات ؛ قضيتها فى اصقاع الروس المترامية الاطراف وفى بلاد الصين واليابان والمشرق الاقصى ؛ ختمتها بيأس وأسف شديدين ، وتركت رفقائى فى الجيش وزملائى فى السياسة والاداوة وزفراتى تتصاعد وانينى يتردد . بينما كنت قطباً مهماً لتلك الحركات المستثناة والمقامات النادرة واذا بالحظ قد انعكس ؛ واذا بى اودع المشرق الاقصى وداعاً ابدياً ؛ معللاً نفسى بالوعود الخلابة والتمنيات .

اخذ القطار ينهب الارض بسيره وكنت انظر فى الشبابيك والمنافذ فاشاهد الجبال والاحجار والاشجار والانهار والسحاب والسماء وغيرها تمر من امامى بسرعة ، الواحدة تلو الاخرى فما اشبهها بالايام والحالات التى مرت على وكيف اهديت موقعى وشهرتى ورتبى واوسامى بلا ثمن .

وهنا تذكرت كلمة لنابوليون عندما كان منفياً فى جزيرة القديسة هيلانه وهى قوله : « ليس بين السعادة والادباء من فرق الا كلمح البصر » وقول اميرال كولشاك : « السعى للاعتلاء هو الاستعداد للسقوط بعينه » فلم يسعنى امام هذه الحالة سوى الايمان بهذه المواعظ .

وحانت منى التفاتة فوقعت عينى على باقات الورد والزهور التى اهداها لى احبابى المشيعون . فكانت هذه الباقات التى تعد رمزاً للاخوة والصداقة بينى وبين مهديها سبباً آخر فى تضاعف آلامى واحزانى فلم اطق صبرا دون ان اغتنم فرصة مرور القطار من نهر عريض وصرت القى الباقات من النافذة واحدة واحـدة مودعاً اياها امواج النهر المتلاطمة وهكذا ارحت نفسى من عذاب الذكرى . اخذت اكدارنا تخف شيئاً فشيئاً حتى وصلنا مدينةشانغهاى بعد سياحة دامت خمسة ايام . وحللت فى فندق « المشرق الاعظم » على المعتاد. ولم القِ عصا الترحال حتى فاجأنى مرافق القائد الاعظم الجنرال سمه نوف ؛ قاصداً زيارتى وبعدان ذهب المرافق بعدة ساعات زارنى الجنرال بنفسه . فاخذنا الاثنان المنكوبان نتسامر ونتشاكى اللوعات حتى منتصف الليل .

وبعد ان اقمت فى شنغهاى عدة ايام باشر الروس المقيمون فى المدينة باعداد حفلة وداعية لنا والقيت فيها عدة خطب ومن جملتها انعم على القائد الاعظم الجنرال سمه نوت باللائحة الآتية وهى معربة من الروسية :

شانغهاى	القائد الاعظم الاعلا للجيش الروسى
٢٧ تشرين الاول ١٩٢١	واتامان جميع وحدات القوزاق والرئيس
عدد ٢٣٣ ب	الشرعى لحكومة روسيا القانونية فى
	المشرق الاقصى .

ورقة شهادة

ان صاحب هذه الشهادة اللواء صديق رسول القادري احد قواد الجيش القيصري الروسي قد التحق برضاه وموافقته الى جيش سيبريا المناوئ للبلاشفة ؛ منذ ابتداء الثورة في روسيا سنة ١٩١٧ .

وقد سبقت للواء المشار اليه خدمات جلى في جيوشنا وذلك لحماية الديانات والحقوق البشرية والنظام الاجتماعي ووقايتها واعتلا بناء على خدماته العليا والممتازة الى رتبة اللواء (ميجر جنرال) في الجيش الروسي النظامي ؛ بصورة تدريجية وها أني اشهد له هنا بمهارته ولياقته في الادارة وبمعلوماته الواسعة في الفنون الحربية واضع تصديقاً لذلك توقيعي الشخصي والختم الرسمي .

التوقيع : الجنرال اتامان « غريغوري ميخائيلوويج سمه‌نوف »

القائد العام للجيش ، واتامان القوزاق
ورئيس الحكومة

وفي اليوم التالي حضر لوداعي جم غفير وفي جملتهم الجنرال سمه‌نوف وعقيلته المحترمة « يه‌له‌نا ويكتوروفنا » وشيعوني الى ميناء شانغهاي فركبت متن الباخرة « اندره‌له‌بون » احدى بواخر شركة المساجيري ماريتيم واقلعنا نؤم مدينة بغداد وذلك في ٣ تشرين الثاني سنة ١٩٢١ .

اخذت الباخرة تطوف سواحل الصين الشرقية وبلاد هونكونغ وسواحل الهند الصينية ، ومررنا من مدينتي هايفونغ وسايغون واجتزنا سواحل مالاقا وجزيرة سنغافورة ومدينة بنانغ ومررنا ايضاً بجزيرة سرنديب وميناء كولومبو الشهيرة ووصلنا مرفأ بومباي بعد ان قضينا خمسة وثلاثين يوماً في السفر .

واقلعنا من بومباى بالباخرة فوصلنا البصرة بسبعة ايام .

خرجنا من البصرة الى ميناء البصرة كمسافرين اعتياديين وتورطنا من جديد فى غوائل الشرق ومشاكله واذاه . وقد شاهدت بعينى التدهور والانحطاط هناك . لانى بذلت جهدى وانا افتش على عربة او سيارة عدة ساعات فلم احصل بعد الجهد الجهيد الا على سيارة قديمة رديئة ومن انقاض الجيش المحتل. وهناك ؛ فى ميناء البصرة بينما كنت امر من بين كراديس الحمالين والموظفين والجماهير الممزوجة واذا بدراهمى قد نشلت بين الضوضاء والجلبة المعروفة فى ذلك الميناء وهكذا فديت دريهماتى التى اعددتها للايام السود فكانت هذه المصيبة آخر الادوار التمثيلية لروايتى المحزنة لى فى حين انى كنت غائباً عن صوابى بتأثير آلام المبضع الذى فقد عروقى من جراء ما شاهدت من التدهور والسقوط .

آه ! ايها الشرق ! . . .

وصلت بغداد بنفس المشاق والمتاعب ولكنى لاانسى ما شاهدته فى الطريق وفى الهند وفى العراق خاصة من الضباط البريطانيين ومن موظفيهم من التسهيلات والرعاية والمجاملة وانى احفظها لهم مع الشكر والمنية . ويمكننى القول بان الحرمة والانسانية التى لاقيتها من موظفى هذه الامة المتمدينة سواء كان فى اثناء اقامتى فى المدن ام اثناء سياحتى فى البواخر والقطارات لمما تنسينى آلامى وغصصى التى تجرعتها فى المغرب . ولما كان وصولى لبغداد مصادفاً لزمن الشتاء فقد تمكنت بعد الخوض فى بحار الاوحال من الالتجاء الى زوايا الاستراحة . ولما رجعت من المشرق الاقصى الى بغداد اخذت الصحافة الروسية واليابانية تفسير ايابى هذا بتفاسير وتأويل مختلفة واتصل هذا الخبر الى الجنرال بارون «فرانكل»

الذى كان لاجئاً الى الاستانه فاخذت من المشار اليه ومن عدة قواد روسيين غيره رسل وتبريكات متعددة ومن جملتها مكتوب من الجنرال « فرانكل » ادرج صورته فيما يلى نظراً لاحتوائه على بعض الحقائق المفيدة :

السفارة الروسية فى الاستانة

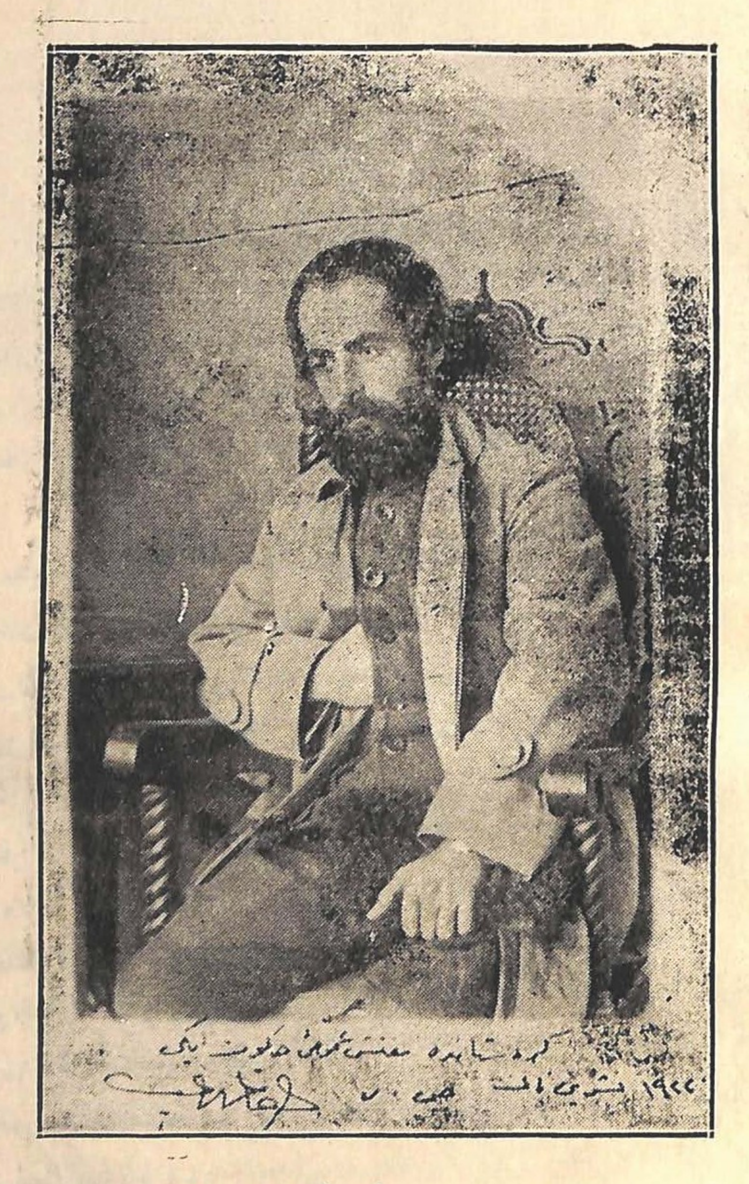
٣ كانون الثانى ١٩٢٢

اللواء [ميجر جنرال] القادرى

« اشكركم بصورة خاصة لما ابرزتم من الخدمات الممتازة اثناء قيامكم فى سبيل الوصول الى نفس الغاية والهدف اللذين نتوخاهما جميعاً واتفاقكم معنا فى المبدأ منذمدة ضد الفرقة البلشفية الضالة والتى هى تعاكس القوانين البشرية المتعارفة على خط مستقيم فضلا عن كونها معادية للعالم بصورة عامة ولنا نحن الروسيين بصورة خاصة .

« طرق سمعنا خبر عودتكم الى وطنكم المقدس الذى فارقتموه منذ عدة سنوات بمناسبة حلول زمن الاياب . ولى وطيد الامل بانكم ستقيمون سداً هائلاً وبرجاً منيعاً وقلعة مستحكمة دون تيار البلشفة الجارف وتعرقلون كل تشبث دموى لها : اعتماداً على عزمكم الذى لا ينثنى وثباتكم الذى لايتزلزل وغايتكم التى لاتحول ، ونظراً لما اعهده فى اساسات الدين الاسلامى والعلائق التى لا تربط شعوبه ببعضها فتجعلهم كالبنيان المرصوص ، وعلى الاخص ما اعلمه من الاعتقادات المقدسة عند الشرقيين ودرجة حرمتهم ورعايتهم المطلقة لعظمائهم وقادة افكارهم .

« ومادمتم انتم المسلمون متحلين بهذه المزايا السامية ومتدينين بهذا الدين الحنيف فان للفكرة البلشفية السقيمة نصيب فى قلوبكم فى اى وقت كان . وعلى الاخص



القادري حين كان مفتشاً عاماً لحكومة كردستان
الجنوبية في سنة ١٩٢٢

اذا اضفنا الى ذلك وجود شخص قائد محترم مثلكم من خيرة القواد الذين اتجهم جيشنا فان ذلك مما يزيل الخطر ويمحيه عن آخره. واعتقد بان الحوادث والوقائع التى شاهدتموها بعين رأسكم سيكون عاملاً قوياً فى تنوير افكار مواطنيكم وتجعلهم يطلعون على حقائق الهرج والمرج العظيمين الحادثين فى روسيا ولا تدع مجالا لرواج الدعاية المضرة التى يقوم بها دعاة السوء . ولا اظن بوجود من يعتمد على هؤلاء الوحوش الضوارى الذين خربوا بظرف مدة قصيرة حكومة لحكومة روسيا التى هى اعظم واقوى واغنى دولة فى العالم وجعلوها قاعاً صفصفاً . وها انتم ايها القائد الآن كشاهد عدل لتلك الثورة المدهشة ولذا فانى مطمئن بصورة قطعية بانكم ستقومون باعمال وخدمات جلى لامتكم التى هى احد اركان البشرية . ولا ينزل الضربة القاضية ويأخذ الثار من هذه الفرقة الخبيثة التى اتخذت روسيا المعظمة حصناً لها تهددمنه العالم ، الا القواد الشبان امثالكم من ذوى الغيرة والحنكة وتفضلوا بقبول احتراماتى الصميمية لشخصكم وتمنياتى لكم بالتوفيق بكل جوارحى ايها القائد . »

التوقيع : المستعد دائماً لمساعدتكم مادة ومعنى
القائد العام للجيوش الروسية القيصرية
فى الجنوب جنرال — بارون فرانكل

وقد ارسل هذا المكتوب من باريس .

والحاصل فاننا خلافاً للوعود لم نتمكن من الاشتراك فى حياة العراق السياسية والادارية لاى سبب كان وحيث ان المطلع على خاطراتى هذه يعرف جيداً هل ان تجاربى ضرورة لاماكن فى درجة اخرى فضلا عن بلاد فتية كهذه .. ام لا ؟ ولذا فانى اترك القضية للقراء ولهم ان يحكموا ضمائرهم فى ذلك ...

وهكذا بقيت فى العراق بهياة المتفرج من بعيد ولا ازال لحد الآن بتلك الصفة.
وقد عزمت بريطانيا اخيراً على احداث ادارة ممتازة وموقته فى كردستان الجنوبية قاصداً اطفاء الفتن والاضطرابات فنصبت الشيخ محمود احد رؤساء الاكراد حاكما هناك فى آغستوس سنة ١٩٢٢ .

وبناء على اقتراح الرئيس المذكور والموافقة التحريرية لفخامة المندوب السامى البريطانى فى العراق المرقمة ١٢٦٧٨ » والمؤرخة ٢١ ايلول ١٩٢٢ فقد نصبت مفتشاً عاماً للحكومة الاداريه الجديدة المستحدثة فى السليمانية وبقيت هناك عدة اشهر فى هذا المنصب ولكن احسست بان جهالة الشيخ محمود واطلاق الحرية له بهذه الدرجة مع وضعية السياسية فى تلك الاثناء يؤديان بلا شك الى نتائج سيئة ولم اشأ ان اشاهد فى عينى الاخطار التى تجم من تلك النتائج . ولاجله فقد القيت نصائح مفيدة للشيخ ورسمت له خطط مهمة ونافعة للسير عليها ولكن الشيخ الذى فتن بحب الظهور ابى الا ان يتشبث لاعلان الملكية فى تلك الشقة الضيقة وفى تلك الظروف الحرجة ولم يكن لى من وسيلة سوى انى استقلت فى ٢٦ كانون الاول سنة ١٩٢٢ ورجعت الى بغداد بعد الجهد الجهيد . اما الشيخ فقد افل نجمه ونجم الاكراد بسبب ايجابات سياسة العراق والعرب واصبحت جميع مساعيه عقيمة وذابت تلك الادارة كما يذوب الثلج .

وسآتى على ذكر احوال العراق السياسية ، والصفحات الخصوصية والعمومية لامور كردستان فى كتابى الثالث المسمى [ما شاهدته فى العراق وكردستان والحجاز] وسينشر فى اقرب وقت شارحاً فيه الاحوال المار ذكرها بصورة مسهبة ولهذا فقد اجتنب هنا ان اوضح الحالة اكثر من هذا .

— « تنقيد » —

اخذ البلاشفة زمام الامور بايديهم وباشروا بتلطيف افكار العامة فى بادئ الامر بان عقدوا صلحاً منفرداً مع الالمان والغوا جميع المناصب والفخفخات واودعوا مناصب الحكومة لعهدة العمال والجنود الاعتياديين ، وكان كرنسكى قد الغى عقوبتى الاعدام والاشغال الشاقة فانقادت الامة اليهم نظراً لاغترارها بظواهر الاحوال وبهذه الكيفيـة جلب البلاشفـة بظرف مدة قصيرة القسم الاعظم من الروس .

وفى السنة الثانية اعلنوا « عتق الاقوام » او « تحرير الشعوب » ووعدوا الاقوام التابعة لحكومة روسيا بالحكم الذاتى وتوسيع المأذونيات والاستقلال الداخلى وتمكنوا بهذا ايضاً من ربط الشعوب غير الروسية بهم ربطاً محكماً . وكانت غايتهم قبـل كل شئ هو تسكين الشعوب الاسلاميـة الروسية ، تلك الشعوب التى كانت اقوى العناصر الموجودة فى روسيا وكانوا يخشونها اكثر من غيرها ويحسبون لها حساباً فاعطوها لاستقلال الادارى ورضوا بتأليف ست جمهوريات اسلامية كل ذلك خوفاً من ان يكونوا عرضة لثورة اسلامية هائلة . واحدثوا من جهة اخرى نحواً من خمسـة وعشرين جمهورية مختلفة السعة من الشعوب المسيحية الروسية واطلقوا على الجميع عنوان « الجمهورية البلشفية المتحدة لروسيا الاشتراكية » او « الجماهير الشيوعية الروسيه المتحدة » وهذه الجماهير تدار فى الظاهر بطريقة اللامركزية ولكن الحقيقة ان الحكومة المركزية قابضة بيديها على كل من الموظفين والميزانية والجنود والمعارف والتجارة وغيرها ، الا انهم ازاء ذلك جعلوا لكل جمهورية علماً قومياً على حدة بقصد

أغفال الامم البسيطة الساذجة . اما اللغة فان الروسية هى السائدة وبها تجرى المعاملات بصورة عامة وان كانت بعض المعاملات الطفيفة نرى باللغات المحلية للجمهوريات . وماشئت فحدث عن الترتيبات والتأسيسات الداخلية فانها لا تخالف نظامات البلاشفة بقدر الذرة . وان مايصادقه المتأمل هنا من الفروق فهى فى الاسماء فقط والا فان الجوهر واحد لا يتغير .

وقد بدأت المخالفات تظهر شيئاً فشيئاً من قبل الاقوام التى لم تألف بعد هذه العادات الغربية والاحوال الحديثة . واخذت المخالفة تتوسع والخصومة تنتشر كما قد بيناه فى الفصول المتقدمة . وبذلك اصبحت حكومات البلاشفة مهددة بالخطر ورفعت الوية الثورة والعصيان ضد البلاشفة فى جميع انحاء روسيا من قبل المخالفين الذين استفادوا من منابع الثروة غير المتناهية فى روسيا . وهكذا لما احس البلاشفة بالتهلكة تركوا الامور تجرى بطبيعتها من الفوضى الى النهب والسلب واخذوا يفكرون قبل كل شئ فى اتخاذ الوسائل القاضية على هذه الثورات الداخلية . واعلنوا للرعاع بان الثورة المباركة او السعادة العامة اوشكت ان تزول وان السلب والنهب سيذهبان من الايدى وتمكنوا من تجنيد جميع القادرين على حمل السلاح من العوام والعمال والقرويين وفقراء الاهالى .

اما حكومة المانيا التى يهمها امر اضمحلال روسيا باى صورة كانت فانها فتحت لهم مستودعات الذخائر والسلاح والكراع وباعوهم جميع ما غنموه من روسيا القيصرية فى ترنوبول من الذخائر والمهمات ، بالذهب الاحمر ولهذا فان البلاشفة تمكنوا حالاً من ارسال القوى المسلحة بقدر الامكان الى الجهات الثائرة لتقف فى وجوه الثائرين . ولم يلاقوا اى صعوبة فى ذلك وقد

وصلت اعمالهم هذه الى درجة تمكنوا بها من مقاومة الجيوش البيض فى اكثر الجهات . وهذه الحروب قد زادت فى طنبور البلشفة نغمة اخرى اذ لولا هذه الحروب والثورات لما كان من المحتمل ان ترتكز البلشفة على اسس متينة بل لما دامت الى الان . لانهم كانوا يضطرون بطبيعة الحال الى تعديل الفوضى ، وتحديد السلب والنهب الى درجة ما فيكونوا آنئذ اضعف عنصر فى روسيا وكان من الممكن ان يقضى على البلشفية باى ثورة تقوم هناك . حيث ان من الطبيعى ان الامة الروسية التى تشاهد بعينها هذه الفظائع تنقلب خصماً لدوداً للباشفية ودعاتها ، ولم يكن ثمة من يؤمن بمناهجهم الخلابة الموضوعة على الورق بعدان يشاهد ادارة هؤلاء الوحوش وتحكماتهم الغريبة وبعد ان تنفر منهم جميع الاقوام بهذه الصورة يكون من السهل القطعى ان تنجح اى حركة قومية تظهر هناك وتقضى على البلشفة قضاء مبرما . وبهذه الكيفية كانت روسيا قد رجعت الى الحكم القانونى من زمن بعيد .

ولكن المحاربات الداخلية قد انتجت وقوع التشاحن بين الشعب الروسى فان قسماً من الروس مال الى جانب البلاشفة معتقداً بحسن ادارتهم بدون ان يرى اعمالهم ونتائج وعودهم والقسم الآخر وهم طبقة الخواص والاشراف فلم يتبعهم طبعاً . لان الحكم الملكى كان افيد لهؤلاء من اى حكم آخر وهكذا اضرمت نار التفرقة والنفاق بين افراد الشعب . فكان الخواص ينادون بقولهم : « ايها الشعب لاتغترفان هؤلاء الجياع الحفاة كاذبون ، وانهم يغرونكم ويسعون لخراب البلاد ، ويسحقون مقدساتكم باقدامهم ، ويسوقونكم الى هاوية الفقر والذلة فلا تخطأون فى اختيار الصراط المستقيم ! » .

وكان البلاشفة من جهة اخرى ينادون بقولهم : « ايها العوام المضطهدون

اننا رسل السعادة ، وليس لدينا امير او وزير او تاجر او رأسمالى اوصاحب معمل او شريف او حسيب . اننا نعيش بكد يميننا وعرق جبيننا والذى لا يسعى لا محل له عندنا . فالارض ارضكم والثروة ثروتكم والمعامل لكم والقصور والمصارف والمتاجر والمستودعات كلها بايديكم ، ولا يمنع شئ من عرق الجبين . تعالوا اسعوا وخذوا فكل شئ لكم . البلاد والادارة والسيادة كلها لكم بلا منازع . ولكن ماذا نعمل وهؤلاء الاشراف والخواص الذين اعتادوا الراحة والترف والبذخ ، وعاشوا بدمائكم واغتصاب حقوقكم واموالكم قد اذهلونا واشغلونا ولم يتركوا لنا فرصة نتمكن فيها من تنفيذ مناهجنا والبر بوعودنا . انهم الان يحاربوننا ويريدون ان يعيدوا لكم الذل والاسارة من جديد . فتعالوا معنا الآن لنتحد ونقف فى وجوه الظلمة ونمحيهم عن آخرهم . وبعد ذلك نعمل معكم كلما تريدون وتشتهون » .

هذه اقوال البلاشفة وتلك اقوال الاشراف والخواص فلأى جهة يميل السواد الاعظم يا ترى ؟ لاشك بانه يميل الى جهة البلاشفة . لان هنا اباحة النهب والسلب موجودة قبل كل شئ ! وليت شعرى اى قوة ادبية تزجر الفقير الجاهل ، او العامل او الفلاح الذى لم يشاهد الدينار طول عمره اذا ما قيل له « اذهب واعمل ما شئت واسلب وانهب فلا جناح عليك ! . . .

والحاصل ان حدوث الحروب الاهلية قبل اوانها قد عادت بالفوائد الجزيلة على البلشفية . ولو كان البلاشفة حكموا روسية بهذه العادات الممقوتة وتلك القوانين والانظمة الغريبة مدة ستة اشهر على الاقل بدون خلاف ، لعرف كل احد ماهية البلشفة وجرب سيئاتهم بصورة فعلية ولكنت ترى

جميع الشعب قائماً فى وجه البلاشفه ولثار متحداً ضدهم ولقضى عليهم وعلى فكرتهم باقصر مدة .

هذا هو خطأونا الفاضح لاننا بدأنا بالخصومة والمناوشات دون ان نمهل الشعب فرصة كافية للتأمل .

فالبشر لايؤمن بالوصف والتعريف ما لم ير الاشياء بعينه او يجربها بذاته ولا ينكر ان لكل جديد لذة فالانسان يمل طبعاً الدوام على حالة واحدة فتراه مبالا للتجدد ابداً . وهذه العوامل الطبيعية فى انتشار البلشفة .

كان الروس قد سئموا الادارة القيصرية اكثر من تالمهم منها . فكان القيصر ينفى المجرمين الى بلاد سيبريا التى لا تختلف عن بلاد اوربا مدنية وعمراناً والتى هى احسن من البلاد الحارة اضعافاً مضاعفة ومن النادر جداً ان يعدم قاتل اوجان فان جلالة القيصر نيقولا كان يحول دائماً عقوبة الاعدام الى النفى ، وهذا منتهى الشفقة والرحمة اما الروس السذج الذين تنطلى عليهم زخارف الاقوال فانهم كانوا يعدون هذه الادارة ظلماً وخسفاً فكانوا يصيحون ان القيصر ظالم مستبد نحن نريد الحرية ، نحن نريد حكم الشعب ، ليعلن الدستور ، ولتسقط الادارة الاستبدادية المطلقة .

ولكن هؤلاء الوطنيين الاحرار لو شاهدوا هذه الادارة الوطنية الغريبة فى بابها ، بل لو شاهدوا ان حكم الاعدام مخول حتى الى مختارى المحلات ، وان لا فرق هناك بين قتل النفس وقتل الذباب ، وان كل مختار او جندى من الحمر او عضو من القوى التنفيذية وحتى ان كل شرطى له من الحكم بامره ما لم يكن للقيصر فى زمانه ، لا يقنوا حينذاك بان الادارة القيصرية ليست سوى جنات النعيم ولاعترفوا بها ولسعوا حثيثاً يداً واحدة لاعادة تلك الادارة.

كان الروس يشكون أثناء الحرب من الغلاء ويصيحون بانهم سيموتون جوعا فلذلك كانوا يريدون عقد الصلح وينادون بسقوط الحرب فى حين ان اقة الخبز كانت تباع بخمسة عشر كابيك (ست آنات) وكان الباوند من اللحم يباع بعشرة كابيك (اربع آنات) والباوند من السكر يباع باربعين كابيك (اثنى عشر آنة) ولو انهم تصوروا بان الباوند من الخبز المصنوع من بذر المكانس يباع بمليون روبل والبيضة الواحدة تباع بمئة الف روبل ، او انهم شاهدوا بعينيهم هذه الايام السود ، او لو كان مات الملايين من النفوس جوعا لكنا نرى كيف ينفرون من الحكم القيصرى ؟!..

ولكن عجلة قوادنا تمهل الامة مدة كافية تمكن خلالها من رؤية هذه الحقائق المؤلمة بعينها لتعلم من تلقاء نفسها المواهب التى كانت فى العهد القيصرى.

وقد يقال لمَ لم تقلب الامة الروسية لحد الآن هذه الادارة المشؤومة رأساً على عقب ؟..

فنقول انهناك عوامل اولها ان ذلك الدم لم يعد يجرى فى عروق الامة. وثانيها ان النشء النشيط الذى يقوم بهذه الاعمال قد فقد تماماً من الروس ولم يبق فيهم الا اناس اشبه شيء بالاموات والجثث الهامدة. وليت شعرى اى امة تكون عدد ناشئتها النشيطة خمسة وثلاثين مليوناً وهل يا ترى تبقى أثر للحياة فى امة خسرت خمسة وثلاثين مليوناً من شبانها وكهولها . وثالثها ان الجيش الاحمر الذى كان فى وقته عبارة عن عصابات معدودة اصبح اليوم بفضل الحروب الاهلية جيشاً عظيماً يبلغ عدده الخمسة ملايين من الجنود المسلحة المدربة المجهزة باحسن العدد . فكيف يتسنى لامة بلغت من العجز والانحطاط والضعف الى هذا الحد ، ان تقوم فى وجه هذه القوة الهائلة . وتدهورها ! ؟

وقد كان من الممكن السهل ان تقضي الحروب الاهلية على البلشفة لاننا لما كنا ذوي جيوش منظمة كان البلاشفة عبارة عن عصابات عصابات متشردة منتشرة فكانت جيوشنا ووحداتنا على غاية ما يكون من الانتظام والقوة ولكننا كنا متنابذين متشتين وكل قائد يعمل برأيه دون ان يذعن لغيره او يرتبط به في حين ان عصابات البلاشفة المتشردة كانت كالبنيان المرصوص، متحدة ومتحالفة . وهكذا تغلب اتحادهم الضعيف على نفاقنا القوي كما يقول الشاعر الفارسي :

بشه چو پرشد بزند پيلرا   باهمه تندى وصلابت كه اوست
مورچه كانرا چوكنند اتفاق   شير ژيانرا بدرانند پوست

ولم يكن نفاق القواد البيض وشقاقهم ليرمي الى غاية معينة لان الجيش الابيض لم تكن له قيادة واحدة بل كان كل قائد يرى نفسه الحاكم بامره ولا يذعن قائد لآخر ولو جاء احد الامراء [غراندوق] وتولى بنفسه القيادة العليا لكان الجميع انضموا الى لوائه متحدين الا انه مع الاسف لم يشترك احد من الامراء آنئذ في الثورات الاهلية فلهذه الاسباب قد اضمحل القواد الراكضون وراء غايات مختلفة وابيدوا مع جيوشهم واحداً واحداً دون ان يتمكنوا من الوقوف امام الاتحاد البلشفي .

وعلى كل حال فاني لا ازال مشاركا للغراندوق نيقولا . نيقولايه‌ويچ في قوله المشهور :

« اذا لم يخطىء ظني في قوة ايمان الروس ؛ فان البلشفة لا يدحورها الا الروس انفسهم » .

كلمتي الاخيرة

ولم تكن احدى هـذه الصدمات المادية والادبية التى وردت لحد الآن لتثنيني من عزيمتى وتفتر همتى وتحولنى عن غايتى ومسلكى . بل ازال معتمداً على نفسى . وانى مستعد ابداً لا كمال الخدمات التى بدأت بها فى روسيا بقصد اسعـاد مسلميها ولا ازال مؤمناً بظهور حكومة روسية شرعية فى المستقبل تعترف للتاتار بحقوقهم . وما فتئت مستعداً لترويج اى فكرة قومية او حركة وطنية تحدث فى روسيا بقصد تأسيس « روسيا المعتدلة » التى لا تفرق قطعاً بين التاتار وبين ابنائها البررة ، كما انى لا ازال منتظراً بكل جوارحى لاى نداء يدعو الى حمل السلاح ضد البلشفة فى روسيا ، ومستعداً اتم الاستعداد للرجوع الى قيادة جنودى البواسل !

وعلاوة انى كنت قد اوقفت نفسى وعاهدت ربى ان اخدم مشرق الاسلامى على اختلاف طبقاتهم طول حياتى وها انى حاضر فى كل آن وزمان الى نداء اى امة شرقية كانت من المسلمين التى تبغى الاستفادة من تجاربى وخدماتى وانا حاضر اقيدها بكل ما لدى من التجربة والعزم . وها انى مطمئن ان يحون لى الوقت الذى اخدم فيها بلادى كما اشاء وافديها بتجاربى واخلصها من اى هاوية كانت والمستقبل كشاف . ١٣ نيسان سنة ١٩٢٣ القادرى

تم الكتاب



صفحة لا بد منها

لقد كان جد والدى « قادرى رمضانه كەورە » من رؤساء قبيلة « صوفيه وند » التى هى فخذ من قبائل الهماوند المعروفة بالبسالة ورباطة الجأش . وكانت اسرتنا والمنتسبين اليها ساكنة فى قرية « مورتكه » منذ احقاب طويلة لا نعرف ابتدائها . وكان سلاطين آل عثمان قد منحوا كافة الاراضى الواقعة ضمن حدود قرية مورتكه الى اسرتنا ليمتلكوها ويتصرفوا بهن كما شاؤا . وبذلك فان النسب الحقيقى الذى انتسب اليه هو « مورتكەيى » حتى ان جدى «رسولى قادرى رمضانه كەورە »كان يلقب بالمورتكەيى . ولوقوع حوادث ذات شأن اضطر الهماوند قبل اربعين سنة ونيف الى ترك مواطنهم فنزح جدى ايضاً قاصداً فى بادىء الامر بلدة كركوك حيث كان يمت بقرابة فيها ومن ثم الى السليمانية بدعوة من « حسن خيبالى » احد رؤساء قبيلة الجاف ووالد جدتى التى استوطنها نهائياً . اما تأريخ ولادتى فى السليمانية فقد كان فى ١٥ حزيران سنة ١٨٩٤ . فكما ان والدى ينتسب الى اسرة كردية معروفة المحتد فكذلك والدتى هى كريمة « منلا رسولى باش اغا » احد وجهاء السليمانية . ولذا فانى كردى المنشأ من كلا الوالدين . وتبعاً للقول الشريف « المؤمنون اخوة » ورعاية لتلك الغاية السامية التى كان يرمى اليها اقطاب السياسة الاسلامية فى الادوار التى بلغ فيها الاسلام ذروة المجد والسؤدد فانى ترعرعت وكان لى الفخر ان اكون مسلماً قبل كل شىء . بيد ان تلك الجامعة المقدسة تفككت اوصالها وطفقت الفكرة العنصرية تمشى فى عروق الافراد كحمى تضرم قلوبهم وكان ذلك اكثر ظهوراً واشد لمعاناً فى الشعوب الشرقية المسكينة التى بدات

تجاهر بقوميتها ونعرتها الجنسية على الملأ . ولئلا يذهب البعض فى جنسيتى مذاهب شتى فقد وددت ان اجئ هنا على نبذة موجزة من تاريخ حياتى معلناً انى كردى الاصل قبل كل شئ ومسلم بعد ذلك لكيلا يبقى مجالا للشك ولا كفى القارئ مؤخرته الوقوع فى الشطط من هذه الوجهة .

اما « القادرى » فهو اللقب الشخصى الذى اتخذته اثناء وجودى فى المدرسة الحربية فى الاستانة ولا يخفى ان الاسماء والالقاب الخصوصية عند الاسلام مشتق اغلبها من العربية لغة القرآن الكريم سيما وقد كان ضم اللقب على الاسم فى تركيا زياً فلما يشذ عن اتخاذه احد . ولذا فلا يذهبن احد ان « القادرى » لقب يدل الى انتسابى الى احدى الاسر العربية المنتسبة الى آل البيت بل ان ذلك لقب جدى الاكبر مع علاوة « ال » حرف التعريف حسب القواعد العربية.

اما تأريخ قدوم عائلتنا الى بغداد فيرجع الى سنة ١٨٩٩ واكملت دراستى فى مكاتبها الابتدائية والرشدية والاعدادى العسكرى وانتقلت فى ٢ آغستوس سنة ١٩١١ الى المدرسة الحربية فى الاستانة فتخرجت منها حاملا الشهادة النهائية برتبة ضابط ١٧ تموز سنة ١٩١٤ اى قبيل نشوب الحرب الكونية بايام معدودات . فالحقت بالفيلق الحادى عشر المرابط فى خربوط وهناك عينت ملحقاً حربياً لقائد الفوج الاول من اللواء الـ ٩٩ فى وان وفى ٢٢ كانون الاول سنة ١٩١٤ سقطت مع كامل فوجى اسيراً فى قبضة الروس على الحدود القفقاسية التركية فى « كوتك — قره اورغان » وهنا ختام آخر صفحة من صفحات حياتى فى الجيش التركى وما بقى لا حاجة لايراده لانه مشروح فى كتابى شرحاً وافياً.

فهرست

« الانقلاب العالمي »

القديم . (٦٦٦) العدد المشؤم . سبيل المهاجرة اليهودى والاستيلاء الاسرائيلى العتيد على البلاد الغربيـة والعرب . جهود الاسرائيليين وحزمهم الشديدين . ثروتهم ومدنيتهم . حرص الصهيونية على نخر كيان العرب والشرق بصورة غير محسوسة . مؤتمر المشرق الاعظم الثانى فى موسكو ومقرراته وتدابيره الخصوصية فيما يتعلق بالشرق . البواشفية واليهود . الادمغة التى تدير سياسة روسيا البلشفية . ملاك البواشفيك لسنة ١٩٢٢ . اقطاب الحركة البواشفية . مستقبل العالم . احتمال نشوب حرب كونيـة اخرى مطلعها من الشرق وما يتخلل ذلك من الشقاء العام وما يعقب ذلك من الاستعمار اليهودى . الخلاصة .

تنبيه

ان كتاب الانقلاب العالمى سيظهر مجلداً يقع فى ٤٠٠ الى ٥٠٠ صفحـة وسيتم نشره فى بحر هذه السنة ونظراً لشأن هذا الكتاب فقد قصدنا طبعه فى مصر ان امكن لكى تأتى الرسوم جلية واضحة على ورق صقيل متقن . وبعد نشر مؤلفاتى الثلاثة « مذاكراتى » و « العالم الاسلامى فى الشرق الاقصى والادنى » و « الانقلاب العـالمى » فى اللغة العربية وسأبذل جهدى فى نشرها باللغة التركية التى كتبتها بها فى الاصل . فلينتظر عشاق الحقائق .



فهرس الرسوم

ينبغي على القراء ان يرتبوا الرسوم في المذكرات على وجه الآتي قبل التجليد

ختام

فهرست الكتاب

صحيفة

جدول الخطأ والصواب

صحيفة	سطر	خطا	صواب
٩	٨	قضبه	قبضة
٢٤	٢٠	قوات	قواد
٣٣	١٨	ماريا الكساندروفنا	ماريافه ثودوروفنا
٧٨	١٧	١٩٣١	١٩٢١
٩٩	٥	آبفه‌ل ابفول باوم	آبفه‌له باوم
١٠٩	١٤	سيفوبرسكى	سيروبويارسكى
١١١	٨	بها ارسال	بها عدم ارسال
١٢١	٣	ووافق	ولم يوافق
١٣٦	٢	وبنتاهما اللطيفتان	وبناتهما اللطيفات
١٦٥	٧	لشرفكم	لشرقكم
١٩٤	١٢	سرنوف	سمه‌نوف
٢٠٢	٨	العراقية	الجنوبية
٢١٠	١	فى ٢ ايار	فى ٢٠ ايار
١١٢	٢	فاستقبلى	فاستقبلنى
٢٢١	١١	اينفودا	اينغودا
٢٣٩	٤	لانتصاراتها	لانتصاراتهما

